شرائح قصصية سليمانية

(الجزء الثالث)

(من القصة الأولى بعد المئة الثانية

حتى القصة الثلاثمائة)

نحو قصة عربية أصيلة وهادفة وبناءة وجادة ومحترمة

بقلم

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء!

(أهدي هذه الشريحة القصصية ، إلى هواة القصة والباحثين عن

العبرة فيها ، ليتأملوها وليتدبروها ، وليعملوا بمقتضاها!)

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

1 - أبو قدامة والغلام

(بكل المعايير فإن أبا قدامة الشامي بطل من أبطال الإسلام! وهذه إحدى قصصه الجميلة المسلية! كان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له أبو قدامة الشامي ، وكان قد حبب الله إليه الجهاد في سبيل الله والغزو إلى بلاد الروم ، فجلس يوماً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع أصحابه ، فقالوا له : يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيت في الجهاد؟ فقال أبو قدامة: نعم ، إني دخلت في بعض السنين الرقة أطلب جملاً أشتريه ليحمل السلاح ، فبينما أنا يوماً جالساً إذ دخلت علي امرأة فقالت: يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رُزقتُ من الشَّعر ما لم يُرزقه غيري من النساء ، وقد قصعته وأصلحت منه شِكالاً للفرس ، وعفرته بالتراب كي لا ينظر إليه أحد ، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرتَ في بلاد الكفار وجالت الأبطال ورُميت النبال وجُردت السيوف وشُرعت الأسنّة ، فإن احتجت إليه وإلا فادفعه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل الله ، فأنا امرأة أرملة كان لي زوج وعصبة كلهم قُتلوا في سبيل الله ، ولو كان عليّ جهاد لجاهدت. وناولتني الشكال. وقالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجي لما قُتل خلف لي غلاماً من أحسن الشباب ، وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي على القوس وهو قوام بالليل صوام بالنهار وله من العمر خمس عشرة سنة ، وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله عز وجل ، وأنا أسألك بحرمة الإسلام ، لا تحرمني ما طلبت من الثواب. فأخذت الشكال منها فإذا هو مضفور من شعرها. فقالت: ألقه في بعض رحالك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبي. فطرحته في رحلي وخرجتُ من الرقة ومعي أصحابي ، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة قف عليّ قليلاً يرحمك الله ، فوقفت وقلت لأصحابي: تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا ، وإذا أنا بفارس قد دنا مني وعانقني وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائباً. قلت للصبي أسفر لي عن وجهك ، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير ، وإن لم يلزمك غزو رددتك ، فأسفر عن وجهه فإذا به غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة. قلت للصبي: ألك والد؟ قال: لا بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي ، لأنه استشهد فلعل الله يرزقني الشهادة كما رزق أبي. قلت للصبي: ألك والدة؟ قال: نعم . قلت: اذهب إليها فاستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد ، لأن الجنة تحت ظلال السيوف وتحت أقدام الأمهات. قال: يا أبا قدامة أما تعرفني قلت: لا. قال: أنا ابن صاحبة الوديعة ، ما أسرع ما نسيت وصية أمي صاحبة الشكال ، وأنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد ، سألتك بالله لا تحرمني الغزو معك في سبيل الله ، فإني حافظ لكتاب الله عارف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عارف بالفروسية والرمي وما خلفت ورائي أفرس مني فلا تحقرني لصغر سني وإن أمي قد أقسمت على أن لا أرجع ، وقالت: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر وهب نفسك لله واطلب مجاورة الله تعالى ومجاورة أبيك مع إخوانك الصالحين في الجنة ، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيّ فإنه قد بلغني أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله وسبعين من جيرانه ، ثم ضمتني إلى صدرها ورفعت رأسها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي ومولاي هذا ولدي وريحانة قلبي وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه. فلما سمعت كلام الغلام بكيت بكاءً شديداً أسفاً على حسنه وجمال شبابه ورحمة لقلب والدته وتعجباً من صبرها عنه. فقال: يا عم فيم بكاؤك؟ إن كنت تبكي لصغر سني فإن الله يعذب من هو أصغر مني إذا عصاه. قلت: لم أبك لصغر سنك ولكن أبكي لقلب والدتك كيف تكون

بعدك. وسرنا ونزلنا تلك الليلة فلما كان الغداة رحلنا والغلام لا يفتر من ذكر الله تعالى ، فتأملته فإذا هو أفرس منا إذا ركب وخادمنا إذا نزلنا منزلاً ، وصار كلما سرنا يقوى عزمه ويزداد نشاطه ويصفو قلبه وتظهر علامات الفرح عليه. فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس ، فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعاماً لإفطارنا وكنا صياماً ، فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينما هو نائم إذ تبسم في نومه فقلت لأصحابي: ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه ، فلما استيقظ قلت: بني رأيتك الساعة ضاحكاً مبتسماً في منامك ، قال: رأيت رؤيا فأعجبتني وأضحكتني. قلت: ما هي. قال: رأيت كأني في روضةٍ خضراء أنيقة فبينما أنا أجول فيها إذ رأيت قصراً من فضةٍ شُرفه من الدر والجواهر ، وأبوابه من الذهب وستوره مرخية ، وإذا جواري يرفعن الستور وجوههن كالأقمار فلما رأينني قلن لي: مرحباً بك فأردت أن أمد يدي إلى إحداهن فقالت: لا تعجل ما آن لك ، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض: هذا زوج المرضية ، وقلن لي: تقدم يرحمك الله! فتقدمت أمامي فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر قوامه من الفضة البيضاء عليه جارية وجهها كأنه الشمس لولا أن الله ثبت علي بصري لذهب وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية. فلما رأتني الجارية قالت: مرحبا وأهلا وسهلا يا ولي الله وحبيبه أنت لي وأنا لك فأردت أن أضمها إلى صدري فقالت: مهلاً ، لا تعجل ، فإنك بعيد من الخنا ، وإن الميعاد بيني وبينك غداً بعد صلاة الظهر فأبشر. قال أبو قدامة: قلت له: رأيت خيراً ، وخيراً يكون. ثم بتنا متعجبين من منام الغلام ، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا فإذا المنادي ينادي: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري ، انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا. فما كان إلا ساعة ، وإذا جيش الكفر خذله الله قد أقبل كالجراد المنتشر ، فكان أول من حمل منّا فيهم الغلام فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم ، فقتل منهم رجالاً وجندل أبطالاً فلما رأيته كذلك لحقته فأخذت بعنان فرسه وقلت: يا بني ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب. فقال: يا عم ألم تسمع قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار} ، أتريد أن أدخل النار؟ فبينما هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد ، حالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه واشتغل كل واحد منا بنفسه. وقُتل خلق كثير من المسلمين ، فلما افترق الجمعان إذ القتلى لا يحُصون عدداً فجعلت أجول بفرسي بين القتلى ودماؤهم تسيل على الأرض ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء ، فبينما أنا أجول بين القتلى وإذا أنا بالغلام بين سنابك الخيل قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول: يا معشر المسلمين ، بالله ابعثوا لي عمي أبا قدامة فأقبلت عليه عندما سمعت صياحه فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس الدواب فقلت: أنا أبو قدامة. قال: يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة أنا ابن صاحبة الشكال ، فعندها رميت بنفسي عليه فقبلت بين عينيه ومسحت التراب والدم عن محاسنه ، وقلت: يا بني لا تنس عمك أبا قدامة في شفاعتك يوم القيامة. فقال: مثلك لا يُنسى لا تمسح وجهي بثوبك ثوبي أحق به من ثوبك ، دعه يا عم ألقى الله تعالى به ، يا عم هذه الحوراء التي وصفتها لك قائمة على رأسي تنتظر خروج روحي وتقول لي: عجّل فأنا مشتاقة إليك ، بالله يا عم إن ردّك الله سالماً فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلاء الحزينة ، وتسلمها إليها لتعلم أني لم أضيع وصيتها ولم أجبن عند لقاء المشركين ، واقرأ مني السلام عليها ، وقل لها أن الله قد قبل الهدية التي أهديتها ، ولي يا عم أخت صغيرة لها من العمر عشر سنين كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم علي ، وإذا خرجتُ تكون آخر من يودعني عند مخرجي ، وقد قالت لي بالله يا أخي لا تبط عنّا

فإذا لقيتَها فاقرأ عليها مني السلام وقل لها: يقول لك أخوك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة ، ثم تبسم وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ثم خرجت روحه فكفناه في ثيابه وواريناه رضي الله عنه وعنا به. فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام ، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله وهي قائمة بالباب وتقول لكل من مر بها: يا عم من أين جئت فيقول: من الغزو ، فتقول: أما رجع معكم أخي فيقولون لا نعرفه ، فلما سمعتها تقدمت إليها فقالت لي: يا عم من أين جئت ، قلت: من الغزو قالت: أما رجع معكم أخي ثم بكت وقالت: ما أبالي ، يرجعون وأخي لم يرجع فغلبتني العبرة ، ثم قلت لها: يا جارية قولي لصاحبة البيت أن أبا قدامة على الباب ، فسمعت المرأة كلامي فخرجت وتغير لونها فسلمت عليها فردت السلام وقالت: أمبشراً جئت أم مُعزياً. قلت: بيّني لي البشارة من التعزية رحمك الله. قالت: إن كان ولدي رجع سالماً فأنت معز ، وإن كان قُتل في سبيل الله فأنت مبشر. فقلت: أبشري. فقد قُبلت هديتك فبكت وقالت: الحمد لله الذي جعله ذخيرة يوم القيامة ، قلت فما فعلت الجارية أخت الغلام. قالت: هي التي تكلمك الساعة فتقدمت إلي فقلت لها: إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة ، فصرخت ووقعت على وجهها مغشياً عليها ، فحركتها بعد ساعة ، فإذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام التي كانت معي لأمه وودعتها وانصرفت حزيناً على الغلام والجارية ومتعجباً من صبر أمهما. إنها قصة التضحية والفداء تصدر عن قوم صدقوا مع الله تعالى فصدق الله معهم! وأتعجب من حكمة أبي قدامة الشامي كم أتعجب من احتساب هذه الأم وصبرها!

2 - بين أبي بكر وعمر

(صديق هذه الأمة خير خلق الله بعد أنبياءه! أخرج البخاري من حديث أبي إدريس الخولاني قال: سمعت أبا الدرداء يقول: كان بين أبي بكر وعمر محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر ؛ فانصرف عنه عمر مغضباً ، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ؛ فلم يفعل حتى أغلق الباب في وجهه ؛ فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو الدرداء: ونحن عنده فقال رسول الله (أما صاحبكم هذا فقد غامر)! قال: وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقص على رسول الله الخبر! قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم! فقال رسول الله: (هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم: كذبت ؛ وقال أبو بكر: صدقت)! وإذن ففضيلة أبي بكر رضي الله عنه - وكونه خير خلق الله بعد رسله لم يحمله هذا على التكبر وازدراء من هو أقل منه عملاً للإسلام ، بل تبعه رضي الله عنه إلى بيته وهو يطلب منه العفو ، ويقول لعمر: استغفر لي ، حتى أغلق عمر باب بيته في وجهه رضي الله عنهما! ولم ينتصر أبو بكر رضي الله عنه لنفسه عندما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر وقال: هل أنتم تاركو لي صاحبي عدة مرات ، بل زاده هذا الموقف حباً لصاحبه ، حتى إنه جثا على ركبتيه وهو يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم! فرضي الله عنك يا صدّيق أمتنا ، لقد كنت أمة وحدك في التسامح والعفو والصفح!

3 ـ سماحة الإمام محمد بن عبد الوهاب

(إنه شمس الجزيرة العربية وقمرها: الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي ، مجدد القرن الثاني عشر الهجري. المصلح العظيم وباعث النهضة الإسلامية في العصر الحديث. ولد في بلدة العُيينة في نجد سنة 1115هـ ، وقرأ القرآن قبل بلوغ العاشرة ، وكان ذكياً ألمعياً حاد الفهم! أخذ العلم عن والده وغيره من العلماء الأجلاء. ثم ذهب لطلب العلم إلى البصرة ومكة والمدينة والأحساء وغيرها ، ثم عاد إلى نجد. كان آمراً بالمعروف ويأتيه ، ناهياً عن المنكر وينتهي عنه ، داعياً إلى توحيد الله وإقامة حدوده ونبذ الشرك والبدع التي انتشرت في وقته ولاقى في سبيل ذلك أذىً كثيراً رحمه الله. ولما اشتهر أمره عاداه كثيرٌ من الناس ـ كما هي سُنة الله فيمن دعا إلى الحق ـ إما جهلاً أو حسداً وعناداً للحق. ثم انتقل إلى الدرعية ، والتقى بأميرها محمد بن سعود فناصره ، ومنها بدأ أمر دعوته في الاستقرار والظهور ، فاهتم بنشر العلم وتوافد الناس عليه من البلدان المجاورة للدرعية. ثم بدأ بمُكاتبة أهل البلدان المُجاورة وتبيين ما هم عليه من الباطل بالدليل من الكتاب والسنة. فلم يستجب له أكثر الناس لحكمةٍ يعلمها الله ، وعاداه كثير من العلماء المبتدعة ، وأثاروا الناس عليه ، وبثوا عنه وعن دعوته الأكاذيبَ من أنه يُكفر الناس وينتقص قدر الرسول صلى الله عليه وسلم والأولياء. فبدأ بالجهاد بالسيف مع الدعوة لإخراج الناس من الشرك وإدخالهم في التوحيد ، فخضع لهم كثيرٌ من البلدان المجاورة. أثنى عليه وعلى دعوته الكثير من العلماء المعاصرين له ، والذين أتوا من بعده ، منهم عالم اليمن وعلامتها الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني الذي كان معاصراً له ، وكذلك العلامة محمد بن علي الشوكاني الذي أتى بعده. وتتلخص أصول دعوته في الأمور الآتية: ـ الدعوة إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك صغيره وكبيره. ـ الاتباع التام لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك الاتباع الخالص من شوب البدعة ولو كان يسيراً. ـ الدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، بفهم علماء السلف ، وجعلهما المصدر الأساس للدين والبعد عن الجمود على التقليد إذا استبان الدليل ، مع البعد الكامل التام عن علم الكلام. ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يلزم من ذلك من نشر العلم الشرعي والجهاد في سبيل الله وإقامة الحدود والرد على أهل الباطل. ـ إحياء مبدأ الولاء للمؤمنين ولو كانوا أبعد الناس والبراء من المشركين والملحدين ولو كانوا أقرب الناس. فهل وعى ذلك القدر وتلك المنزلة عن الشيخ المغرضون والأفاكون والمرتزقة الجهلاء السفهاء البلهاء وأذنابهم الرطبة من الضالين الذين نالوا منه بالباطل ، وشوهوا سُمعته وسيرته وتاريخه ودعوته بغير حق؟! رحم الله الإمام رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وغفر له ذنوبه!

4 ـ زهرة من بستان محمد بن عبد الوهاب

ذكر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حينما سافر إلي مكة رأي عالماً من علمائها على كرسي يحدث الناس ، فأعجبه حديثه وأعجب به! فلما أراد أن يقوم (أي ذلك الشيخ) وهو شيخ كبير معتبر عند أهل مكة ، قال: يا كعبة الله! مشكل هذا ولا شك! أشرك الشيخ! أشرك وهو لا يدري! فطناً ، حيث جلس ينتظر الإقامة للصلاة! ونزل وكان الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله ذكيًا الشيخ من الكرسي ينتظر الإقامة فقال له الشيخ محمد: لقد أعجبني كلامك جزاك الله خيراً ،

كلام طيب وعالم جليل وأنا أريد أن أقرأ عليك من القرآن. قال الشيخ: تفضل يا بني! فقرأ ابن عبد الوهاب من آخر القرآن *قل أعوذ برب الناس قل أعوذ برب الفلق *قل هو الله أحد* *تبت* *الكافرون **النصر **الكوثر** الماعون** لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إلى أن وصل إلى لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ قال: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}! قال الشيخ مصححاً فليعبدوا رب هذا البيت! لا يمكن أن يعبدوا البيت ، لو عبدوا البيت لأشركوا والله ما يأمر بالشرك يا بني! فقال (الشيخ محمد): الله يجزيك خير ويفتح عليك ، طيب! وقال ربكم يقول للشيخ {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } ولا أدعو الكعبة أو قال (الشيخ): لا بل ادعوه هو سبحانه ، ما في أحد يُدعى إلا الله! قال الشيخ محمد: أنا سمعتك يا شيخ لما أردت أن تقوم من الكرسي قلت: يا كعبة الله! قال (الشيخ): الله يفتح عليك يا ولدى ، وصلت رسالتك وفهمت قصدك! وشكره وقال له: جزاك الله خيراً). المصدر: (شرح نونية الإمام الفذ ابن القيم شريط رقم 58 للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله!)

5 - شؤم البسوس

تلك القصة التي امتدت آثارها الوبيلة أربعين سنة من الثأر والدم والكيد والظلم! فمن البسوس؟ وما خبرها؟ أما البسوس فكانت فتاة عربية عرف عنها الشؤم والبؤس ، حتي أصبح يضرب بها المثل في هذا الأمر ، وهي بنت منقذ التميمية ، وفي يوم من الأيام كانت البسوس ذاهبة لزيارة أختها أم جساس بن مُرَّة ، ومعها جار لها من قبيلة جرم ، اسمه سعد بن شمس وكانت معه ناقة له ، فذهبت ناقة الرجل ترعي في مرعي لكليب بن وائل ، فعندما رآها ضربها بسهم فركضت الناقة هاربة الي صاحبها وقد اختلط لبنها بالدم ، فعندما رأي صاحب الناقة الأمر أخبر البسوس بالقصة ، فأصبحت تقول: واذُلَّاه! واغُربتاه! وقالت شعرًا سمي فيما بعد بشعر الفناء. وعندما سمعها ابن اختها جساس وثار الدم في رأسه ، فخرج وقتل كليب واشتعلت الحرب بين القبيلتين دامت أربعين سنة ، وسميت حرب البسوس فأصبحت البسوس مضرباً للمثل في الشؤم والقطيعة لأنها تسببت في هذه الحرب.)

6 - وما يوم حليمة بسر

(الأمثال العربية ، وما أدراك ما الأمثال العربية؟! هذا المثل الجميل له قصة تسمى مضرب المثل! وهذا في أيامنا يضرب به المثل ، فما قصة هذا المثل الحلو؟ كان الحارث بن أبي شمر في حرب مع المنذر بن ماء السماء ، فوجه المنذر جيشاً يقارب علي مئة ألف مقاتل إلي الحارث ، فخشي الحارث علي قومه ، فجاءه رجل يدعي شمر بن عمر بن بكر بن وائل ، وكان قد أغضبه المنذر ، فقرر أن يختبر الحارث أنه يستطيع ان يبطئ المنذر عن القتال ، فانتدب الحارث من قومه مئة رجل ، وأخبرهم أن يأتوا المنذر فيخبرونه أنهم يدينون له ويعطونه حاجته. ثم ذهب الي ابنته حليمة ، وأمرها أن تطيب الرجال ، بمعني أن تضع لهم الطيب ، وكان من بينهم فتي اسمه لبيد بن عمرو ، فعندما اقتربت منه حليمة حتي تطيبه قبلها الفتي ، فضربته وبكت ، وخرجت إلي أبيها ، وشكت له ما حدث ، فأخبرها أن تصمت حتي يعود الرجال من الحرب ، لأن هذا الفتي هو أذكاهم ، فذهبوا إلى المنذر وأخبروه أنهم يدينون له ، وانتظروا حتى غفل الحرس ، فدخلوا على المنذر وقتلوه ومن كان معه ، فقيل: وما يوم حليمة بسر فأصبحت مثلًا.)

7 - الأب الذي تعلم درسا من ابنه

(إنها قصة طريفة مستقاة من تولستوي الكاتب الروسي في قصته العظيمة! يُحكى أنّ نجّارًا كان يعيش في إحدى القرى البعيدة مع زوجته وابنه الصغير ، وكان يقيمُ معهم والده العجوز الطاعن في السنّ. ولم يكُن النجار يحسنُ معاملة والده على الإطلاق ، فقد كان يقدّم له الطعام في إناء قذر مصنوع من الصلصال ، ولم يكن ذلك الطعام بالكافي الذي يسدّ جوع العجوز المسكين. ليس هذا وحسب ، بل كان يُسيءُ إليه بالتوبيخ والصراخ والعبارات القاسية المؤذية كلّما أتيحت له الفرصة لذلك ، والعجوز صامت منكسر لا ينبس ببنت شفة. أمّا ابن النجار الصغير فقد كان مختلفًا عن والده. فلقد كان طفلاً طيبًا يحبّ جدّه كثيرًا ويحترمه ويُحسن معاملته ، وكثيرًا ما شعر بالغضب والضيق من تصرّفات والده. وفي أحد الأيام ، وبينما كانت العائلة تتناول طعام الغداء ، وقع إناء الطعام من بين يدي العجوز دون قصد وتحطّم إلى قطع صغيرة. فاستشاط الابن غضبًا وانهال على والده المسكين بوابل من الشتائم المؤذية الجارحة ، أمّا العجوز فلم يردّ هذه المرّة أيضًا. فلقد كان يشعر بالأسى لأنه كسر الصحن ، وكلمات ابنه مزّقت قلبه دون أن يكون له حيلة في الدفاع عن نفسه أو تهدئة غضب ابنه. لم يتقبّل الحفيد ما كان يحدثُ أمامه ، وحزن أشدّ الحزن لطريقة تعامل والده القاسية مع الجدّ المسكين ، لكنه هو الآخر كان ضعيفًا لا يسعُه الوقوف في وجه والده. وفي اليوم التالي ، ذهب النجار إلى ورشته كالعادة ليبدأ عمله ، فوجد ابنه الصغير هناك وقد راح يصنعُ شيئًا ما بالخشب. فسأله: ما الذي تصنعه يا بنيّ؟ فقال الابن: إني أصنع إناءً خشبيًا للطعام. فقال الأب: إناءٌ خشبي؟ لمن؟ قال الابن: إنّه لك يا أبي! عندما تكبر وتتقدّم في السن مثل جدّي ، ستحتاج إلى إناء طعام خاصّ بك. الأوعية الفخارية تنكسر بسرعة ، وقد أُضطر حينها لتوبيخك بقسوة. لذا ارتأيتُ أن أصنع لك إناءً خشبيًا لا ينكسر. عند هذه الكلمات ، أجهش الأب بالبكاء ، لقد أدرك خطأه أخيرًا ، وعرف مقدار ما سبّبه لوالده المسكين من ألم ، فقرّر التكفير عن أخطائه! ومنذ ذلك اليوم حرص على أن يُحسن لأبيه العجوز ويقوم على رعايته كما يجب. ونتعلم من هذه القصة الطريفة أن نعامل الناس كما نحبّ أن يعاملونا به ، فالدنيا دوّارة وسيأتيك الدور علينا عاجلاً أو آجلاً. ونشكر للأديب الروسي تولستوي حكمته وصياغته وفكرته!

8 - إبراهيم وإسماعيل وأمه

(إن حياة الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – لجديرة بالتأمل والاعتبار! وكذلك مواقف السيدة العظيمة أميرة منف هاجر (أم إسماعيل – رحمها الله مجموعة من المواعظ والآيات التي تصقل العقيدة والتوحيد في نفوس قارئيها ودارسيها! قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ وَكَثِيرِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا ، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ

أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ: أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا! ثُمَّ رَجَعَتْ. فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ رَبِّ: (إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) حَتَّى بَلَغَ (يَشْكُرُونَ)! وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا ف، لَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ ، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ ، حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا ، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا! فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا ، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا ، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إ،ِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ! فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا! قَالَ: فَشَرِبَتْ ، وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا. فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ ، يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ! وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ. فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ! لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ ، فَأَقْبَلُوا ، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ! قَالُوا نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ ، فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ ، وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ ف، َشَكَتْ إِلَيْهِ قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ! فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا ، فَسَأَلَنَا عَنْكَ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ! قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ! قَالَ: ذَاكِ أَبِي ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ! فَطَلَّقَهَا ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى ، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا. قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ! فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ! فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ. قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتِ: الْمَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ. قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ. قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ ، فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ! فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ:

هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا ،فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ! قَالَ: ذَاكِ أَبِي ، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ! ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ ، قَالَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ. قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا ، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي ، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي ، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)! إن تفويض الإنسان أمره لله رب العالمين لجدير بأن يملأ حياته سعادة ورضا واطمئنان! عليك سلام الله يا خليل الله ، وعليك سلام الله يا إسماعيل ، ورحمك الله يا أميرتنا هاجر رحمة واسعة!)

9 ـ الثبات لماذا؟

(مرضت هذه المؤمنة ، وعجز الطب عن علاجها. فأتتها مُفسدة تصف الشعوذة علاجاً وحلاً ، فتشبثت المريضة بركائز الإيمان ، ورفضت الشرك بالله عز وجل ، وصبرت محتسبة على الله ما هي فيه بصدق (والله حسيبها ووكيلها) ، ودعت الله وألحّت في الدعاء ، فشفاها الله وثبت إيمانها. وهذا هو الدور المنوط بالمسلم في مثل هذه المواقف العاتية! أقول ذلك لتستعلي العقيدة والتوحيد في نفوس المسلمين ، وليعلموا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن! وليعلموا أن النصر والفرج والرزق والشفاء والخير كل أولئك من عند الله وحده وبيده تبارك وتعالى وحده! فلا يصبح أحد من المسلمين ميكافيلياً يعتبر الغاية مبرراً للوسيلة! بل الذي تعبدنا بالغايات تعبدنا بالوسائل سبحانه! وإذن فالمقاصد لها حكم الوسائل المؤدية إلى تحقيقها! فإذا كانت المقاصد مشروعة مباحة ، فلا بد أن تكون الوسائل المؤدية إلى تحقيقها مشروعة مباحة كذلك!)

10 – الثعبان 1

(قبل سنوات كتبت (الربان والثعبان) وأيضا كتبت (الأفعى) وأخيراً كتبت (الثعبان حارساً). واليوم أكتب عن ثعبان آدمي ، يغير جلده كما يغير الثعبان جلده. ولكن التقاة الواعين لا يخدعون في مثل هذا النوع من الثعابين الآدمية! والعجيب أن كثيراً من الثعابين الآدمية يزخرف لهم الشيطان أحاجيهم وألاعيبهم فيظنون أن الناس من حولهم لا تعرف حقيقتهم! والحقيقة المُرة التي يجب أن يعرفها ثعابين الإنس أن كثيراً من الناس يعرفون حقيقتهم ويأخذون حذرهم منهم. ألا وإن الثعبان الحقيقي يمكن أخذ الحيطة منه ، بينما الثعبان الآدمي لا يمكن أخذ الحذر منه ولا الاحتياط من شره ، حيث إنه يلقاك بوجه أبي ذر وقلب أبي لهب. ومن أنت حتى تعلم ما في القلوب وما انطوت عليه النوايا؟ اللهم إلا إذا ذاع سرّه ، وحذر بعضهم بعضاً منه!)

11 - الثعبان 2

(لعب ذلك الصِل لعبة على أوراق عقد شراء. ثم امتدت اللعبة للواقع. إذ أثبتت له الملكية التي هي لغيره. ولدغ لدغته! أما المظلوم فاشتكى إلى الله. يقول الدكتور مصطفى محمود: (والكون كله جدول من القوانين المنضبطة الصريحة التي لا غش فيها ولا خداع. سوف يرتفع صوت ليقول: وما رأيك فيما نحن فيه من الغش والخداع والحروب والمظالم وقتل بعضنا البعض بغياً وعدوانا؟ أين النظام هنا؟ وسوف أقول له: هذا شيء آخر. فإن ما يحدث بيننا نحن دولة بني آدم يحدث لأن الله أخلفنا في الأرض وأقامنا ملوكاً نحكم وأعطانا الحرية. وعرض علينا الأمانة فقبلناها. وكان معنى إعطائنا الحرية أن تصبح لنا إمكانية الخطأ والصواب. وكان كل ما نرى حولنا في دنيانا البشرية نتيجة هذه الحرية التي أسأنا استعمالها).هـ. فكتبتُ منددا على البحر المجتث هذه القصيدة مبيناً ما قام به ذلك الصل الآدمي الحقير في غفلةٍ مني وغفوةٍ ولا شك. والله تعالى المستعان عليه وعلى أعوانه!)

12 - الثعبان حارساً

(نشرت جريدة الجزيرة في عددها (852) أن رجلاً استقل ابنه ذا السنوات الثلاث إلى مزرعته عبر سيارته. وبعد ساعة لم يجد الولد فبحث في كل مكان دون جدوى. فاستقل سيارته لإبلاغ الشرطة. فإذا بمحمد (ولده) نائم في السيارة ، وقد التف حوله ثعبان طوله متر تقريباً. فتوهم الأب أن هذا الثعبان قد لدغه وأنه ميت بالطبع. يقول: فذهبت لإحضار عصا ، فاستيقظ محمد وصاح ، ونزل الثعبان من باب السيارة! فسبحان من له في خلقه شؤون. أرسل الله ذلك الثعبان ليس ليلدغ ولكن ليحرس. ولما جاء مَن كان يجب أن يكون حارساً وهو الوالد ، انتهت مهمة الحارس المناوب (الثعبان). ولذا ودّع الجميع ، ومضى إلى حال سبيله ، وكأنه يقول: لقد انتهت مهمتي بمجيئك أيها الأب والسلام. إن الغابة التي نعيش في أرحابها والتي البقاء فيها اليوم للأقوى ، يجب أن يطالع قصيدتي هذي كثيرٌ من أهلها من الحيتان الآدمية والوحوش الكاسرة - من بني الإنس – إنني أنشدت من شعري هذه القصيدة ليعتبروا بهذا الثعبان وحتى يعلموا أنهم في مرتبة هي دون هذا الثعبان ، ذلك الحارس الأمين المخلص. إن العصابات التي تسرق الأطفال وتتخذهم رهائن لكي تبتز المال من أهليهم وذويهم مقابل استرجاعهم ، والمجرمين الذين يسرقون الأطفال لتقطيعهم وجعلهم قطع غيار تباع كقطع غيار السيارات والآلات ، والمجرمين الذين يسرقون الأطفال لتشغيلهم في العهر والرذيلة ، والمجرمين الذين يسرقون الأطفال ليبيعوهم للآخرين ويرتزقوا من ورائهم الأموال الطائلة ، والمجرمين الذين يسرقون الأطفال ليجعلوا منهم متسولين ، ثم يبتزونهم بعد حصولهم على المال من الناس ، إن هؤلاء جميعاً يجب أن يطالعوا هذه القصيدة. ومن هنا رحت أنشدها مشيداً بأخلاق ذلك الثعبان الأمين ومعرضاً بالغابة والوحوش الآدمية التي ابتلينا بها وبمن فيها من الأوابد والوحوش الآدمية التي لا ترحم!)

13 - الثور الأبيض

(وصف بعضهم أحد الكفار بأنه ثور ، فعارضه صاحبه في استظراف قائلاً: بل هو ثور أبيض. فقال الأول: بل أسود. وتحاكما إليّ فزدت عليهما حبات الطين بلة على حد تعبير أحدهم عندما قلت لهما: المهم أنه ثور. وأزيدكم: بل هو أضل من الثور أبيض كان أو أسود. وذلك لأن الثور - كسائر البهائم والعجماوات والسوائم – لم يذنب ولم يشرك بالله ولم يكفر به. فالثور خلقٌ مسلمٌ موحّدٌ! (ولله أسلم مَن في السماوات والأرض) ، والثور من مخلوقات الله الأرضية أي التي تعيش على الأرض. والثور - في حقيقته لمن تأمل - خلق مسبح: (سبح لله ما في السماوات والأرض) والثور داخل في عموم (ما). (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ، والثور داخل في عموم (شيء) وذلك لأن (شيء) هنا نكرة في سياق العموم ، فهي تفيد كل من وما يندرج تحتها ، كما يقول أهل العربية. والقرآن يُصَدّق كلامي هذا في دونية الكفار للأنعام والبهائم: (أولئك كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً).)

14 - إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض

(إن أصل هذا المثل العربي يعود إلى أن علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: إنما مثلي ومثل عثمان - رضي الله عنه – كمثل أثوار ثلاثة كانوا في أجمة: أبيض وأسود وأحمر ومعهم أسد. فكان لا يقدر على شيء منهم وذلك لاجتماع الكل عليه. فقال الأسد لهما: لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض ، فإن لونه مشهور ، ولوني على لونكما ، فلو تركتماه لي آكله صفت لنا الأجمة. فقالا: دونك فكله. فأكله الأسد. ثم قال للثور الأحمر بعد حين: إن لوني على لونك فدعني آكل الثور الأسود ، فأذن له ، فأكله. وجاء الأسد بعد حين يقول للثور الأحمر: إني آكلك لا محالة. فقال: دعني أنادي ثلاثاً. فقال: افعل. فنادى: ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض! يقول عليّ: وكذلك أنا وهنت يوم قتل عثمان ، قالها يرفع بها صوته ليسمع الناس. وصارت مثلاً تضربه العرب في الرجل يزأر بأخيه الذي كان عضده ورداه في الحياة. ولقد كان الشاعر ينشد في إخوةٍ أشقاء له أن يكونوا منه كما كان عثمان من علي وعلي من عثمان. ولكن أبى الأشقاء وهم يعلمون ، أبوْا إلا أن يكونوا أعداء ألدّاء في غربة كان كل شقيق في أمس الحاجة إلى دفء وعطف وحنان وعطاء وقوة شقيقه. رضُوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها. وأثبتت الأيام أنه كان خطأ كبيرا منه أن يثق فيهم ثقة عمياء ، ويُطلعهم على أسراره بدون أدنى مواربة ، الأمر الذي جعلهم يستخدمون كل هذه الأشياء في التشفي من أخيهما. فباتوا بذلك أضحوكة الناس من حولهم. فأنشدت هذه القصيدة أنعي بها ذهاب الأخوة والمروءة وهي من البحر الطويل والقافية الرائية. يقول الأستاذ محمد المنجد عن الأخوة في الله ما نصه: (قول الله عز وجل: (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً). لا يوجد في دين من الأديان أو مذهب من المذاهب أو مكان من الأمكنة شيءٌ اسمه الأخوة التي هي بهذا الطعم إلا في الإسلام! لا يمكن أن يوجد مطلقاً لأن هذا الشعور - شعور الأخوة في الله والتآخي في الله - نعمة عظيمة لا يشعر بها إلا المسلمون ، لا يشعر بها إلا الذين جعلهم الله إخوة. والمجتمع الإسلامي يقوم على دعامتين أساسيتين: الإيمان والأخوة: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً). فلا يمكن أن يقوم المجتمع الإسلامي قياماً صحيحاً على سوقه كما أمر الله إلا بهاتين الدعامتين الأساسيتين: الإيمان والأخوة ، ولذلك أمر الله بالتآخي ، وعقد من عنده عز وجل عقد الأخوة بين المؤمنين ،

فقال عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ). فالأخوة تنبثق من التقوى ومن الإسلام. وإعانة الأخ المسلم في قضاء حوائجه: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث الحسن الذي رواه الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - (أحب الناس إلى الله أنفعهم – أي الذي ينفع أكثر يحبه الله أكثر- وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة – كأن يقع في مشكلة فتزيلها عنه - أو تقضي عنه ديناً) هذا الأخ عليه ديون وعليه نقود تزوج – مثلاً - وعليه ديون ، احتاج لحاجة معينة ، صار له حادث سيارة ، يبني بيتاً ، صار عليه دين - (أو تطرد عنه جوعاً - أحياناً قد يجوع المسلم ، قد يجد الطعام أو لا يجده ، المهم أن يكون في مناسبة أو في وضع جائع - ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجته أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً) المسجد النبوي الصلاة فيه بألف صلاة ، وفي بعض الروايات: خمسمائة صلاة. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجته أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً). تمشي مع أخيك المسلم في حاجته ، فتأخذ أكثر من أجر الاعتكاف في المسجد النبوي شهراً ، فهذه المسألة تحتاج إلى تفكير لأن تصورها صعب. أمشي مع أخي المسلم لأقضي له حاجته: عنده مشكلة ، أو عنده شيء يريد مساعدة فيه - أي مساعدة - فأذهب معه حتى أقضي له حاجته وأزيل عنه هذه الكربة أفضل عند الله من الاعتكاف شهراً في المسجد النبوي (ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام).هـ. فتخيلتُ بطل قصيدتنا يشكو الحال ، ويصف إخوته الأوباش الأنانيون الأراذل ، الذين تنكروا لمعروفه ، وأنكروا جميله ، وأهدروا فضله ، ونسفوا عطاءه! ويبين كيف أنها بلوى عظمى ، أن يبتلي الله تعالى عبداً من عباده بإخوة كهؤلاء! ويصرح بأنه أكل يوم أكل الثور الأبيض ، كما صرح بذلك في سالف الدهر ، تاج رؤوسنا علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه -! حيث إن خُذلان إخوته كان جسر العدا لينالوا منه!)

15 - بين الجامع والجامعة

(سُئل أحد أساتذتنا عن الكم الهائل الذي يستظهره من أحاديث الرسول الكريم – صلوات ربي وسلامه عليه – وهذا الاستظهار من الأستاذ يشمل المُتون والأسانيد والشروح ، ثم هو يعزو كل قول لقائله بعد ذلك. ألا إنها عملية جد شاقة. فأجاب الأستاذ: لأنني تعلمتُ في الجامع ، ولم أتعلم في الجامعة ، وليس الذكر كالأنثى. فكان رداً موفقاً قاطعاً مفحماً. وقليلاً ما قرأنا أو سمعنا بمثل هذا الرد المسكت للخصم. إذ يجعله لا يُحري حتى مجرد التعليق عليه ، إلا من باب الثناء على قائله. ولقد عاينا أساتذة في الجامعة يستحقون التقدير والإعجاب والثناء والمدح. كما عاينا آخرين لا يستحقون مجرد الذكر. وإذن فالمسألة ليست كما يتصورها كثيرون ، مسألة علم يُتقيأ في ساحات التنظير وغرف الدراسة فقط. بل هي في حقيقتها إدالة خبرات وتجارب وثقافات وقناعات للدارسين على أيدي من يقومون بالتدريس لهم. إن التعليم أو بالأحرى التدريس علم وذوق وفن وأخلاق وقيم ورسالة ، قبل أن يكون مجرد وظيفة ارتزاقية. وفرقٌ كبير جداً بين المعلمين المربين وبين المرتزقة الموظفين. ولقد أصبحتْ مهنة التدريس في هذا الزمان وفي الغالب الأعم مهنة من لا يمتهن مهنة. بينما كون التدريس رسالةً وتوقيعاً عن رب العالمين وأنبيائه المرسلين فهذا لا يكاد المرتزقة يعلمون عنه شيئاً البته. والجامع الذي أورده

أستاذنا في رده هو معقلُ العلم والثقافة لا مجرد صلاة الناس فقط. إن جواب الأستاذ الدكتور الشيخ لا أنساه أبداً. ولذا كتبتُ من باب الثناء على الجواب وصاحبه هذه القصيدة! حكى الإمام ورش المصري عن تجربته في حلقة الإمام نافع في المسجد النبوي ، فقال: "خرجتُ من مصر لأقرأ على نافع ، فلما وصلتُ إلى المدينة صرتُ إلى مسجد نافع ، فإذا هو لا تُطاق القراءة عليه من كثرة الطلاب! وإنما يُقْرِئ ثلاثين ، فجلستُ خلف الحلقة وقُلتُ لإنسان: مَن أكبرُ الناس عند نافع؟ فقال لي: كبير الجعفريين. فقلتُ: فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك إلى منزله. وجئنا إلى منزله ، فخرج شيخٌ ، فقُلتُ: أنا من مصر ، جئتُ لأقرأ على نافع فلم أصل إليه ، وأُخبرْتُ أنك من أصدق الناس له ، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه. فقال: نعم وكرامة. وأخذ طيلسانه ومضى معنا إلى نافع ، وكان لنافع كنيتان أبو رويم وأبو عبد الله ، فبأيهما نودي أجاب ، فقال له الجعفري: هذا وسيلتي إليك جاء من مصر ، ليس معه تجارة ولا جاء لحج ، إنما جاء للقراءة خاصة. فقال: تُرى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار؟ فقال صديقه: تحتال له. فقال لي نافع: أيمكنك أن تبيت في المسجد. قلت: نعم. فبتُّ في المسجد ، فلما أن كان الفجر ، جاء نافع فقال: ما فعل الغريب؟ فقلت: ها أنا ، رحمك الله. قال: أنت أولى بالقراءة. قال: وكنتُ مع ذلك حسن الصوت ، مدادًا به. فاستفتحتُ فملأ صوتي مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ فقرأتُ ثلاثين آية ، فأشار فسكَتُّ ، فقام إليه شابٌّ من الحلقة ، فقال: يا معلم ـ أعزك الله ـ نحن معك ، وهذا رجل غريب ، وإنما رحل للقراءة عليك ، وقد جعلت له عشرًا ، واقتصر على عُشرين. فقال: نعم وكرامة. فقرأتُ عُشرًا. فقام فتى آخر فقال كقول صاحبه ، فقرأتُ عُشرًا وقعدتُ ، حتى لم يبق له أحد ممن له قراءة ، فقال لي: اقرأ. فأقرأني خمسين آية ، فما زلتُ أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأتُ عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة. الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يَا أَبَا ذَرٍّ ، لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ ، عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ. أخرجه ابن ماجة ، ضعيف الجامع. وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ الله عَنْه ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ـ قَالَ: مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ. أخرجه الطبرانى وقال الهيثمي: رجاله موثقون كلهم. والحاكم ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر. قال الألباني: حسن صحيح. وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ: مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا ، لَمْ يَأْتِ إِلاَّ لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ ، أَوْ يُعَلِّمُهُ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ. أخرجه ابن أبي شَيْبَة و(أحمد) و(ابن ماجة). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ). أخرجه "أحمد ومسلم". وقد كان للصحابة رضوان الله عليهم حلقات للعلم في المسجد النبوي ، فقد ذكر مكحول عن رجل أنه قال: "كنا جلوسًا في حلقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد المدينة نتذاكر فضائل

القرآن ، فذُكِر الحديثُ في أعجوبة (بسم الله الرحمن الرحيم). ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق. وكان لأبي هريرة رضي الله عنه حلقة في المسجد النبوي يُعلِّم فيها حديث رسول الله ، وكانت هذه الحلقة تعكس سعة حفظ أبي هريرة رضي الله عنه ، كما كانت تجيش بعواطفه الصادقة تجاه النبي ؛ فقد دخل رجل على معاوية رضي الله عنه فقال: "مررت بالمدينة ، فإذا أبو هريرة جالس في المسجد ، حوله حلقة يحدثهم ، فقال: حدثني خليلي أبو القاسم. ثم استعبر ، فبكى. ثم عاد، فقال: حدثني خليلي نبي الله أبو القاسم. ثم استعبر ، فبكى ، ثم قام. الذهبي: سير أعلام النبلاء. وكذلك كان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حلقة شهيرة في مسجد دمشق ، وصفها لنا أبو إدريس الخولاني ، فقال: "دخلت مسجد دمشق فإذا أنا بفتى براق الثنايا ، طويل الصمت ، وإذا الناس معه ، فإذا اختلفوا في الشيء، أسندوه وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه ، فقيل هذا معاذ بن جبل. الإمام الفسوي: المعرفة والتاريخ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادَوْا هلموا إلى حاجتكم ، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال: فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم منهم ـ: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك ، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم). رواه البخاري. خرج أبو هريرة رضي الله عنه إلى السوق بعد موت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرأى حال الناس فيه ، وهم يبتاعون ويشترون فنادى في سوق المدينة بأن ميراث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُقسم في المسجد وأنتم هاهنا! فلما ذهبوا ولم يجدوا شيئًا رجعوا وأخبروه فقال لهم: وما رأيتم في المسجد؟ قالوا: رأينا قومًا يُصَلون ، وقومًا يقرأون القرآن وقوما يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وعن مسلم بن مشكم: قال لي أبو الدرداء: أعدد من في مجلسنا. قال: فجاؤوا ألفاً وستَّ مئة ونيِّفًا فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة عشرة فإذا صلى الصبح انفتل ، وقرأ جزءًا فيحدقون به يسمعون ألفاظه ، وكان ابن عامر مقدمًا فيهم. وعن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال: كان أبو الدرداء يصلي ثم يُقرئ ويقرأ حتى إذا أراد القيام قال: هل من وليمة أو عقيقة نشهدها؟ فإن قالوا: نعم ، وإلا قال: اللهم إني أشهدك أني صائم. سير أعلام النبلاء. وأكتفي بهذا المقدار في التقديم!)

16 - الجبال من القضيض

(عاب عليّ بعضهم هذه اللهجة الحزينة في شعري ، وهذا القالب الجنائزي الذي أصبُّ فيه القريض صباً. وهذه النبرة الحزينة التي أنشد بها قصائدي! وباتت هذه خصلة عُرفتُ بها في عالم الشعراء وفي دنيا القريض. ولامني الأستاذ الزميل عصام الشيمي ، معلم التربية الإسلامية بالمدرسة الراشدية بعجمان ، أي في ذات المدرسة التي أعمل بها ، وأخذتُ أسأل صاحبي هذا وغيره وأقول: ما الذي يبعث على الفرحة والسرور في عالمنا الذي نعيش؟ مقدسات المسلمين لا تزال في أيدي أعدائهم ، ولا حدود لله تطبق ، ولا قيم إسلامية أصيلة تطغى على حياة أغلب الناس الذين نحيا بينهم ، بل تسود قيم الجاهلية. وأهلُ الحق معادون ، وأهل السوء مقربون معززون مكرمون. وإذن فالأحزان تذيب القلوب. وتلك الأحزانَ عندما

تتراكمُ وتَزدحمُ وتجتمع على القلب ، ويَعدمُ صاحبُ هذا القلب الأصحابَ والخلانَ والأصدقاءَ والصحبَ ، فإنّ هذه الأحزانَ تكونُ بمثابة الخناجر في الأحشاء ، والسِّهام في الضمير والعاطفة والإحساس ، ولقد يُخيَّل إلى كثيرين أنّ الحُزن يَزيدُ مِن مَدَى التجربة وصَدَى الدُربة والمران في حياة الإنسان ، إلا أنَّي أرَى أنّ الحُزن فوق الحزن ، والهَم فوق الهم ، والكربَ فوق الكرب والألمَ فوقَ الألم ، والإحنة فوق الإحنة ، والضنك فوق الضنك ، يزيد من الدربة والقدرة على المواجهة ، فضلاً عن جعل ابن الثلاثين ابنَ ثمانين! نعم إنّ الأحزانَ تُذيبُ العُمر والشباب والفحولة والصبا ، كشرارة النار تبدأ صغيرة ثم تكبر شيئاً فشيئاً ، حتى لا تبقِي من الخير حَبَّةِ خردلِ ، والعبقري مَن عَلِمَ أنَّ الجِبالَ مِنَ القضيض.)

17 - الجُذور

(ما أحلى أن يحلل الشاعر ما يدور حوله من الأحداث ، ويرجع كل ما حدث إلى الأسباب المؤدية إليه . إن مثل هذا يجعل الشاعر على دراية شبه كاملة بتوقع ما تؤول إليه الأحداث. يقول ابن القيم في (الفوائد صـ 193): (مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري في الخواطر والأفكار ، فإنها توجب على التصورات ، والتصورات تدعو إلى الإرادات . والإرادات تقتضى وقوع الفعل ، وكثرة تكراره تقضي العادة ، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار ، وفسادها بفساد هذه الخواطر وتلك الأفكار ، فصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها وإلهها ، صاعدة إليه دائرة على مرضاته ومحبته ، فإنه سبحانه به كل صلاح ، ومن عنده كل هُدى ومن توفيقه كل رشد ، ومن توليه لعبده كل حفظ ، ومن توليه عنه وإعراضه كل ضلال وشقاء ، فيظهر العبد بكل خير وهدى ورشد بقدر إثبات عين فكرته في آلائه ونعمه ، وتوحيده وطرق معرفته وطرق عبوديته ، وإنزاله إياه حاضراً معه مشاهداً له ناظراً إليه رقيباً عليه مطلعاً على خواطره وإرادته وهمته).هـ. يقول الأستاذ خالد سعود البليهد متحدثاً عن الابتلاء ما نصه: (إن من السنن الكونية وقوع البلاء على المخلوقين اختباراً لهم ، وتمحيصاً لذنوبهم وتمييزاً بين الصادق والكاذب منهم قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ). وقال: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ). وقال: (ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي وقال حديث حسن. وأكمل الناس إيماناً أشدهم إبتلاء ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلباً اشتد به بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. أخرجه الإمام أحمد وغيره. وفوائد الابتلاء: • تكفير الذنوب ومحو السيئات. • رفع الدرجة والمنزلة في الآخرة. • الشعور بالتفريط في حق الله واتهام النفس ولومها. • فتح باب التوبة والذل والانكسار بين يدي الله. • تقوية صلة العبد بربه. • تذكر أهل الشقاء والمحرومين والإحساس بآلامهم. • قوة الإيمان بقضاء الله وقدره واليقين بأنه لا ينفع ولا يضر الا الله. • تذكر المآل وإبصار الدنيا على حقيقتها. والناس حين نزول البلاء ثلاثة أقسام: الأول:

محروم من الخير يقابل البلاء بالتسخط وسوء الظن بالله واتهام القدر. الثاني: موفق يقابل البلاء بالصبر وحسن الظن بالله. الثالث: راض يقابل البلاء بالرضا والشكر وهو أمر زائد على الصبر. والمؤمن كل أمره خير فهو في نعمة وعافية في جميع أحواله قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). رواه مسلم. واقتضت حكمة الله اختصاص المؤمن غالباً بنزول البلاء تعجيلاً لعقوبته في الدنيا أو رفعاً لمنزلته! أما الكافر والمنافق فيُعافى ويصرف عنه البلاء. وتؤخر عقوبته في الآخرة. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد). رواه مسلم. والبلاء له صور كثيرة: بلاء في الأهل وفى المال وفى الولد وفى الدين ، وأعظمها ما يبتلى به العبد في دينه. وقد جُمع للنبي كثير من أنواع البلاء فابتلى في أهله وماله ، وولده ، ودينه فصبر واحتسب وأحسن الظن بربه ورضي بحكمه وامتثل الشرع ولم يتجاوز حدوده فصار بحق قدوة يحتذي به لكل مبتلى).هـ. إنني أكتب (الجذور) لأشير إلى ذات المعنى الذى أشار إليه ابن القيم إن البدأ من ذات الإنسان. ومن بعد ذلك تأتى النتائج فوق رأسه: إن خير فخير وإن شر فشر. (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال). فالأعمال كالنبات تستمد قوام حياتها من الجذور. فهذه الجذور إن كانت صالحة أمدت بالحياة والعكس بالعكس. (إن لكل نتيجة مقدمات أدت إليها ، ويوم يبدأ الإنسان بالنتيجة ليصل إلى المقدمات فلن يصل إلى شيء ، بل يبدأ من المقدمات ليصل إلى النتيجة!)

18 - الجفاف

(إن الجفاف الذي أعني هو نضوب الحياة من الخلان الذين كانوا يملؤونها أيام اليسر والفرج. إن أصحاباً هذا شأنهم ، ليسوا يستحقون هذا الشرف العظيم ، ولكن يبقى الأنس بهم على ما هم عليه شيئاً يصبو القلب إليه. ينشد فيهم الكمال يوماً ما ، والصاحب الحقيقي والصديق الحقيقي هو الذي يكون مع محبه وصديقه على الحالتين (الحلوة والمرة) ، كما قد سمعت غير مرة من العامة. وأسأل: هل العيب عيب هؤلاء الأصدقاء والأصحاب في تخليهم وخذلانهم المُقيت المستهجن؟ أم العيب عيبي أنا في الاختيار إذ لم أحسن اختيار أصحابي هؤلاء؟ والحق أنه قد يكون الاحتمال الثاني هو العيب. إنها لحياة كئيبة تلك التي يحياها مخلوق صاحب مبادئ إن هو عدم الأحباب والخلان. وإنه الجفاف يأكل من سروره وحبوره يوماً بعد يوم. وعلى المرء ساعتها أن يقوّم نفسه قبل أن ينظر إلى اعوجاج الآخرين وانحرافهم. قال الأستاذ أحمد المتوكل واصفاً شوق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى أحبابه وشوقهم إليه ما نصه: (لقد أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محبة زائدة عظيمة من استجاب لدعوته واتبع نهجه وصَحِبَه في حياته ، وأحب إخوانه من أمته الذين يأتون من بعده واشتاق إليهم قبل أن يشتاقوا إليه ، وتمنى اللقاء بهم. ولقد شهِد بفضل رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ كلُّ من رآه ممن لم تكن على عينيه غشاوة ، وأحبه كلُّ من عرف هديه وسُنته وسِيرته ، ممن لم يكن على قلبه كِنٌّ وأحبه أصحابه حباً جماً ، حتى إنهم كانوا لا يمَلُّون من مجالسته والتحدث معه والسماع منه والأخذ عنه والجهاد معه ، وكانوا إذا غابوا عنه قليلاً

سرعان ما يحِنُّون لرؤيته ويُهْرَعون إلى النظر إلى وجهه الأنور الأغر ، ومحياه الأزهر ، ووُجد من أمته من يجيء بعده بعدة قرون يؤمن به ويصدقه ولم يره ، ويسلم بكل ما جاء به ، ويهيِّجه الشوق إلى رؤية وجهه الشريف ، والتمتع بطلعته البهية. والشوق في اللغة مأخوذ من ميل النفس إلى شيء بعينه! قال ابن منظور رحمه الله: الشوق والاشتياق نِزاعُ النفس إلى الشيء ، والجمع أشواق. والشوق حركةُ الهوى. فالشوق إذن هو: التطلع إلى رؤية المحبوب إذا هاجت النفس إليه واستوحشته وتشوفت إليه ورغِبَتْ فيه بشدة. والقرن الفاضل من هذه الأمة هو قرن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ثم الذين يَلُونَهم ، ثم الذين يَلُونَهم. ويجيء من بعدِهم سابقون مقربون ، وأولياء ربانيون ، وشهداء وصالحون ، وعلماء مربون ناصحون ، وقائمون لله بالقسط من خيار أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم - لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، رغم بُعدِ الزمان وطول العهد ، وهؤلاء حنَّ إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واشتاق لرؤيتهم واعتبرهم إخواناً له ، وتمنى اللقاء بهم ، وبشرّهم بأنه سيسبقهم إلى حوضه وينتظرهم هناك ليسقيَهم منه. وكان صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ذات يوم يزورون المقبرة فقال لهم: وددت أنا قد رأينا إخوانَنَا ، قالوا: أولسنا إخوانَك يا رسول الله؟! قال: بل أنتم أصحابي ، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعدُ ، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُرٌّ مُحَجَّلةٌ بين ظهري خيل دُهمٍ بُهْمٍ ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: فإنهم يأتون غُرّاً مُحَجَّلين من الوضوء وأنا فَرَطُهم على الحوض. ففي هذا الحديث المبشر أخبر الحبيب الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن له في آخر الزمان إخواناً من بعده ، ليسوا أنبياء لأن النبوة به خُتِمت ، وليس فيها نفي لأخُوةِ الصحابة لرسول الله ، ولكن الرسول ذَكَرَ مرتبتهم الزائدة بالصحبة ، فهؤلاء إخوةٌ صحابة ، والذين لم يأتوا بعد ، إخوةٌ ليسوا بصحابة ، ولكن لهم فضل بما آمنوا به ولم يروه ، وبالتعلق القلبي والمحبة الخالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء الكامل ، والشوق الزائد المتوقد ، والإيمان المتجدد ، ولهم فضل بما صبروا على غربة الإسلام ، وعلى شدة وكيد أعداء الإسلام على أهل الإيمان. ناس أخيار يأتون من بعده صلى الله عليه وسلم ، أنزلهم منزلة الإخوان ، في مرتبة تحاذي مرتبة الصحابة وتقاربها ، هم ناس يحبون الله ورسوله المحبة المزدوجة التي هي بمثابة الجناحين لمن أهَّلَه الله للتحليق في ذلك الأفق). ومن هنا تحدثت عن اشتياق الخليل لخليله! والصحْبة الإيمانية والأخوة التوحيدية لا تعدل أبداً! والحمد لله أن النبي – عليه السلام – وسع دائرة الصحبة: رب أخ لك لم تلده أمك!)

19 - الجمال الرخيص

(إن كثيراً من الناس لا يُمَثل العِرض عندهم أي شيء على الإطلاق. وذلك بعد أن طغى سلطان المال على سلطان الأعراض. وعند الكثيرين يُضحى بالعِرض في سبيل المال. ومن هنا أكتب (الجمال الرخيص) لهذا الصنف من الناس. والمرأة تريد الرجل ، والرجل يريد المرأة. ولذا وضعت الشريعة العواصم والقيود لضبط العلاقة بينهما. ومنذ طبق الناس الشرع في الأرض ضبطت هذه العلاقة ضبطاً عظيماً. وتفيأ المجتمع ظلال الإسلام الوارفة الجميلة. ومن يوم أن عبثت الأصابع الماسونية الملعونة وأعوانها وأذنابها الرطبة في ضبط هذه العلاقة ،

عاشت البشرية الشقاء المرير الذي نرى ونحس ونلمس. إن كل جمال لا يُغلف ولا يُحجب ولا يُغطى ، فإنه لا محالة عُرضة للحشرات والعيون المسعورة والقلوب المحترقة بنيران الشهوات والعقول التي عبثت بها أصابع شياطين الإنس وكذا شياطين الجن إلى أن أصبحت الكلأ المباح الزلال لها ، ومن هنا تبرز لنا أهمية الحشمة والحجاب والعفاف والوقار. ومن هذا المنطلق رحتُ أخاطب إحدى بنيات حواء من الضحايا والسبايا ، وأقرّع الآباء الذين رضُوا بأن يكونوا مع الخوالف فطبع على قلوبهم ، فهم في ريبهم يترددون. فارتضوا لأنفسهم أن يكونوا ديوثين على أعراض نسائهم! وذلك بعد أن تبرجت نساؤهم أشد وأنكى من تبرج الجاهلية الأولى! يقول العلامة ابن كثير في تفسيره الآية: (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) ما نصه: (قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}: إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج ، فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال مقاتل بن حيان: والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده ، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها ، وذلك التبرج ، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج. وقال ابن جرير: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} كانت فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحاً ، وفي النساء دمامة. وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام ، فآجر نفسه منه فكان يخدمه ، فاتخذ إبليس شيئاً من مثل الذي يرمز فيه الرعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة ، فيتبرج النساء للرجال ، قال ويتزين الرجال لهن ، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصباحتهن ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهن فنزلوا معهن ، وظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله تعالى: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}.).هـ. ويخاطب الأستاذ سالم العجمي الأخت المؤمنة ناصحاً إياها بالحجاب والحشمة فيقول ما نصه: (اعلمي أنك حين تلبسين الحجاب الشرعي فإنك تلبسينه طاعة لربك ، وحري بك وهذا حالك أن ترفعي به رأساً ، وتبتهجي به أُنساً. أليس غريباً أن تفخر المتبرجة بتبرجها ، ولا تفخري أنت بحجابك؟ واحذري أن تلفك الموجة كما دارت بغيرك ، فجعلت مشرقه مغرباً وجنوبه شمالاً. احذري (التبرج المعلب) الذي لم يأخذ من الستر إلا اسمه ، ولم يبق معه من الحجاب إلا رسمه. لقد دخل علينا أعداؤنا مدخل السوء ؛ وبدأوا يدخلون التبرج والإسفاف على ملابس نساء المسلمين ، دون تنبه منا ؛ ولو قالوا للمسلمة المحافظة: اخلعي حجابك الشرعي لأبت وصرخت ؛ فدخلوا عليها بحيل دنيئة ، وصرنا نرى القطعة الدائرة حول الرأس المسماة بالحجاب وقد تزينت بأنواع الزينة والألوان الصارخة. واعلمي أنني أعني بالحجاب ؛ الحجاب الشرعي الساتر لجميع البدن. فازدادي تمسكاً به ، فهو الثروة المربحة في زمن الإفلاس).هـ. لقد حَرَمَ الجاهليُّون المرأة حقَّها في الحياة ، فقتلوها وذلك بوأدِ البنت ، وهي: أن تُدفَن حيَّة في التراب حتى تموت ، قال الزمخشريُّ ـ عفا الله عنه ـ : "كان الرجل إذا ولدتْ له بنت ، فأراد أن يستحييها ألبسَها جبَّة من صوف ، أو شَعر ، ترعى له الإبل والغَنم في البادية ، وإنْ أراد قتْلَها تركها ، حتى إذا كانتْ سداسية ، قال لأمِّها: طيِّبيها وزيِّنيها ، حتى أذهب بها إلى أحمائِها ، وقد حفَر لها بئرًا في الصحراء ، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها ، ثم يدفعها مِن خلْفها ، ويهيل عليها التراب حتى تستويَ البِئر بالأرْض.

وقيل: كانت الحاملُ إذا أقربت ، حفرتْ حفرة فتمخَّضت على رأس الحُفْرة ، فإذا ولدتْ بنتًا رمتْ بها في الحفرة ، وإنْ ولدت ابنًا حبستْه". إن نظرة لحال المرأة في الجاهلية الأولى لكافية أن تدرك المرأة المعاصرة مدى النقلة البعيدة التي انتقلتها المرأة بالإسلام! يقول الله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُون). وعن ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - قال: "كان الرجلُ إذا مات أبوه أو حَمُوه فهو أحقُّ بامرأته ، إنْ شاء أمسكها ، أو يحبسها حتى تفتدي بصَداقها ، أو تموت فيذهب بمالِها". وكانتِ المرأة في الجاهلية تُمسَك ضِرارًا للاعتداء ، وتُلاقِي من بعْلها نشوزًا أو إعراضًا ، وتُترك أحيانًا كالمعلَّقة. وكان أحدُهم إذا أراد نجابةَ الولد حمَل امرأته - بعد طُهْرها من الحيْض - إلى الرجل النجيب كالشاعِر والفارس ، وترَكها عندَه حتى يَسْتَبِينَ حملُها منه ، ثم عاد بها إلى بيتِه ، وقد حملتْ بنجيب! كانتِ المرأة في الجاهلية لم يكن لها حقُّ الإرْث ، وكانوا يقولون في ذلك: "لا يَرثُنا إلا من يحمل السيفَ ويَحْمي البيضة" ، فإذا مات الرجلُ ورِثَه ابنُه ، فإن لم يكن ، فأقرب مَن وُجِد مِن أوليائه أبًا كان أو أخًا أو عمًّا ، على حين يضمُّ بناتِه ونساءه إلى بناتِ الوارث ونِسائِه ، فيكون لهنَّ ما لهنَّ ، وعليهنَّ ما عليهنَّ. وكانوا إذا مات الرجل وله زوجةٌ وأوْلاد مِن غيرها ، كان الولد الأكبر أحقَّ بزوجة أبيه من غيرِه ، فهو يعتبرها إرثًا ، كبقيَّة أموالِ أبيه ، فإنْ أراد أن يعلن عن رغبتِه في الزواج منها طرَح عليها ثوبًا وإلاَّ تزوجت غيره. ومن هنا أنشدت لهذه المتبرجة!)

2 - الجمال اليماني

(كان ذلك العاشق المسلم صادقاً مع الله ، وصادقاً مع نفسه وصادقاً مع من أحب. إذ حكى في مجلة عن نفسه أنه رأى فتاة فأعجبه حسنها ، فأحبها وازداد حبه لها بعدما سأل عنها ، لأنه وجدها ذات خلق ودين. وأنهى الولع والشغف بالزواج. عملاً بقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (زوِّجوها بمن تحب ، ليس للمتحابين إلا الزواج). أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن ابن عائشة قال: قلت لطبيب كان موصوفاً بالحذق ما هو العشق؟ قال: شغل قلب فارغ. قلت: وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا. مراتب العشق: قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى: أول ما يتجدد الاستحسان للشخص ثم يجلب إرادة القرب منه ، ثم المودة وهو أن يود أن لو ملكه ، ثم يقوى الود فيصير محبة ، ثم يصير خلة ثم يصير هوى فيهوي بصاحبه في محاب المحبوب من غير تمالك ، ثم يصير عشقاً ثم يصير تتيماً ، والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكاً للعاشق لا يوجد في قلبه سواه ومنه تيم الله ، ثم يزيد التتيم فيصير ولهاً والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن أحوال التمييز. وقال بعض العلماء أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب ، ثم يستحكم الهوى فيصير مودة ، ثم تزيد بالمؤانسة وتدرس بالجفاء والأذى ، ثم الخلة ثم الصبابة وهي رقة الشوق تولدها الألفة ويبعثها الإشفاق ويهيجها الذكر ثم يصير عشقاً وهو أعلى ضرب. فمبتدأه يصفي الفهم ويهذب العقل ، كما قال ذو الرياستين لأصحابه: اعشقوا ولا تعشقوا حراماً ، فإن عشق الحلال يطلق اللسان العيي ويرفع التبلد ويسخي كف البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء. فإذا زاد مرض الجسد وزاد جرح القلب وأزال الرأي واستهلك العقل ثم يترقى جداً

فيصير ولها ويسمى ذو الوله مدلهاً ومستهاماً ومستهتراً وحيران. ثم قال ابن دريد: الصبابة رقة الهوى واشتقاق الحب ، من أحب البعير إذا برك من الإعياء. وأما الحب:(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف). وأساس المحبة والتآلف هو القلب ، لذا نجد أن القلوب تتآلف وتحن لمن يوافق شاكلتها. قال ابن القيم رحمه الله كما في إغاثة اللهفان(132/1): المحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له ، فتحرك محب الرحمن ، ومحب القرآن ومحب العلم والإيمان ، ومحب المتاع والأثمان ، ومحب الأوثان والصلبان ، ومحب النسوان والمردان ، ومحب الأطفال ، ومحب الإخوة. فتثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء فيتحرك عند ذكر محبوبه دون غيره ، ولهذا تجد محب النسوان والصبيان ، ومحب قرآن الشيطان بالأصوات والألحان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ، ولا عند تلاوة القرآن ، حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربا ، وتحرك باطنه وظاهره شوقاً إليه وطرباً لذكره ، فكل هذه المحابّ باطلة مضمحلة سوي محبة الله وما والاها من محبة رسوله وكتابه ، ودينه ، وأوليائه ، فهذه المحبة تدوم تدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت به. وأعود للعاشق المسلم الموحد الذي وقع في عشق الجمال اليماني ، وكان صادق الحب ، فآثر أن يأتي البيوت من أبوابها لا من نوافذها ولا من أسوارها! بل انطلق إلى أهل الجمال اليماني وقبيلته ، وهناك كانت الخطبة والزواج. وتم ذلك كله على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بعيداً عن حيل الشيطان ومكائده ووساوسه وخطواته الملعونة التي ما تلبث أن تجعل من الإنسان السوي المحترم حيواناً منحطاً يحيا لشهواته ونزواته فقط! من أجل ذلك كتبت هذه القصة مفتخراً مشيداً بهذا العاشق المحترم الذي لم يرد بحبه الدنيا وسفولها ليهبط في وحلها ، بل أراد بحبه وجه الله والدار الآخرة في ظاهر أمره والله حسيبه ووكيله ، ولا نزكي على الله أحداً! إن هو إلا شعور زكي صغناه من القلب للقلب!)

21 - الجميل الكئيب

(عندما لا يُقابل المعروف بالمعروف. ولا يُقابل الجميل بالإحسان ، يكتئبُ الجميل ويحزن المعروف. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: (اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء). رواه البخاري ومسلم. وعن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليسألني الشيء ، فأمنعه حتى تشفعوا فيه فتؤجروا). وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اشفعوا تؤجروا) النسائي وأبو داود. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره). قال أبو هريرة: (ما لي أراكم عنها معرضين ، والله لأرمين بها بين أكتافكم). الشيخان. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان). مسلم. ومن هنا جعلت من الإيمان! والأصل أن يرد المعروف والجميل بالمثل!)

22 - الجميلات الثلاث

(إنهن جميلاتُ الجزائر الشهيدات الثلاث – نحسبهن كذلك ولا نزكي - على الله - أحداً. أعني جميلة بو حيْرد وجميلة بو عزة وجميلة بو باشا. فكل منهن قد أشهدت الله تعالى ، على أن شريعة الله أغلى من حياتها ، فجادت بها رخيصة في سبيل هذه الشريعة. وفي تقديمه لكتاب (الجهاد في سبيل الله) قال أستاذنا عبد الله بن جار الله الجار الله ما نصه: (إن القيام بالدين والجهاد فيه قِوام الأمور وصلاحها ، وأخذ الحذر لمقاومة الأعداء به كمال الأمور ونجاحها ، فقد أمر الله بالجهاد وحثَّ عليه ورغَّب فيه في نصوص كثيرة ، ورتَّب عليه خيرات الدنيا والآخرة ؛ ففي الدنيا النصرُ والعزُّ والفتح القريب ، وفي الآخرة الفوز بجنات النعيم ، والسلامة من العذاب الأليم ، وما لا يتمُّ المأمور إلا به من أسبابه ووسائله فهو داخلٌ في المأمور ومترتِّب عليه ما فيه من الأجور الخيرات ، فلا يقوم الجهاد إلاَّ بتعلُّم العلوم الحربية والتفنُّن بالفنون العسكرية ، والتدريب على القوة والشجاعة والإقدام والحزم في أمور الحرب ؛ قال الله - تعالى -: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ). فأمر الله المؤمنين بالاستعداد لأعدائهم الكافرين الساعين في إهلاكهم وإبطال ما كانوا عليه من دين الإسلام ، وأمرهم بإعداد ما يقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يُعين على قتالهم ، فدخل في ذلك أنواعُ الصناعات التي تُعمل فيها أنواعُ الأسلحة والآلات ، من المدافع والرشاشات والطائرات الجوية ، والمراكب البريَّة والبحرية ، وجميع آلات الدفاع والرأي والسياسة التي بها يتقدَّم المسلمون ويندفع عنهم به شرُّ أعدائهم ؛ ولهذا قال النبي: «ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي»).هـ. ؛ أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجه وأبو داود. قال الله تعالى: (لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) وقال تعالى: (وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير) وقال: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) وقال: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}. وهناك درر في موقع (قصة الإسلام) نلتقط منها: (إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ضحّى بالكثير من أجل الدعوة وكذلك الصحابة ودعاة المسلمين ، جميعهم ضحوا لأن طريق الدعوة وما فيها من صعاب وعقبات تحتاج لتضحية. قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}. إن الكيد للإسلام والمسلمين لم يتوقف في وقت من الأوقات ، حتى في لحظات قوة المسلمين لم يتوقف الكيد لهم ، ربما اختفى قليلا ولكنه موجود؟ فهل هذا يستلزم العزلة والانطواء والجبن والخذلان أم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتضحية في سبيل الله وقول كلمة الحق؟ والله تعالى يقول: {وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ

مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}. وهذا صحابي وُلد في أحضان النعيم فقد كان أبوه حاكم "الأبله" ووليا عليها لكسرى وكان من العرب الذين نزحوا إلى العراق قبل الإسلام بعهد طويل وفي قصره القائم على شاطئ الفرات مما يلي الجزيرة والموصل عاش الطفل ناعماً سعيداً وذات يوم تعرضت البلاد لهجوم الروم وأسر المغيرون أعداداً كثيرة وسبَواْ ذلك الغلام "صهيب بن سنان". ويقتنصه تجار الرقيق وينتهي به الأمر وطوافه الطويل إلى مكة حيث بيع لعبد لله بن جُدعان بعد أن قضى طفولته كلها وصدر شبابه في بلاد الروم حتى أخذ لسانهم ولهجتهم ويعجب سيده بذكائه وإخلاصه فيعتقه ويحرره. وذات يوم مر عمار بن ياسر ولقي صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فقال له: ماذا تريد؟ فأجابه: وماذا تريد أنت؟ يقول عمار فقلت له: أريد أن أدخل على محمد ، فأسمع ما يقول. قال: وأنا أريد ذلك. فدخلنا على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعرض علينا الإسلام ، فأسلمنا ثم مكثنا على ذلك حتى أمسينا ثم خرجنا ونحن مستخفيان. نعم لقد أخذ "صهيب" مكانه في قافلة المؤمنين ، وأخذ مكاناً عالياً بين صفوف المضطهدين والمعذبين ، وأخذ أيضاً مكاناً عالياً بين صفوف الباذلين لهذا الدين. لم يشهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشهداً قط إلا كان حاضره ، ولم يسر سرية قط إلا كان حاضرها. فعندما همَّ الرسول بالهجرة علم صهيب بها ، وكان يريد الهجرة معهم ، وقد وقع "صهيب" في بعض فخاخهم فعُوِّق عن الهجرة بينما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصاحبه قد اتخذا سبيلهما على بركة الله ؛ فبعد ذلك استطاع أن يفلت منهم غير أن قريش أرسلت في أثره قناصتها فأدركوه ، ولم يكد صهيب يراهم ويواجههم من قريب حتى صاح فيهم قائلاً: "يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً ، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ، ثم أضربكم بسيفي حتى لا يبقى في يدي منه شيء فأقدموا إن شئتم! وإن شئتم دللتكم على مالي وتتركوني وشأني". فقبلوا أن يأخذوا ماله قائلين له: أتيتنا صعلوكاً فقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت بيننا ما بلغت والآن تنطلق بنفسك ومالك؟ فدلهم على المكان الذي خبأ فيه ثروته وتركوه وشأنه. فاستأنف صهيب هجرته حتى أدرك الرسول عليه السلام في قباء ؛ كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالساً وحوله بعض أصحابه حين أهل عليهم "صهيب" ولم يكد الرسول يراه حتى ناداه متهللاً: "ربح البيع أبا يحي ، ربح البيع أبا يحي. وبعد ذلك نزلت الآية الكريمة: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ}. لقد اشترى صهيب نفسه المؤمنة بكل ثروته التي أنفق في جمعها شبابه. ومن هنا رُحتُ أشيد ببطلاتنا الثلاث. وأبين إعجابي بمدى جودهن بالنفس والروح والدم في سبيل الله سبحانه! وأسأل الله العلي القدير البر الرحيم أن يتقبلهن في الشهداء وأن يكرمهن في دار القرار.)

23 ـ الجميلات والحرام

(دفعتهن ظروف الحياة على حد تعبيرهن – إلى أن يعملن في مقاهي الإنترنت. فكانت نافذة تطل على الحرام من أدنس أبوابه وأحقرها بكل ما تعنيه الكلمة. ولا يعني هذا أننا نجيز عمل المرأة بصورة مطلقة كما تفعل الجاهلية! بل الأصل القرار في البيت: بيت أبيها أو بيت زوجها! ومن هي في داره يُلزم بالإنفاق عليها لأنها عرض يُصان ، وليست سلعة تبتذل بيعاً أو شراءً! وجميلات قصيدتنا أدركن سر اللعبة الخبيثة المتوقعة من عمل البنات في مقاهي الإنترنت ، فقررن عدم التمادي في العمل ، مهما كلفهن ذلك القرار.)

24 - الجواب المفحم المبكي

(نالت إحدى المترفات وتدعى (نائلة) من موحّد فقير ، لم يشفع له عندها دينه ولا خلقه. فراحت تزدريه وتهمزه وتلمزه ، وتعيب عليه بغير حق . فاحتار كيف يرد عليها ويوقفها عند حد ، وينتصر لكرامته التي أهينت ولحُرمته التي انتهكت ولعِرضه الذي هتك. فقال: مهما كنتُ فلست مثل (جُليبيب). إلا أنه يفضلني في صحبته للنبي – صلى الله عليه وسلم - وباتباعه له وبثناء النبي – صلى الله عليه وسلم - عليه باستشهاده مقبلاً غيرَ مُدْبر وبزواجه من أنصارية شابة موحّدة من حور الدنيا وله في جنات الله من الحور العين ما الله به عليم جزاءً بما قدّم! ويكفي قول النبي – صلى الله عليه وسلم - عنه: (هذا مني وأنا منه) ، وأنه عاش ومات في القرن المفضل الأول. ولكن جُليبيباً عانى من ستة طوام عِظام كان ذلك الموحد القانت بفضل الله - سبحانه وتعالى- ورحمته قد عوفيَ منهن جميعاً بين الناس: أولاً: كان عبداً رقيقاً ، فهو يباع ويشترى شأن كل عبد في ذلك الزمان. وثانياً: كان دميماً ، بمعنى أنه كان غير وجيه الخِلقة ، وأما صاحبنا فإن لم يكن وسيماً فليس بالدميم. وثالثاً: كان قصيراً بائن القصر ، ومعلوم أن القصر عيب خِلقي أيضاً ، وأما صاحبنا فطويل الطول المعقول المناسب. ورابعاً: أنه كان معوذاً فقيراً جداً شأن كثير من العبيد في زمانه. وخامساً: كان جليبيب إذا حضر بين أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم – لم يُعرف ، وإذا غاب لم يُفتقد. وظل كذلك حتى في يوم استشهاده رضي الله عنه ، وأما صاحبنا فأغلب الناس يعرفونه. ولا نقارن أحداً بالصحابة الأجلاء! وسادساً: كان الناس يأنفون من تزويجه من ابنة من بناتهم. ولكن صاحبنا عرض عليه غير واحد الزواج من ابنته عرضاً ، ويشهد على ذلك الله رب الناس. والحقيقة أنه لا يجوز الاستهزاء بالناس أو السخرية منهم أو تعييرهم بعيب أو ذنب أو خطيئة ؛ كما سمعتُ من الشيخ المنجد وقرأت له! وذلك لعموم قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). وقال تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ). والهمز يكون بالإشارة ، واللمز يكون بالقول ، واللماز هو العيّاب الطعان ، والويل: واد في جهنم. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية الحجرات: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس ، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكِبْر بطر الحق وغَمْص الناس) ويُروى: (وغمط الناس). والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم ، وهذا حرام ، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له ؛ ولهذا قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) ، فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء. وقوله: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أي لا تلمزوا الناس. والهمَّاز اللَّماز من الرجال مذموم ملعون ، كما قال تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) ، فالهمز بالفعل ، واللمز بالقول ، كما قال: (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ). أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم ، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال ؛ ولهذا قال هاهنا: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ، كما قال: (وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أي: لا يقتل بعضكم بعضاً. قال ابن عباس ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومقاتل بن حَيَّان: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أي: لا يطعن بعضكم على بعض. وقوله: (وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) أي: لا تتداعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخص سماعها". انتهى. وقد بين نبينا صلى الله عليه وسلم أن الإيمان يحمل صاحبه على حسن الخلق ، والتواضع للناس ، وترك أذاهم بالقول

والفعل ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ) رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي. وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى ما يقوله الإنسان إذا رأى مبتلىً ، فقال: (مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا إِلا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ). رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي. والأصل: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، والقاعدة الأصيلة للتقييم: (لا فرق لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح) ، أما تقييم الناس بالمال أو بالثياب أو بالكلام أو بالجاه أو بالحسب والنسب ، بمَنأى عن التقوى والعمل الصالح فهذي موازين أهل الجاهلية الذين لا يُعتدّ بكلامهم أبداً. فلما سمعتِ المترفة المعتدة بمالها هذا الكلام دمعتْ عيناها!)

25 - الجيلاني الواعظ الصادق

(يقول عبد القادر الجيلاني – رحمه الله – عن نفسه: خرجتُ وأنا صغير بأمر أمي ، أطلب العلم مع رفاق لي. وأعطتني أربعين ديناراً ، وعاهدتني على الصدق. فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص ، فأخذوا القافلة. فمر واحد منهم وقال: ما معك؟ فقلت: أربعون دينارا. فأخذني إذ لم يصدق كلامي إلى كبيرهم. فسألني فأجبته ، وأظهرتُ له دنانيري. فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتُ أمي على الصدق. فقال: أمك ليست معك الآن. فقلت: أخاف الله. قال: تخاف الله وأنت في هذا السن؟ إنني بهذا أولى ، فتاب رئيس العصابة أو كبير اللصوص ، تاب عن قطع الطريق وأخذ الأموال من الناس نهباً بغير حق. فتابت معه عصابته بسبب هذه الموعظة).هـ. فهل يتوب اليوم أهل الارتزاق بهذا الدين؟ أولئك الأقوام الذين يُطوّعون النصوص ، ويُحرفون الكلم عن مواضعه ، ابتغاء عرض الحياه الدنيا. إن الجيلاني الواعظ الصادق كان قد خط الدرب لمن يريد أن يعمل لهذا الدين بصدق. لقد خط ذلك الدرب مرتين: مرة وهو صبي صغير ، كان قد عاهد أمه على الصدق. ومرة وهو كبير عالم جليل يُعتبر من أعلم علماء عصره ولا نزكيه على الله. إن صدق الداعية واحترامه لما يحمل من الحق ، وعمله به واتباعه سبيل المؤمنين ، يحمل الناس على اتباعه وتصديقه. جاء في الويكيبيديا عن ترجمته بتصرف يسير: (إنه عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني (470 هـ - 561 هـ) ، هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله ، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بو علام الجيلاني ، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني! ويعرف أيضا بـ"سلطان الأولياء" ، وهو إمام وفقيه حنبلي ، لقبه أتباعه بـ "باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد". ولد في 11 ربيع الثاني وهو الأشهر سنة 470 هـ الموافق 1077م ، وهناك خلاف في محل ولادته حيث توجد روايات متعددة أهمها القول بولادته في جيلان في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين ، والقول أنه ولد في جيلان العراق وهي قرية تاريخية قرب المدائن 40 كيلو متر جنوب بغداد ، وهو ما أثبتته الدراسات التاريخية الأكاديمية وتعتمده الأسرة الكيلانية ببغداد ، وقد نشأ عبد القادر في أسرة وصفتها المصادر بالصالحة ، فقد كان والده أبو صالح موسى معروفاً بالزهد وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة ولذا كان لقبه "محب الجهاد". وكان عبد القادر قد أنجب عدداً كبيراً من الأولاد ، وقد عنى بتربيتهم وتهذيبهم على يديه واشتهر منهم عشرة: عبد الوهّاب:

وكان في طليعة أولاده ، والذي درّس بمدرسة والده في حياته نيابة عنه ، وبعد والده وعظ وأفتى ودرس وكان حسن الكلام في مسائل الخلاف فصيحاً ذا دعابة وكياسة ، ومروءة وسخاء وقد جعله الإمام الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل حوائج الناس اليه ، وقد توفي سنة 573 هـ ودفن في رباط والده في الحلبة. وعيسى: الذي وعظ وأفتى وصنف مصنفات ، قدم مصر وحدث فيها ووعظ وتخرج به من أهلها غير قليل من الفقهاء ، وتوفي فيها سنة 573 هـ. وعبد العزيز: وكان عالماً متواضعاً ، وعظ ودرّس ، وخرج على يديه كثير من العلماء ، وكان قد غزا الصليبين في عسقلان وزار مدينة القدس ورحل جبال الحيال وتوفي فيها سنة 602 هـ ، وقبره في مدينة "عقرة" من أقضية لواء الموصل في العراق. وعبد الجبار: تفقه على يدي والده وسمع منه وكان ذا كتابة حسنة ، ودفن برباط والده في الحلبة. وعبد الرزاق: وكان حافظاً متقناً حسن المعرفة بالحديث فقيهاً على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ورعاً منقطعاً في منزله عن الناس ، لا يخرج إلا في الجمعات ، توفي سنة 603 هـ، ودفن بباب الحرب في بغداد. وإبراهيم: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى واسط في العراق ، وتوفي بها سنة 592 هـ. ويحيى: وكان فقيهاً محدثاً انتفع الناس به ورحل إلى مصر ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة 600 هـ ، ودفن برباط والده في الحلبة. وموسى: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى دمشق وحدّث فيها واستوطنها ، ثم رحل إلى مصر وعاد إلى دمشق وتوفي فيها وهو آخر من مات من أولاده. وصالح: وبه يكنى في أغلب البلدان وذكرته أغلب المصادر المتخصصة في سيرته وهو مدفون قرب والده في بغداد. ولقد كان عبد القادر الجيلاني قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنه على أيدي أفراد من أسرته ، ولمتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها سنة 488 هـ الموافق 1095م وعمره ثمانية عشر عاماً في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله. وبعد أن استقر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج ، في أقصى الشرق من جانب الرصافة ، وتسمى الآن محلة باب الشيخ. وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلاني إلى بغداد تسوده الفوضى التي عمت كافة أنحاء الدولة العباسية ، حيث كان الصليبيون يهاجمون ثغور الشام ، وقد تمكنوا من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وقتلوا فيهما خلقاً كثيراً من المسلمين ونهبوا أموالاً كثيرة. وكان السلطان التركي "بركياروق" قد زحف بجيش كبير يقصد بغداد ليرغم الخليفة على عزل وزيره "ابن جهير" فاستنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه" ودارت بين السلطانين التركي والسلجوقي معارك عديدة كانت الحرب فيها سجالاً ، وكلما انتصر احدهما على الآخر كانت خطبة يوم الجمعة تعقد باسمه بعد اسم الخليفة. وكانت فرقة الباطنية قد نشطت في مؤامراتها السرية واستطاعت أن تقضي على عدد كبير من أمراء المسلمين وقادتهم فجهز السلطان السلجوقي جيشاً كبيراً سار به إلى إيران فحاصر قلعة "أصفهان" التي كانت مقراً لفرقة الباطنية وبعد حصار شديد استسلم أهل القلعة فاستولى عليها السلطان وقتل من فيها من المتمردين ، وكان "صدقة بن مزيد" من أمراء بني مزيد من قبيلة بني أسد قد خرج بجيش من العرب والأكراد يريد الاستيلاء على بغداد فتصدى له السلطان السلجوقي بجيش كبير من السلاجقة فتغلب عليه. وكان المجرمون وغيرهم من العاطلين والأشقياء ينتهزون فرصة انشغال السلاطين بالقتال فيعبثون بالأمن في المدن يقتلون الناس ويسلبون أموالهم فإذا عاد السلاطين من القتال انشغلوا بتأديب المجرمين. وفي غمرة هذه الفوضى كان الشيخ عبد القادر يطلب العلم في بغداد وتفقه على مجموعة من شيوخ الحنابلة ومن بينهم الشيخ أبوسعيد المُخَرِمي ، فبرع في

المذهب والخلاف والأصول وقرأ الأدب وسمع الحديث على كبار المحدثين. وقد أمضى ثلاثين عاماً يدرس فيها علوم الشريعة أصولها وفروعها. وللشيخ عبد القادر ، سفرة ثانية في حياته وهي من بغداد إلى مدينة بعقوبة ، بقصد الكسب وقد وصفها بقوله ، "كان جماعة من أهل بغداد يشتغلون بالفقه فإذا كان أيام الغلة يخرجون إلى الريف يطلبون شيئاً من الغلة فقالوا لي يوماً: اخرج معنا إلى بعقوبة نحصل منها شيئاً. فخرجت معهم وكان في بعقوبة رجل صالح يقال له الشريف اليعقوبي فمضيت لأزوره فقال لي: مريدو الحق والصالحون ، لا يسألون الناس شيئاً ، ونهاني أن أسأل الناس فما خرجت إلى موضع قط بعد ذلك ، وكان لهذه السفرة وقع بليغ في نفس الشيخ عبدالقادر حيث تركت فيه أثرًا عميقًا وعلمته درسًا بليغًا نافعًا ، ويظهر من امتناع الجيلي عن السؤال قوة الإرادة الصادقة في الامتثال لقبول النصيحة كما يظهر استعداده للطاعة عند صدور الأمر الصالح. عقد الشيخ أبو سعيد المُخَرِمي لتلميذه عبد القادر مجالس الوعظ في مدرسته بباب الأزج في بداية 521 هـ ، فصار يعظ فيها ثلاثة أيام من كل أسبوع ، بكرة الأحد وبكرة الجمعة وعشية الثلاثاء ، وكان أول كلامه ، "غوّاص الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف ، فيستخرجها إلى ساحل الصدر ، فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان ، فتشترى بنفائس أثمان حسن الطاعة ، في بيوت أذن الله أن ترفع" ، واستطاع الشيخ عبد القادر بالموعظة الحسنة أن يرد كثيراً من الحكام الظالمين عن ظلمهم وأن يرد كثيراً من الضالين عن ضلالتهم ، حيث كان الوزراء والأمراء والأعيان يحضرون مجالسه ، وكانت عامة الناس أشد تأثراً بوعظه ، فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة ، وأسلم على يديه ما يزيد على خمسة آلاف من اليهود والنصارى. وبحسب بعض المؤرخين ، فإن الجيلاني التقى وتأثر بالغزالي حتى أنه ألف كتابه "الغنية" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين". وكان الشيخ عبد القادر يسيطر على قلوب المستمعين إلى وعظه حتى أنه استغرق مرة في كلامه وهو على كرسي الوعظ فانحلت طية من عمامته وهو لا يدري فألقى الحاضرون عمائهم وطواقيهم تقليداً له وهم لا يشعرون. وبعد أن توفي أبو سعيد المبارك المخزومي فوضت مدرسته إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني فجلس فيها للتدريس والفتوى ، وجعل طلاب العلم يقبلون على مدرسته إقبالاً عظيماً حتى ضاقت بهم فأضيف إليها من ما جاورها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم حتى تم بناؤها سنة 528 هـ الموافق 1133م. وصارت منسوبة إليه. وكان الشيخ عبد القادر عالماً متبصراً يتكلم في ثلاثة عشر علماً من علوم اللغة والشريعة حيث كان الطلاب يقرأون عليه في مدرسته دروساً من التفسير والحديث والمذهب والخلاف والأصول واللغة وكان يقرأ القرآن بالقراءات وكان يُفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وهناك رواية تقول أنه أفتى على مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان. استطاع الشيخ عبد القادر بالموعظة الحسنة أن يردَّ كثيراً من الحكام الظالمين عن ظلمهم وأن يردَّ كثيراً من الضالين عن ضلالتهم وخصَّ الحاكمين بانتقاداته وحذّر الناس من الانصياع لهم بما يخالف الشريعة يقول في أحد مجالسه "صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة. قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة آلهة ، ويحكم جعلتم الفرع أصلاً ، والمرزوق رازقاً ، والمملوك مالكاً ، والفقير غنياً ، والعاجز قوياً والميت حياً. إذا عَظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعظِّمه ، فحكمك حكم من عبد الأصنام ، تصيّر مَنْ عظّمتَ صنمَك" ، وانتقد الولاة والموظفين الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاطين دون تحرز ولم

تتوقف انتقادات الشيخ عبد القادر للحكام عند المواعظ العامة ، وإنما تناولت المواقف الخاصة التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم ، ففي عام 541هـ /1146م ولّى الخليفة المقتفي يحيى بن سعيد المعروف بابن المرجم القضاء. فمضى الأخير في ظلم الرعايا ومصادرة الأموال وأخذ الرشاوي ، فكتبت ضده المنشورات وألصقت في المساجد والشوارع دون أن يستطيع أحد أن يجهر بمعارضته. ويذكر سبط ابن الجوزي أن الشيخ عبد القادر، اغتنم وجود الخليفة في المسجد وخاطبه من على المنبر قائلاً "وليت على المسلمين أظلم الظالمين وما جوابك غداً عند رب العالمين" ، فعزل الخليفة القاضي المذكور ولقد تكررت هذه المواقف مع الوزراء والرؤساء والحجاب. وتذكر المصادر التاريخية أن هؤلاء كانوا يستمعون لملاحظات الشيخ عبد القادر لاعتقادهم بصلاحه وصدق أغراضه ، فلقد حرص الشيخ عبد القادر على أن يبقى بعيداً عن مواطن الشبهات أو التقرب للحكام ، فقد ذكر عنه أنه ما ألمّ بباب حاكم قط. قام بحركة تجديدية في بث روح الإيمان وفتح مدرسته ببغداد معتمداً فيها على الوقف الخيري ، تغذية وسكن لرواد المدرسة ، ثم انطلق رواد المدرسة في سائر أقاليم العالم الإسلامي وعلى نفس المدرسة نهجاً وممارسة ، فتحوا قرابة "400" مدرسة ، وكان الشعار هو: "لكلّ مذهبه الفقهي والفكري وهدفنا واحد هو تحرير القدس من نير الاحتلال الصليبي" الذي جثم عليها قرابة "90" عاماً. لقد اعتمد الجيلاني منهجاً سلوكياً في التزكية ـ صناعة الإنسان على مائدة الإيمان ـ وفعلاً نجح الجيلاني في إعداد جيل "الرواد" الذين حملوا الفكرة ثم نشروها عبر مدارسهم في سائر الأقاليم فظهر جيل جديد من الجنسين حيث سجل التاريخ نساءً بدرجة الإفتاء في الشام "فقط في الفترة التي تولى فيها صلاح الدين الأيوبي" بلغ العدد "800" امرأة خريجات مدرسة الجيلاني الأصلية أو فروعها! ليأتي صلاح الدين على قمة جيل يفور حيوية وتضحية ، منسجم الرؤية "في قواسم مشتركة" أبرزها تطهير القدس من رجس الاحتلال وكذا احترام الآخر أياً كان مذهبه الفكري أو الفقهي ، وكذا الزهد في الدنيا ـ بأن يجعلوها في اليد لا في القلب. وهذا أكد عليه الجيلاني في خطابه تكراراً أو مراراً. ودعا للأخذ بالأسباب مخالفاً ومحارباً لما كان قد ترسخ في الخطاب الصوفي ، مؤكداً أن ترك الأسباب مخالف للشريعة ، إذ لا فرق بين تارك الأخذ بالأسباب وتارك الصلاة التي تعد من أقوى الأسباب المانعة من الوقوع في الفحشاء والمنكر، وكذا سائر الشعائر التعبدية. كما أن الجيلاني رحمه الله استفاد من إخفاقات المدارس الإصلاحية التي سبقته كمدرسة "أبي حامد الغزالي" التي أنشئت على أنقاض المدرسة الفكرية البويهية ، حيث كان الداعم لمدرسة الغزالي هو السلطان "نظام الملك السلجوقي" ولكن بعد عشرين عاماً تم إلغاء المدرسة الغزالية بقرار وهنا استفاد الجيلاني من فكرة قيام المدرسة وبنفس المنهج التزكوي ، الجيلاني رفع شعاره "لكل مذهبه...في إطار الكتاب والسنة" . ولقد تكلم فأوجز وأعجز! إذ كان كلامه الفصل يشبه كلام الأنبياء والمرسلين لما يحتوي من الحكمة والموعظة الحسنة ، فلقد قال: طِر إلى الحق بجناحي الكتاب والسنة. وقال: أخرجوا الدنيا من قلوبكم إلى أيديكم فإنها لا تضرُّكم. وقال: الاسم الأعظم أن تقول الله وليس في قلبك سواه. وقال: كونوا بوَّابين على باب قلوبكم ، وأدخلوا ما يأمركم الله بإدخاله ، وأخرجوا ما يأمركم الله بإخراجه ، ولا تُدخلوا الهوى قلوبكم فتهلكوا. وقال: لا تظلموا أحداً ولو بسوء ظنِّكم فإنَّ ربَّكم لا يجاوز ظلم ظالم. وقال: كلَّما جاهدتَ النفسَ وقتلتها بالطاعات حييت وكلَّما أكرمتها ولم تنهها في مرضاة الله ماتت قال وهذا هو معنى الأثر القائل: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. وقال: ليس الرجل الذي يُسلّم للأقدار ،

وإنما الرجل الذي يدفع الأقدار بالأقدار. وقال: اعمل الخير لمن يستحق ولمن لا يستحق والأجر على الله. وقال: فتشت الأعمال كلها ، فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام ، أود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها الجياع. وقال: لا تثق بمودة إنسان حتى ترى موقفه منك أيام الشدة. وقال: كن في الدنيا كالنحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن أطعمت أطعمت طيباً وإن سقطت على شيء هش لم تكسره ولم تخدشه. وقال: ثلاث أمور تضيّع بها وقتك: التحسّر على ما فاتك لأنه لن يعود ، ومقارنة نفسك بغيرك لأنه لن يفيد ، ومحاولة إرضاء كل الناس لأنه لن يكون. ولقد أثنى عليه العلماء ثناء كبيراً ومدحوه أمداحاً كثيرة. منها أن قال ابن تيمية: الشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع ، والأمر والنهي ، وتقديمه على الذوق والقدر ، ومن أعظم المشائخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية. وقال الإمام النووي: ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني ، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد ، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته ، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة ، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام ، والرجوع إلى قوله والمصير إلى حكمه ، وأُهرع إليه أهل السنة من كل فج عميق. وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه معظماً لأهل العلم مُكرِّماً لأرباب الدين والسنة ، مبغضاً لأهل البدع والأهواء محباً لمريدي الحق مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عال في علوم المعارف شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة. وبالجملة لم يكن في زمنه مثله. وقال الإمام العز بن عبد السلام: إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر. وقال الإمام الذهبي: الشيخ عبد القادر الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة ، شيخ الإسلام ، علم الأولياء ، محيي الدين ، أبو محمد ، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي ، شيخ بغداد. وقال أبو أسعد عبد الكريم السمعاني: الشيخ عبد القادر هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح ، كثير الذكر دائم الفكر ، وهو شديد الخشية ، مجاب الدعوة ، أقرب الناس للحق ، ولا يرد سائلاً ولو بأحد ثوبيه. وقال الإمام ابن حجر العسقلاني الكناني: كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بأصول الشريعة ، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالباً كالأزواج والأولاد ، ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله علية وسلم. وقال ابن قدامة المقدسي: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر بها انتهت إليه بها علماً وعملاً وحالاً واستفتاء ، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان ملئ العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة ، وما رأيت بعده مثله ولم أسمع عن أحد يحكي من الكرامات أكثر مما يحكى عنه ، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه. قال ابن رجب الحنبلي: عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي ، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة ، محيي الدين ظهر للناس وحصل له القبول التام ، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره ، وانخذل أهل البدع والأهواء ، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار ،

وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم. وقال الحافظ ابن كثير: الشيخ عبد القادر الجيلي كان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة. وقال الإمام اليافعي: قطب الأولياء الكرام ، شيخ المسلمين والإسلام ركن الشريعة وعلم الطريقة ، شيخ الشيوخ ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه ، تحلى بحُلي العلوم الشرعية وتجمل بتيجان الفنون الدينية ، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق ، قام بنص الكتاب والسنة خطيباً على الأشهاد ، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها ، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً ، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء. وقال الإمام الشعراني: طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً).هـ. وإنني لأكتب هذه القصيدة لأضرب على ذات الوتر من صياغة الشعر الذي ينبض حيوية وبهاء وكمالاً وجلالاً وجمالاً ، انبثق من صدق من صاغه للناس. ولقد أخِذتُ بقصة الجيلاني مع أمه صغيراً فكانت هذه القصيدة. إن الشاعر الكاذب الملفق المنافق قد يحوز إعجاب الكاذبين المنافقين أمثاله. ولكنه لا يحظى أبداً بإعجاب الصادقين يوماً. لأن هؤلاء حتى وإن خُدعوا فيه ردحاً من الزمان ، فإن هذا لا يطول بهم . فسرعان ما يمقتونه ويقلونه.)

26 - تغير الحال أم الخال؟!

(تجشّم المشتاق لزيارة خاله بعد فراق دام عقداً ونصف. وإذا بالخال يعتذر عن اللقاء رغم استطاعته. فراح ابن اخته يذكّره بالماضي ويلومه على هذا السلوك العجيب ، ويعترف له بالفضل والجميل ، ويذكّره سالف عهده من العطاء والتفاني بلا حدود. ويتمنى لو عادت هذه الأيام التي كانا يتبادلان الحب الحقيقي دون أحقاد أو ضغائن أو منغصات ، في كنف عائلة كريمة متحابة متآلفة يعطف كبيرها على صغيرها ويرحمه ، ويحترم صغيرها كبيرها ويوقره. أيام كانت أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع إذا قورنت بأيامنا الحالية. ويعود تاريخ كتابة هذا النص إلى صيف عام 2000 م ، وكان عمري عامها سبعة وثلاثين عاماً ، وكنت قد عانيت في كتابة هذه القصيدة الأمرّين ، وتردّدتُ كثيراً قبل الشروع في كتابتها. وهممت بعد أن جف الحبر عنها ورفع القلم عن تصحيحها واعتبرتها واحدة من قصائدي العتابية ، هممت أن أمزقها وألقي بها بعيداً عن عيني. ولكنني أردت أن أجعلها مثالاً يُحتذى ودربا يُتبع في العتاب الذي يتعين بين ابن الأخت والخال ، خاصة إن كان خالاً يستحق معنى الكلمة الحقيقي عندما يقوم بواجبات الخؤولة كما ينبغي لها أن تكون. الخال الذي يعتبره المصريون والداً له من الوالدية الجزء الكبير! فإذا به ينقلب فيتنكر لما تقتضيه الخؤولة والوالدية والضيفية التي كان ينبغي أن تراعى! إنني أعتب هنا وأسأل: ما الشيء الذي تغير؟ ومن الشخص الذي تغير؟ إننا نظلم الأحوال والأغيار عندما نتهمها بالتغيير! وأجعل عنوان القصيدة هكذا: (تغير الحال أم الخال؟!) وإنني لأسأل الله تعالى أن يزيل الغشاوة التي على عيني ذلك الخال ليُدرك أن ابن أخته لا يزال حافظا للود مراعياً للقرابة معترفاً بالجميل والفضل مبقياً على كل وشائج المودة والقربى حتى آخر رمق في حياته. وما عانيت في حياتي كلها من خلق دني في إنسان ما بعد الكفر والشرك بالله قدر ما عانيت من مسلم يهضم الآخرين حقوقهم ويأخذ ولا يعطي وينتفع بالصحبة والأخوة

والقرابة ولا ينفع أهلها إن استطاع. إن الحياة أخذ وعطاء ، ومنفعة وانتفاع. وليست كما يحلو لكثيرين أن يتصوروها أنانية وخذلاناً للآخرين وانتقاصاً لمقاديرهم وهضماً لحقوقهم! ألا إن المروءة والنجدة والجود صفات ثمينة لا يتحلى بها اليوم في الناس إلا القليل! وهذه الخلال لا دين لها ، فلقد يتحلى بها المسلم والكافر على حدٍ سواء. قال معاوية للحسن بن علي: ما المروءة يا أبا محمد؟ قال: فقه الرجل في دينه ، وإصلاحه معيشته. قال: فما النجدة؟ قال: الذَّبُّ عن الجار ، والصبر عن النائبة ، والإقدام على الكراهية. قال: فما الجود؟ قال: التبرع بالموجود ، والإعطاء قبل السؤال. وجرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلام في ابن كان لها منه ، وأراد أخذه منها فصار إلى زياد وهو وال بالبصرة ، فسبقته المرأة فقالت: أصلح الله الأمير! هذا ابني كان بطني له وعاء ، وحجري له فناء ، وثديي له سقاء ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل كذلك سبعة أعوام حتى كملت خصاله ، واستوكفت أوصاله ، فحين أمّلت نفعه ، ورجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كرهًا ، أيها الأمير. فقال أبو الأسود: أصلحك الله هذا ابني حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في أوده أمنحه حلمي ، وألهمه علمي ، حتى تحكم عقله واستحكم فتله. فقالت: أصلح الله الأمير – صدق ، حمله خفًا ، وحمله ثقلًا! ووضعه شهوة ، وضعته كرهًا! فقال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك ، ودعني من سجعك يا أبا الأسود! وليت الخال إذ تنكر للمروءة اعتبرني ضيفاً عليه لا ابن أخت ، فخلع عليّ وصف الضيفية وأولاني حقوقها! قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) وقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يؤثمه) متفق عليه. ومعنى: (جائزته يومٌ وليلة) أي: يكرمه ويتحفه ويحفظه يوماً ، وثلاثة أيام ضيافة ، وقال الخطابي معناه: أنه يتكلف له في اليوم الأول ما اتسع له من بر وإلطاف ، وأما في اليوم الثاني والثالث فيقدم له ما كان بحضرته ، الاجتهاد في اليوم الأول هو الجائزة ، والثاني والثالث ما كان بحضرته ولا يزيد على عادته ، وما كان بعد الثلاث فصدقة ومعروف ليس بواجب عليه. وقوله (صلى الله عليبه وسلم): (ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يؤثمه) معناه: لا يحل للضيف أن يقيم عند المضيف بعد الثلاث من غير استدعاء إلا إذا أصر وألح عليه وطالبه بذلك ، لئلا يقع المضيف في الإثم والحرج. وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلة الضيف حق على كل مسلم ، فمن أصبح بفنائه - أي: الضيف- فهو عليه دين إن شاء اقتضاه وإن شاء تركه) رواه أبو داود. وعن عقبة بن عامر قال: (قلنا: يا رسول الله! إنك تبعثنا فننزل بقومٍ فلا يقروننا فما ترى؟ فقال: إن نزلتم بقومٍ فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا ، فإن لم يفعلوا فأخرجوا منهم حق الضيف الذي ينبغي له) خذوا منهم ، رواه مسلم. أقول: ليت هذا الخال العجيب أمره إذ أسقط حق الخؤولة لأي داع من الدواعي ولأي سبب من الأسباب ، ليته منحني كما أسلفت حق الضيف ، بموجب هذه الأحاديث على قائلها أزكى صلوات الله وأتم تسليماته ووافر بركاته! تلك الأحاديث التي قرنت حقاً كمال الإيمان بإكرام الضيف! وكنتُ أتمنى أن يدرك هذا الخال العجيب أمره هذه المعاني السامية النبيلة ولا يفعل ما فعل!)

27 - الحجاج تذِله امرأة!

(أورد صاحب العقد الفريد وصاحب تراجم أعلام النساء الأستاذ / رضوان دعبول ، صاحب مؤسسة الرسالة صـ 468 في ترجمة هند بنت النعمان ما خلاصته أنها: هند بنت النعمان الأنصارية وهي شاعرة فصيحة وأديبة بارعة ، كانت ذات حسن وجمال وأدب وعلم. وكانت عند زوج بن زنباع ثم خلف عليها الحجاج بن يوسف الثقفي ، فطلقها ، ثم تزوّجها عبد الملك بن مروان. ومعلوم شأن الحجاج في قومه. ولكنْ أن يأتيَ اليوم الذي تذله فيه امرأة ، فإن هذا هو العجبُ العجاب بعينه! أورد صاحب كتاب (زهر الربيع) صـ 86 ، 87 قصة عن هند بنت النعمان تلك الغادة الجميلة التي تزوّجها الحجاج بن يوسف فقال: (قيل إن هنداً بنت النعمان كانت أحسن أهل زمانها ، فتزوّجها الحجاج ، وشرط لها بعد الصّداق مائتي ألف درهم ، فأقامت عنده ما شاء الله لها أن تقيم ، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول شعراً:

مـــا هنـــدُ إلا مُهـــرة عربيـــة ... ســـليلة أفـــراس تحللهـــا بَغـــلُ

فـــإن ولـــدتْ فحـــلاً فللـــه دَرّهـــا ... وإن ولـــدتْ بغـــلاً فجـــاء بـــه البغـــل

فانصرف الحجاج راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمتْ به ، فأرسل إليها عبد الله بن طاهر ، فقال لها: الحجاج يقول لك: كنتِ فبنتِ ، وهذه المائتا ألف درهم باقي صداقك. فقالت: يا ابن طاهر ، كنا وبنا ، فما ندمنا ، وهذه المائتا ألف درهم بشارة لك بخلاصي من كلب ثقيف! ثم بلغ خبرها بعد ذلك عبد الملك بن مروان ، ووُصف له جمالها فأرسل إليه يخطِبها. فأرسلتْ إليه كتاباً تقول فيه: بعد التحية ، إن الإناء ولغ فيه الكلب. فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها ، وكتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب ، فاغسلي الإناء يحلُ الاستعمال! فكتبت إليه أتزوجك بشرطٍ ، وهو أن يقود الحجّاجُ محملي من المَعرّة (معرة النعمان) بلدي إلى بلدك التي أنت فيه ، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي عليها أولاً. فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك وأرسل للحجاج يأمره بذلك ، فامتثل الأمر. فركبتْ في محملها ، وركب حولها جواريها ، وأخذ الحجّاج بزمام البعير يقوده. فجعلت هندُ تضحك عليه مع الهيفاء دايتها ، ثم قالت للهيفاء: يا داية اكشفي لي سجف المَحمل ، فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجّاج ، فضحكتْ عليه فأنشأ يقول:

فـــإن تضـــحكي منـــي فيـــا طـــول ليلـــةٍ ... تركَتـــــك فيهـــــا كالقِبـــــاء المُفـــــرّجِ

فأجابته تقول مستهينة به وبعزه وماله وجاهه ، ومعتزة بإيمانها بالله تعالى:

ومـــا نُبـــالي إذا أرواحُنـــا سَـــلمتْ ... بمـــا فقـــدناه مِـــن مـــال ومِـــن نشَـــبِ

فالمـــالُ مكتســـبٌ ، والعـــز مرتجـــعٌ ... إذا النفـــوسُ وقاهـــا اللهُ مِـــن عَطـــب

ولم تزل كذلك تضحكُ وتلعب إلى أن قربتْ من بلد عبد الملك ، فرمت بدينار على الأرض ، ونادت: يا جمّال سقط منا درهم ، فادفعه إلينا. فنظر الحجّاج إلى الأرض ، فلم يجد إلا ديناراً ،

فناولها إياه. فقالت: الحمد لله ، سقط منا درهم فعوضنا الله ديناراً. فخجل وسكت).هـ. فألفيتُ هذه المرأة داهية في التشفي وجبّارة في الانتقام من أعدائها. وكم في حياتنا من أمثال الحجّاج الذين عمدوا إلى استرقاقنا وإذلالنا! إن كثيراً من الناس يستضعفون بعض من حولهم فيفعلون ما شاؤوا بهم دون رقيب أو خشية من الله ، على طريقة فرعون في استضعاف بني إسرائيل! فليعلموا أن يوم الخلاص وانكشاف الخدع قادم. والحقيقة أنني أخِذتُ بقدرة هند بنت النعمان على التشفي والانتقام!)

28 - الحذاء الكلاسيكي

(أغراهم من هذه الرقيعة حذاؤها الذي كانت تضرب به في الأرض. حتى إذا وقعت في شراكهم ونالوا ما قصدوا إليه فيها رمَوْها. وكانت نهاية منطقية لمن لعبت بالنار فاحترقت. وكان بيدها أن تحتشم وتلبس ما يسترها عن عيونهم ، وتستبدل بالحذاء الكيلاسيكي ذي الكعب العالي الذي كلما ارتطم بالأرض أحدث من الصوت ما يستثير شهوات وأنظار البهائم فضلا عن الذئاب البشرية! قال الإمام ابن كثير في تفسير هذا الجزء من الآية {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ} ما نصه: (الضرب بالأرجل إيقاع المشي بشدة كقوله: يضرب في الأرض. روى الطبري عن حضرمي: أن امرأة اتخذت بُرّتين (تثنية بُرَة بضم الباء وتخفيف الراء المفتوحة ضرب من الخَلْخَال) من فضة واتخذت جَزْعاً في رجليها فمرت بقوم فضربت برجلها ، فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية. والتحقيق أن من النساء من كن إذا لبسن الخلخال ضربن بأرجلهن في المشي بشدة لتسمع قعقعة الخلاخل غنجاً وتباهياً بالحسن ، فنهين عن ذلك مع النهي عن إبداء الزينة. قال الزجاج : سماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من النظر للزينة ، فأما صوتُ الخلخال المعتادُ فلا ضير فيه. وفي أحاديث ابن وهب من «جامع العتبية»: سئل مالك عن الذي يكون في أرجل النساء من الخلاخل قال: «ما هذا الذي جاء فيه الحديث وتركُه أحب إليّ من غير تحريم» . قال ابن رشد في شرحه: (أراد أن الذي يحرمُ إنما هو أن يقصدْنَ في مشيهن إلى إسماع قعقعة الخلاخل إظهاراً بهن من زينته. وهذا يقتضي النهي عن كل ما من شأنه أن يُذَكِّرَ الرجل بلهو النساء ويثير منه إليهن من كل ما يُرى أو يسمع من زينة أو حركة كالتثني والغناء وكلام الغَزَل. ومن ذلك رقص النساء في مجالس الرجال ومن ذلك التلطخ بالطيب الذي يغلب عبقه. وقد أومأ إلى علة ذلك قوله تعالى: {ليعلم ما يخفين من زينتهن} ولعن النبي صلى الله عليه وسلم المستوشمات والمتفلجات للحسن.)هـ. وقال الشيخ عبد الله الجبرين رحمه الله: (معنى قوله تعالى: وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ): في هذه الآية تأديب للنساء المؤمنات ألا يبدين زينتهن إذا كانت الزينة خفية ؛ ولكنها تلفت النظر. من عادة النساء قديما لبس الخلاخل في الأرجل ، وهي زينة تصنع من فضة أو من نحاس مجوفة يجعل في جوف ذلك الخلخال حجارة صغيرة ؛ فإذا مشت تحركت تلك الحجارة فظهر لها صوت يلفت الأنظار نحوها ؛ فلا يجوز لها أن تضرب بالأرجل على الأرض ضرباً قوياً بحيث يطن ذلك الخلخال ، ويظهر له صوته فيلفت الأنظار نحوها ، بل عليها أن تمشي على الأرض هوناً ليست تظهر الحركة. إنما هذا الخلخال زينة خفية تبديه إذا احتاجت إلى ذلك أمام زوجها أو أمام نسائها ونحو ذلك ، فأما أن تضرب برجلها فإن هذا من

الزينة الخفية ، جعله الله تعالى زينة ، ويقال كذلك أيضاً: إذا كان عليها خواتيم فلا تبديها ، وإذا كان عليها أسورة يعني: على ذراعها الأسورة التي من الذهب ونحوه ؛ فلا يجوز لها أن تظهر كفها وساعدها ، وتحصر كم ثوبها حتى يظهر ذلك للرجال ؛ فإنها مأمورة بستر ما تستطيعه من زينتها ويكون هذا من الزينة الخفية. كذلك إذا كان في عنقها قلائد أو عقود ؛ فهذا أيضاً من الزينة عليها أن تستره ، تستره بخمارها أو تستره بعباءتها ، فلا تبديه إلا للزوج أو للنساء أو للمحارم ونحوهم. كل ذلك من باب الحفاظ عليها ، وإبعادها عن أن تبتذل أمام الرجال.)هـ. ورحم الله صاحب الظلال إذ علق على مسألة الحذاء والضرب به في الأرض في آية سورة النور فقال ما نصه: (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن): وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها. فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان. وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها ، أو حُليّها ، أكثر مما تثيرهم رؤية جسم المرأة ذاته. كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم ، أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم - وهي حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم - وسماع وسوسة الحلي أو شمام شذى العطر من بعيد ، قد يثير حواس رجال كثيرين ، ويهيج أعصابهم ، ويفتنهم فتنة جارفة لا يملكون لها رداً. والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله. لأن مُنزله هو الذي خلق. وهو الذي يعلم من خلق. وهو اللطيف الخبير.)هـ. وهنا في هذه القصة رُحتُ أقرّع صاحبة الحذاء الكيلاسيكي تلك. وألومها أن تبرجها الرخيص المبتذل كان سبباً في ضياعها ، وذلك بوقوعها ضحية هينة مستساغة ، وأوضح لها أن الحجاب السابغ المحترم يعصمها بعد الله من الذئاب البشرية التي لا ترحم ولا تأخذها الشفقة ، وأبيّن لها أن عزتها في التزام أوامر الله!)

29 - الحذر من التطويع

(فرقٌ كبير بين تطويع الناس للدين ، وبين تطويع دين الله لأهواء الناس. ومن هنا يتميز دعاة الهدى عن دعاة الهوى! ويبقى لكل أنصاره ومنهجه ، ولا يمكن الخلط بين المنهجين فالتمايز بينهما يدركه كل إنسان عنده أدنى مسكة من عقل. وعندما يواجه داعية حق مجتمعاً يحوي الكثير من الدعاة المرتزقة الذين يأكلون بدينهم ، ويطوّعون دينهم للطواغيت وعبدتهم من الذين يتبعون أهواءهم ، فإن ذلك الداعية يعاني الكثير. لأن الكل يستهجن ما جاء به ، وكأنه جاء الناس بدين جديد! والسبب في ذلك أن الناس لكثرة إيلاف التطويع والتحريف ترسّخ في أذهانهم أن هذا هو المنهج الحق ، وتأكّد لديهم أن الجاهلية هي الأصل ، وما شذ عنها فليس من الدين. لأنهم منذ البداية لا يسألون عن دليل ولا عن اجتهاد. إنما همُ استمعوا وأنصتوا لحفنة من المرتزقة الذين يطوعون الدين كتاباً وسُنة لانحراف الظالمين ليُضفوا - على مناهجهم الجاهلية - الشرعية التامة! ومن هنا يبرز لنا ثقلُ العبء والوزر الذي يتحمله هؤلاء الدعاة ، كما يتبين حجم التحريف الذي بذلوه وأصّلوه ورسخوه في قلوب الناس ، شأنهم في ذلك شأن دعاة الفتنة من المنافقين والمرتزقة! يقول الأستاذ علوي عبد القادر السقاف عن النفاق وتعريفه ما نصه بتصرف: (اختلف علماء اللغة في أصل النفاق ، فقيل: إن ذلك نسبةً إلى النفق وهو السرب في الأرض ، لأن المنافق يستر كفره ويُغيّبه ، فتشبّه بالذي يدخل النفق يستتر فيه. وقيل: سُمي به من نافقاء اليربوع ، فإن اليربوع له جحر يقال له: النافقاء ، وآخر

يقال له: القاصعاء ، فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء. وكذلك المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه ، وقيل: نسبة إلى نافقاء اليربوع أيضاً ، لكن من وجه آخر وهو إظهاره غير ما يضمر ، وذلك: أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج ، فإذا رابه ريب دفع ذلك برأسه ، فخرج ، فظاهر جحره تراب كالأرض ، وباطنه حفر ، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر. ولعل النسبة إلى نافقاء اليربوع أرجح من النسبة إلى النفق (لأن النفق ليس فيه إظهار شيء ، وإبطال شيء آخر ، كما هو الحال في النفاق ، وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يبطن ، أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه ، لأن الذي يتحقق فيه الشك الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر ، إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منه). أما النفاق في الاصطلاح الشرعي فهو: القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد ، أو هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً. والمنافق لا بد وأن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه ، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق ، قال تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) ، وقال: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) ، إذ أخص وأهم ما يميز المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن ، وبين الدعوى والحقيقة ، كما قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) ، قال الإمام الطبري: (أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم) ، وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق ، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: (ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ (الزنديق) وشاعت في لسان الفقهاء وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته؟ والمقصود هنا: أن (الزنديق) في عُرف هؤلاء الفقهاء ، هو المنافق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره ، سواء أبطن ديناً من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم ، أو كان معطلاً جاحداً للصانع والمعاد ، والأعمال الصالحة) ، وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم: الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة ، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله ، وهؤلاء المنافقون ، وهم في الدرك الأسفل من النار)هـ. والأصل أن كل داعية يجب أن ينظر أمره ، أهو على بينة من دينه؟ أم أنه مرتزق يطوّع الدين للطواغيت ويفرغه من حقيقته ، ويدعو الناس إلى ما يمليه عليه الطاغوت؟ فإذا كان الداعية من النوع الأول فالسمع والطاعة. وإذا كان من النوع الثاني فلا سمع ولا طاعة. وإذا لم يكن سبب ارتزاق إلا إضفاء الشرعية على انحراف الجاهلية وتغييب الطواغيت لحكم الله تعالى فإنه قد وجبت المسألة لمن هذا حاله ووَضعُه! والله سبحانه لا يضيع عبداً عظم شعائره وأعلى شرائعه!)

30 ـ الحذر الحذر من الغرور

(يرجع سبب كتابة هذه القصة إلى قبيل عام 1985م ، عندما استمعت إلي الأستاذ القطان في شريطه (سكرات الموت). وكان من استشهاده بالشعر أبيات من الشعر الذي نقشه الحريري في مقاماته العظيمة بعنوان (أيا من يدعي الفهم). وإلقاء القطان يأخذ بالقلوب إلي عالم آخر. فتأثرت

ونقشت كما نقش الحريري. وتذكرتُ أحد الصالحين هو إبراهيم بن أدهم عندما كان يمشي في واد بالبصرة ، فاجتمع الناس إليه. فقالوا: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ وإن الله يقول: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)! فقال: يا أهل البصرة قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء فكيف يستجاب لكم؟ (1) عرفتمُ الله عز وجل ولم تؤدوا حقه. (2) وقرأتم القرآن ولم تعلموا به. (3) وادعيتم حب الرسول وتركتم سُنته. (4) وادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه. (5) وادعيتم دخول الجنة ولم تعلموا لها. (6) وادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم. (7) قلتم: الموت حق ، ولم تستعدوا له. (8) اشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم. (9) دفنتم الأموات ، ولم تعتبروا. (10) أكلتم نعمة الله ولم تشكروه عليها. ألا ما أصدقك يا ابن الأدهم وما أحكمك وما أرشدك! لكأنك تخاطب الكثيرين من وراء الحجب من أهل زماننا هذا. إن الاعتزاز بالدنيا ليس دأب أهل التقوى أبداً ، بل بل هو ديدن المفتونين من أهل الدنيا الذين يحبونها. ولكن يغيب عن الكثيرين منهم أنهم لا بد راحلون ومفارقون. يَغيبُ عن المغترين بالدنيا أنهم يوماً سيموتون ، ولو أنهم عادوا إلي أصل حياتهم لعلموا أنهم من وإلي الأرض ، وأن حياتهم هذه إلي زوال وفناء: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري). ولقد ألف كثير من الشعراء عدداً من القصائد في ذم الدنيا وعبيدها ، ويعتقد الناس أن التأليف أي تأليف ، إنما يراد به السبق إلي أمر جديد ، أو تصحيح خطأ ، أو شرح مستغلق ، أو إتمام ناقص ، أو جمع مبعثر متفرق ، أو ترتيب ما هو منثور ، أو اختصار ما هو طويل ، أو شرح مختصر ، أو معارضة شيء ما أي موافقته أو معارضته بمعني رفضه والرد عليه ، وقد يكون التأليف لغير شيء من هذا كله! قد يكون لشهوة في نفس المؤلف للظهور والسمعة ، والأعمال بنية أهلها ، وأكتب في ذم المغترين بالدنيا لإظهار هوانها وهوان عبيدها. وتحت عنوان: (علامات وأسباب حسن الخاتمة وسوء الخاتمة) يقول الأستاذ خالد بن عبد الرحمن الشايع ما نصه: (حسن الخاتمة هو: أن يوفق العبد قبل موته للتقاصي عما يغضب الرب سبحانه ، والتوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة ، ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله). قالوا: كيف يستعمله؟ قال: (يوفقه لعمل صالح قبل موته). رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه الحاكم في المستدرك. ولحسن الخاتمة علامات ، منها ما يعرفه العبد المحتضر عند احتضاره ، ومنها ما يظهر للناس. أما العلامة التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته فهي ما يبشر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضلا منه تعالى ، (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) ، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم وفي قبورهم وعند بعثهم من قبورهم. ومما يدل على هذا أيضاً ما رواه البخاري ومسلم في (صحيحيهما) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه). فقلت: يا نبي الله! أكراهية الموت ، فكلنا نكره الموت؟ فقال: (ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه). وفي معنى هذا الحديث قال الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام : ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته ، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد ، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها ، وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة.)

31 - الحراسُ الأمناء

(ألا إن أحاديث الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تعتبر وحياً ، وتدخل في الآية (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). وإذن فالذكر هنا يشمل الوحيين: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث. وإن الله جَندَ للكتاب حراساً أمناء ، كانوا قد كتبوه وحفظوه ورعوه وقاموا على شأنه ودعوا إليه بكل إخلاص. وجاهدوا في سبيله ، وحَمَوْه بالدم والنفس والمال والولد والبلد. وكذلك السنة. وكنتُ أظن أن الإمام الزرقاني بكتابه: (المقاصد الحسنة) والشوكاني بكتابه: (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) قد أحصيا كل الموضوعات. فإذا بي وبعد استقراءٍ للتاريخ دقيق أجد أن الحُراس الأمناء أكثر أن يُعَدوا كثرة. وكلهم قد كرّسوا وقتهم ورصدوا المال لخدمة السنة ، فغفر الله لهم حمايتهم وحراستهم للسنة بأمانة. وجديرٌ بي أن أذكر شيئا هنا في مقدمة هذه القصيدة عن هؤلاء الأئمة الأعلام وشيئا عن جهودهم في حراسة السنة وحمايتها. * الحافظ الحسين بن ابراهيم الجوزقاني المتوفى سنة 543هـ له كتاب الأباطيل. * الحافظ أبو الفرج بن الجوزي المتوفى 597هـ. له كتاب (الموضوعات). * السيوطي المتوفى90 هـ عقب علي بن الجوزي. وله كتب (النكت البديعة - الوجيز – اللآلئ المصنوعة – التعقبات). * محمد بن يوسف بن علي الشامي صاحب السيرة المتوفى942هـ له (الفوائد المجموعة في بيان الأحاديث الموضوعة). * علي بن محمد بن عراق المتوفى963هـ. له (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة). * محمد بن طاهر الفتني الهندي المتوفى986هـ له كتاب (تذكرة الموضوعات). * المُلا على قاري المتوفى 1014هـ له (تذكرة الموضوعات – المصنوع من الحديث الموضوع) * محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي المتوفى 1304هـ له (الآثار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة). * أبو المحاسن محمد بن خليل القاوقجي المتوفى 1305هـ له (اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع). * محمد البشير أو ظافر الأزهري المتوفى 1325هـ له كتاب (تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد وخاتم المرسلين). •• الحافظ محمد بن طاهر المقدسي المتوفى 507هـ له (التذكرة في غرائب الأحاديث المنكرة). •• عمر بن بدر الموصلي المتوفى 543هـ له (المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب). وله أيضا: (العقيدة الصحيحة في الموضوعات الصريحة – معرفة الوقوف على الموقوف في الموقوفات). •• محمد بن محمد الطرابلسي السندروسي المتوفى 1177هـ له (الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي). •• ابن قيم الجوزية له (المنار). •• الحافظ العراقي له (تخريج أحاديث الإحياء للغزالي) وله (مختصرة لصاحب القاموس). •• ابن تيمية يعتبر أول من كتب في هذا الفن ، والدليل هو رسالته (أحاديث الخواص). وتوالت بعد ذلك كتاباته الجمة. •• بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى 794هـ له (التذكرة في الأحاديث المشتهرة – اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة). •• أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى 852 هـ له (اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة). •• محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى 902 هـ له (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة). •• عبد الوهاب الشعراني الصوفي المتوفى 973هـ له (البدر المنير فى غريب أحاديث البشير النذير). •• غرس الدين محمد بن أحمد الخليلي الأنصاري الشافعي المدني المتوفى 1057 هـ نظم قصيدة عذبة قوامها عشرة آلاف بيت وأسماها (كشف الالتباس عن الأحاديث التي تدور بين الناس) ، ثم شرحها في كتاب يحمل العنوان (تسهيل السبيل إلى كشف الالتباس عما دار من

الأحاديث بين الناس). •• نجم الدين محمد بن محمد الغزي المتوفى 1061 هـ له (إتقان ما يحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن). •• محمد بن أحمد بن جار الله الصعدي الصنعاني المتوفى 1223هـ جمع في كتاب واحد (درر السيوطي ومختصر المقاصد للزرقاني والتمييز لابن الديبغ). وفي عصرنا الحديث لا ننكر جهود الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تنقية الأحاديث ، فله (السلسلة الصحيحة – السلسلة الضعيفة). ولقد تعددت جهود العلماء في مقاومة الوضع ، وتضافرت العوامل العديدة التي ذكرتها في إنماء كمية الأحاديث الموضوعة وهددت السنة بالتشويه والتحريف لولا الجهود الجبارة التي بذلها العلماء في تنقية السنة. وتمييز الصحيح من السقيم ، فقاموا بمجهود رائع تمثل في التأكيد على الإسناد ، والرحلة في طلب العلم ، وتدوين الحديث ، ووضع علوم الحديث المختلفة ، والإسناد من الدين! فليعلم مدى الإسناد وأهميته وما يتصل بمعرفة رجال السند وهو أحد علوم الحديث المهمة ، ويطلق عليه "علم الرجال". يراد بالإسناد الطريق الموصل إلى المتن ، فالحديث إنما يروى عن طريق سلسلة من الرواة تبدأ بالراوي الذي يحدّث بالحديث وتنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بين الإسناد والسند عند الجمهور ، وعند غيرهم أن الإسناد رفع الحديث إلى قائله وكأنه مشتق ومأخوذ من قولنا من أسند في الجبل إذا صعد فيه وعلا على سفحه ، والسند للأخبار عن طريق المتن الذي من معانيه ما صلب من الأرض وارتفع منه. فإلى جميع الحُرّاس الأمناء الراحلين والأحياء والذين سيخلفون إلى قيام الساعة غاية وجودهم عبادةُ الله تعالى والحفاظُ على سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وحمايتها وحراستها!)

32 - الحرص يرتصد النفوس

(السعي على المعيشة أمرٌ مطلوب مرغوب محبوبٌ جميلٌ مشروع. لكنه إذا قاد إلى الحرص الصارف عن تعلم الحق والعمل به فإنه يُصبح وبالاً وخسارة وصنماً يُعبد من دون الله. والسعي على المعيشة جزء من عبادة الله تعالى ، وهذا له شواهده وأدلته في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ولكننا نقرر في هذه القصيدة أن هذا السعي وهو جزء من العبادة لا ينبغي أن يُعبد من دون الله! ألا وإن كل شيء قدّره الله سيكون! ففيم الحرصُ الزائد عن الحد؟ فلنعمل ولنتوكل على الله ، ولا نغالي!)

33 - الحُطيئة (إمام الهجّائين)

(إنه أبو مُليْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي ، والذي عُرف بالحُطيئة بعد ذلك. ويعتبر أحد الشعراء المخضرمين (أي أدرك الجاهلية شاعراً ، وأسلم في زمن أبي بكر). وكانت ولادته في بني عبس من أمة اسمها: (الضراء) دعِيّاً لا يَعرفُ أحدٌ له نسباً. وبالطبع أنه مادام ذلك كذلك فقد شب محروماً مظلوماً لا يجد أي َمدد من أهل ولا سند من قوم. فاضطر إلى أن يتكسب بالشعر. فاعتاد أن ينشد الشعر ليقتات وليقوت مَن يعول ، وكذلك ليدفع به العدوان ، وينتقم به من بيئةٍ يزعم أنها ظلمته وجنت عليه. ويمكننا القول بأن هذا هو السبب الذي يكمنُ وراء كونه أشدّ الناس هجاء. ولم يكن يَسلم من لسانه أحد حتى أباه وأمه ، وقد هجا نفسه ، فصار بذلك إمام الهجائين! * حبسه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يوم جاءه الزبرقان بن بدر

التميمي الذي هو سيد قومه ، وكان قد عمل للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما -. فكان يجمع زكاة قومه ويؤمها لهم جميعاً. اشتكى من هجاء الحطيئة له. فسأله عمر: وماذا قال لك يا ابن بدر؟ قال: (دع المكارم لا ترحل لبُغيتها ** واقعد ، فإنك أنت الطاعم الكاسي). وهنا قاطع عمر معلقاً فقال: إن هذا عتاب وليس بهجاء! فقال الزبرقان بن بدر: أولا تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس ، والله يا أمير المؤمنين ما هُجيت ببيت شِعر قط أشدّ عليّ من هذا. فدعا حسان بن ثابت الأنصاري ، وسأله أتراه هجاه يا حسان؟ فقال حسان: نعم وسلحَ عليه! (سلحَ أي تبرَّز!) وهنا وبعد التحقق والتثبت حبس عمر – رضي الله تعالى عنه - الحطيئة. فراح يستعطف عمر بأبياتٍ منها قوله مسترحماً:

مـــاذا تقـــول لأفـــراخ بـــذي مـــرح ... زغـــب الحواصـــل لا مـــاءٌ ولا شـــجرُ؟

ألقيـــت كاســـيَهم فـــي قعـــر مُظلمـــةٍ ... فـــاغفر عليـــك ســـلامُ الله يـــا عمـــر

أنـــت الإمـــامُ الـــذي مـــن بعـــد صـــاحبه ... ألقـــى إليـــك مقاليـــدَ النهـــى بشـــر

لـــم يـــؤثروك بهـــا ، إذ قـــدموك لهـــا ... لكـــنْ لأنفســـهم كانـــت بـــك الأثـــر

فـــامنن علـــى صِـــبيةٍ بالرمـــل مســـكنهم ... بـــين الأبـــاطح إذ ألقـــى بهـــم قـــدر

نفســـي فـــداؤك كـــم بينـــي وبيـــنهمُ ... مِـــن عَـــرض واديـــةٍ يعمـــى بهـــا الخبـــر!

وهنا قال عمر: إن فعلت فإياك والمقذع من القول. فقال الحطيئة: وما المقذع من القول؟ قال عمر: أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان. قال الحطيئة: فأنت والله أهجى مني! ثم قال له عمر: والله لولا أن تكون سُنة لقطعتُ لسانك. وكان أن اشترى عمر منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم! وأخذ عليه عهد الله وميثاقه أن لا يهجو أحداً. ولكن حدّث أهل السير أنه عاد إلى الهجاء بعد وفاة عمر – رضي الله تعالى عنه -. ولقد تتبعت أقوال سلفنا الكرام والمحترمين من الأدباء والشعراء والكتاب من المسلمين ومن غيرهم يعظمون شأن الكلمة ويدعون إلى حفظ الألسنة عن الاستطالة في الأعراض! وما كانت دعوة لإطلاق الألسنة في أعراض الناس قط! قال سليمانُ بن عَبدِ الملك رحمه الله تعالى: (الكَلَامُ فِيْما يَعْنِيْكَ خَيرٌ مِنَ السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ ، والسُّكُوتُ عَمَّا لَا يَعْنِيك خَيرٌ مِنَ الكَلَامِ فِيْما يَضُرُّكَ). وقيل في المعنى نفسه: (قال الحسن رحمه الله تعالى: إِمْلَاءُ الخَيْرِ خَيرٌ مِنَ الصَّمْتِ ، والصَّمتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاء الشَّرِّ). وقال علي بن بكار رحمه الله تعالى: (جعلَ اللهُ تعالى لِكُلِّ شيءٍ بابين ، وجعلَ للسان أربعةَ أبوابٍ: فالشفتانِ مِصْرَاعان ، والأسنانُ مِصْرَاعَان). وقال بعض الحكماء: (إنَّما خُلِقَ للإنسان لسانٌ واحدٌ ، وعينانِ وأُذنانِ ليسمعَ ويُبْصِرَ أكثرَ مما يقول). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إذا تَمَّ العَقْلُ وكَمُلَ نَقَصَ الكَلام). وقال رجل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى: (بلغني أنَّكَ ذَكرتني بِسُوءٍ ، قال: أنتَ إذن أَكْرَمُ عليَّ مِن نفسي ، إنّي إذا فَعَلْتُ ذلكَ أَهْدَيتُ لكَ حَسَناتِي). وقال الزهري رحمه الله تعالى: (إذا طَالَ المجلِسُ كان للشّيطَانِ فِيه نَصِيْبٌ). وقال يونس بن عبيد رحمه الله تعالى: (مَا رَأيتُ أحداً لسانُه منه على بالٍ إلا رأيتُ ذلك في سائر عَمَلِهِ ، ولا فَسَدَ مَنْطِقُ رجلٍ قطُّ إلّا عرفتُ ذلك في سائر عمله). وقال حكيم: (ثلاثٌ مَن

كُنَّ فيه أصابَ البر: السَّخَاءُ والصَّبْرُ على الأَذَى وطِيْبُ الكَلامِ). وكان مالك بن أنس رحمه الله تعالى يعيب كثرةَ الكلام ويذمّه ويقول: (كَثْرَةُ الكَلَامِ لَا تُوجَدُ إلّا في النِّسَاءِ والضُّعَفَاء). وقال الحكماء: (خيرُ الكلامِ ما دَلّ على هُدًى ، أو نَهَى عَنْ رَدَى). وقال أبو الأسود الدُّؤليُّ لابنه: (يَا بُنَيَّ إنْ كُنْت فِي قَوْمٍ فَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِ مَنْ هُوَ فَوْقَك فَيَمْقُتُوك ، وَلَا بِكَلَامِ مَنْ هُوَ دُونَك فَيَزْدَرُوك). وقال لقمان رحمه الله تعالى: (إنّ مِنَ الكَلامِ ما هو أشدُّ مِن الحَجَرِ في وَقْعِهِ ، وأنفذُ مِنْ وَخْزِ الإبرِ ، وأَمَرُّ مِنَ الصبرِ ، وأحرُّ مِنَ الجَمْرِ). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (مَا أَضْمَرَ أحدٌ شيئاً إلَّا ظَهَرَ في فَلَتَاتِ لِسَانه وصَفَحاتِ وَجْهِهِ). وقال وهب بن الورد رحمه الله تعالى: (بلغنا أنَّ الحكمة عشرة أجزاء: تسعةٌ منها في الصَّمتِ ، والعَاشِرُ في عُزْلَةِ النّاس). وقال بشر بن الحارث رحمه الله تعالى: (الصَّبْرُ هو الصَّمْتُ ، والصَّمْتُ مِن الصَّبْرِ ، ولا يكون المُتَكَلِّم أورعَ مِن الصَّامِتِ ، إلَّا رجلٌ عالمٌ يتكلم في موضِعِه ويَسْكُتُ في موضِعِه). وقال السلف: (كان الربيعُ بنُ خُثَيْمٍ يكتُبُ كلامهُ مِن الجمعةِ إلى الجمعةِ ، فإنْ وَجَدَ حسنةً حمِد الله ، وإنْ وَجَدَ سيِّئةً استغفر). وقال الفضيلُ رحمه الله تعالى: (مَا مِنْ مُضْغَةٍ أَحَبُّ إِلَى الله تَعَالَى مِنَ اللِّسَانِ إِذَا كَانَ صَدُوْقَاً ، وَلَا مُضْغَةٍ أَبْغَضُ إِلَى الله تَعَالَى مِنَ اللِّسَانِ إِذَا كَانَ كَذُوْباً). وقال بعض البلغاء: (عِيٌّ تَسْلَمُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقٍ تَنْدَمُ عَلَيْهِ فَاقْتَصِرْ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ حُجَّتَك وَيُبَلِّغُ حَاجَتَك ، وَإِيَّاكَ وَفُضُولَهُ فَإِنَّهُ يُزِلُّ الْقَدَمَ وَيُورِثُ النَّدَمَ). وقال الأدباء: (الابتسامةُ كلمةٌ طيبةٌ بغير حُروفٍ). وقال الحكماء: (مَنْ قَالَ ما لَا يَنْبَغِي ، سَمِعَ مَا لَا يَشْتَهِي). وقال العلماء: (إذا جَالَستَ الجهالَ فأنصتْ لهم ، وإذا جَالستَ الحكماءَ فأنْصِت لهم ، فإنّ في إنصاتِكَ للجُهَّال زيادةٌ في الحِلْمِ ، وفي إنصاتِكَ للحكماءِ زيادةٌ في العِلْمِ). وخصلتان تقسيان القلب: (كَثرةُ الأَكلِ وكثرةُ الكَلَامِ). وقال العلماء: (كَمْ مِنْ وَجْهٍ مَلِيْحٍ صَبِيْحٍ وَلِسَانٍ فَصِيْحٍ غَدَاً يَوْمَ القِيَامَةِ بَينَ أَطْبَاقِ النَّارِ يَصِيْحُ!). وقال الحكماء: (لا شيء يخترقُ القلوبَ كلُطْفِ العِبَارة وبذل الابتسامة ولين الكلام وسلامة القَصْدِ ونَقَاءُ القَلب وغَضُّ الطَّرْفِ عن الزَّلَّات). وقال بعض البلغاء: (الْزَمِ الصَّمْتَ فَإِنَّهُ يُكْسِبُكَ صَفْوَ الْمَحَبَّةِ ، وَيُؤْمِنُك سُوءَ الْمَغَبَّةِ ، وَيُلْبِسُكَ ثَوْبَ الْوَقَارِ ، وَيَكْفِيكَ مَؤُونَةَ الِاعْتِذَارِ). وقال بعض الفصحاء: (اعْقِلْ لِسَانَك إلَّا عَنْ حَقٍّ تُوَضِّحُهُ ، أَوْ بَاطِلٍ تَدْحَضُهُ ، أَوْ حِكْمَةٍ تَنْشُرُهَا ، أَوْ نِعْمَةٍ تَذْكُرُهَا). فأين الحطيئة من هذه الأخلاق وتلك الوصايا؟! والحقيقة أن الحطيئة لم يسلم من لسانه أحد قط لا مربي ولا أم ولا نفس فمثلاً قال يهجو أمّه الضراء:

تنحـــي ، فاجلســـي عنـــي بعيـــدا ... أراح الله منـــــك العالمينـــــا

ألـــمْ أوضّـــحْ لـــك البغضـــاء منـــي ... ولكـــــنْ لا أخالـــــكِ تعقلينـــــا

أغِربـــــالاً إذا اســـــتودعتِ ســـــراً ... وكانونـــــاً علـــــى المُتحـــــدثينا؟!

جـــــزاكِ الله شـــــراً مـــــن عجـــــوز ... ولقـــــاكِ العقـــــوقَ مِـــــن البنينـــــا

حياتـــكِ مـــا علمـــتُ حيـــاة سُـــوءٍ ... وموتـــكِ كـــم يســـرّ الصـــالحينا!

وأنشد شعراً يهجو فيه مولاه الذي رعاه ورباه وأحسن إليه ، ومنه قوله:

فـــنِعم الشـــيخ أنـــت لـــدى المخـــازي! ... وبـــئس الشـــيخ أنـــت لـــدى المعـــالي!

جمعـــــت اللـــــؤم لا حيـــــاك ربـــــي وأبـــــواب الســـــفاهة والضـــــلال

وحتى نفسه التي بين جنبيه لم تسلم من لسانه! فلقد أنشد أبياتٍ يهجو فيها نفسه ، منها:

أبـــــت شـــــفتاي اليـــــوم إلا تكلمـــــا بهجْـــو ، فمـــا أدري لمـــن أنـــا قائلـــه؟

أرى اليـــــوم وجهـــــاً قـــــبّح الله خلقـــــه فقـــبّحَ مِـــن وجـــهٍ ، وقـــبّح حاملـــه!

وإذ مات أوصى بوضع هذا على كفنه! فيا للعجب في تفكير هذا الشاعر! ولذلك كانت جُل قصائده في ديوانه عن الهجاء والسب والشتم واللعن!)

34 - الحق بين ظلم الأب وعدل الأخ

(كتب الوالد أرضه - التي تزيد عن عشرة أفدنة - لابنه حارماً ابنته الوحيدة من الميراث. وتابعتْه على ذلك العائلة بأسرها ، حيث لم يكن من بينهم واحد حقاً منصف عادل! وحاول الابن (موضوع قصيدتنا) أن ينصح ويبين الحق لكنه لم يجد من أذن واعية منصتة. وبعد موت ذلك الأب أعطى الأخ حق أخته لها بالمعروف والعدل. ولم يُقر ظلمَ الأب ، ولم يقبل تغيير منار الحق والعدل. فلما سئل في ذلك قال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: فعلت ذلك لأحقق أهدافاً خمسة ، الأول هو إقامة العدل الذي أمر الله به ، إذ لا يجوز حرمان وريث من إرثه بحال وأبي حرم أختي دون وجه حق له في ذلك. والثاني هو أنني لا أريد لهذه السُنة والعادة السيئة - التي ينتهجها مع أبنائه وبناته كل أب ظالم أو أم ظالمة أن تستمر. والثالث هو حبي الشديد لأبي لأنني لا أريد له أن يلقى الله – عز وجل - ظالماً. وقد عاش ما عاش بيننا مثالاً في العدل والتسامح. والرابع هو حبي الشديد لأختي الكبرى التي ما كانت تستحق من الكل إلا الخير ، وقد حرصت أن أبقيَ على أواصر المودة والمحبة بيننا ، إذ المال يأتي ويذهب ونحن سنزول عنه بموتنا ، هذا إن لم يزل عنا في حياتنا ، وإنما يبقى الخير والعمل الصالح في الدنيا والآخرة. والخامس هو أنني لا أريد أبداً أن ألقى الله بعد موتي ظالماً متجاوزاً لحدوده ولشريعته. فانفعلت لذلك كشاعر ، خاصة ونحن نرى أن كثيراً من الآباء والأمهات قد وقعوا في تلك الكبيرة الشنيعة. يقول الأستاذ حسين أحمد عبد القادر عن العدل ما نصه بتصرف: (إن العدلَ من أعظم القيم في الإسلام التي أمر الله تعالى بترسيخها وتطبيقها ، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ، وإن امرأةً مخزوميَّة شريفة سرَقَتْ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه أن يَشفَعَ فيها ، فغَضِب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (أتشفَعُ في حدٍّ من حدود الله! إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرَق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ! وايمُ اللهِ لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت ، لقطعتُ يدها) ؛ (رواه البخاري). قام الرسولُ صلى الله عليه وسلم بتوطيد العدل ، وتطبيق المساواة ؛ لكي يتبعَ المسلمون هذا المنهجَ العظيم ؛ لإقرار الحق والعدل ، ودحضِ الباطل ، دون اعتبارٍ لنَسَب أو جنس أو لون ، إنها شريعةُ الله تعالى التي يَنعَمُ في ظلِّها الجميعُ ؛ قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا). وقِيمُ العدل والمساواة عند تطبيقِها يتقدَّم المجتمع المسلم ، ويسعى إلى الرخاء والنموّ ، ويستعيدُ الأمجاد القديمة ، ويعودُ ليقودَ البشرية في نشر أُسُس الدين الإسلامي وتطوير العلوم ، وإعمار الأرض ؛ امتثالاً لأمر الله تعالى ، فالكل في دولة العدل يشعر بالسكينة والأمان ؛ فلا يَخشى من الظلم والعدوان. والعدل يَتحقَّقُ في مجتمعنا المسلم بتطبيقه على الجميع ، فلا توجدُ محاباةٌ لعلية القوم ، ويتمُّ رد الحقوق للفقراء والمساكين ، فمن أجرَم فله العقاب ولو كان من ذوي السلطان والمال ، ومن أحسنَ فله الثوابُ ولو كان من البسطاء ، ومن أجمل صور العدل: أن يقوم المسلمُ بتطبيق العدل أولاً على نفسه ، فيقرَّ بالخطأ ، ويعتذرَ لمن أساء إليه ، ويسارع بالإحسان ؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). ومن صور العدل العظيمة: أن يقوم المسلمُ بتبنِّي قيم العدل مع الأعداء ، فلا يجور عليهم ، ولا يبخسهم حقوقَهم ، فهذا الأمر من أسس التقوى في دين الإسلام العظيم ؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). لقد كان الرسولُ صلى الله عليه وسلم أكثرَ الناس عدلاً ، وسيرتُه الشريفة ينبوع متدفِّق لكل القيم النبيلة ، وفي القصص النبوي ترسيخٌ للعدل ، وإقرار بالمساواة ، فما أحوجَنا إليهما!)هـ. المهم أن ذلك الأخ العادل قد أعجبني عدله ، عندما أعطى حق أخته!)

35 - الحقيقة لا يحدها قبر

(ص 90 من (حدث في المحكمة) للعمري ، قصة عن رجل خرج مع عامله لتحصيل نقود كثيرة ووضعها في كيس ، وذهب بها إلى بيت في مزرعته البعيدة عن المدينة ، فلمّا ذهب بها إلى البنك ليودِعها وجده مغلقاً ، فقرّر أن يودعها في اليوم التالي ، وكان هو والعامل في المزرعة وحيدين ليس معهما أحد إلا الله تعالى. فما كان من العامل إلا أن طمع في المال الوفير فقام بقتل هذا الكفيل أثناء نومه ، وحفر له حفرة في مزرعته ودفنه فيها ، لكنه وبسبب العجلة نسي بعض آثاره ، ثم غيّر الكثير من ملامحه ، فحلق لحيته فقد كان له لحية ، ثم هرب إلى مدينة أخرى يريد تمهيداً لهروبه إلى الخارج ، وعمد إلى بعض الأصباغ أو الأشكال في وجهه حتى لا يعرف ، وزوّر جوازاً واسما مزوراً ، وانطلق يريد أن يهرب عبر أقرب رحلة توصله إلى خارج هذه البلاد. فقد الأهل أباهم في ليلة ، إذ كان من عادته أن لا يبيت إلا عندهم ، ثم غدوا على حرثهم مصبحين يريدون أباهم ، فلم يجدوا سوى آثار له ، فحفروا حول هذه الآثار فوجدوا جثته ، فعلموا أن العامل هو الذي فعلها ، وأدركوا أنه كان قد تحصل على نقود من بعض رفاقه المدينين له ، فانطلقوا يهرعون في البحث عن العامل ، ولجأوا بعد الله عز وجل إلى الشرطة التي باشرت دورها وبذلت جهدها وانطلقت تراقب المطارات ، وبينما هو في المطار قد غير جوزاه وغير شكله ، وظن أنه لن يُعرف. وبينما هو في الطابور يريد أن يركب الطائرة إذ قيّض الله – جل وعلا – رجال شرطة أذكياء مع أحد ورثة القتيل الذي شك في الصوت فقط حين طلب من كل شخص أن يتكلم باسمه ، فميّزه لهم من صوته ، فأخِذ وأودع على ذمّة التحقيق شيئاً فشيئاً حتى ظهرت الحقيقة ، واعترف بكل شيىء وتبين أنه القاتل ،

وجاء وأخرج النقود التي كان قد أودعها عند أحد رفاقه وطلب منه أن يبعثها إليه بعد فراقه لهذه البلاد).هـ. ومن هنا عنونت لهذه القصة بهذا العنوان لأثبت أن الحقيقة لا تموت وأنها لا بد وأن تظهر ذات يوم مهما طال الزمن. فإلى كل من يحاول جاهداً أن يطمس معالم الحقيقة ، ويخفي مَنارَها أقول مبيناً أن الحقيقة لا يحدها قبر!)

36 - الحُكم بعد المداولة

(في إحدى جُمهوريات الموز تلك التي تجعل من عَلم الدولة إلهاً يُعبد من دون الله ، كان أحد المسلمين الحنفاء قد حرّك يده أثناء تحية العلم ، فاتهم بعدم الولاء وعدم الوطنية ، كما اتهم بالحِقد على السلام والأمان الدوليين. وكانت هناك قضية منظورة أمام المحكمة ، فدافع الرجل عن نفسه قائلاً: إنني أحرّك يدي للضرورة في الصلاة بين يدي الله تعالى ولا شيء عليّ. وكل الذي أنكره السادة الفقهاء في هذه المسألة هو كثرة الحركة التي تتنافى ابتداءً مع الخشوع في الصلاة ، للحد الذي إذا زادت عنه بطلت الصلاة على أحد قولي العلماء. وجاء في مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين ـ المجلد الثالث عشر ـ كتاب الحركة في الصلاة قوله: (الحركة في الصلاة الأصل فيها الكراهة إلا لحاجة ومع ذلك فإنها تنقسم إلى خمسة أقسام: القسم الأول: حركة واجبة. القسم الثاني: حركة محرمة. القسم الثالث: حركة مكروهة. القسم الرابع: حركة مستحبة. القسم الخامس: حركة مباحة. فأما الحركة الواجبة: فهي التي تتوقف عليها صحة الصلاة ، مثل أن يرى في غترته نجاسة ، فيجب عليه أن يتحرك لإزالتها ويخلع غترته ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يصلي بالناس فأخبره أن في نعليه خبثاً فخلعها صلى الله عليه وسلم وهو في صلاته واستمر فيها ، ومثل أن يخبره أحد بأنه اتجه إلى غير القبلة فيجب عليه أن يتحرك إلى القبلة. وأما الحركة المحرمة: فهي الحركة الكثيرة المتوالية لغير ضرورة ؛ لأن مثل هذه الحركة تبطل الصلاة ، وما يبطل الصلاة فإنه لا يحل فعله لأنه من باب اتخاذ آيات الله هزواً. وأما الحركة المستحبة: فهي الحركة لفعل مستحب في الصلاة ، كما لو تحرك من أجل استواء الصف ، أو رأى فرجة أمامه في الصف المقدّم فتقدم نحوها وهو في صلاته أو تقلص الصف فتحرك لسد الخلل ، أو ما أشبه ذلك من الحركات التي يحصل بها فعل مستحب في الصلاة ؛ لأن ذلك من أجل إكمال الصلاة ، ولهذا لما صلى ابن عباس رضي الله عنهما مع النبي صلى الله عليه وسلم فقام عن يساره أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه من ورائه فجعله عن يمينه. وأما الحركة المباحة: فهي اليسيرة لحاجة ، أو الكثيرة للضرورة ، أما اليسيرة لحاجة فمثلها فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدّها لأمها فإذا قام حملها ، وإذا سجد وضعها. وأما الحركة الكثيرة للضرورة: فمثل قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ* فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} ، فإن من يصلي وهو يمشي لا شك أن عمله كثير ولكنه لما كان للضرورة كان مباحاً لا يبطل الصلاة. وأما الحركة المكروهة: فهي ما عدا ذلك وهو الأصل في الحركة في الصلاة ، وعلى هذا نقول لمن يتحركون في الصلاة إن عملكم مكروه ، منقص لصلاتكم ، وهذا مشاهد عند كل أحد فتجد الفرد يعبث بساعته ، أو بقلمه ، أو بغترته ، أو بأنفه ، أو بلحيته ، أو ما أشبه ذلك ، وكل ذلك من القسم المكروه إلا أن يكون كثيراً

متوالياً فإنه محرم مبطل للصلاة).هـ. فإذا كان ذلك كذلك فهل حركة اليد أثناء تحية العلم تؤدي إلى كل هذا ويجرّم صاحبها؟ وهل حُرمة علم الدولة باتت أعظم من حرمة الله رب العالمين؟ اعقلوا يا قوم! فقال القاضي: لنحكم بعد المداولة. وبعدها حكم ببراءة المتهم وإخلاء سبيله! وكانت حيثية الحكم أن حرمة العلم ليست أبداً كحُرمة الله رب العالمين. فتخيلتُ المتهم البريء يقول لنا مدافعاً عن نفسه! سُئلت اللجنة الدائمة (ما حكم تحية العلم في الجيش وتعظيم الضباط؟) الجواب: لا تجوز تحية العلم بل هي بدعة مُحدثة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم" مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"[البخاري ومسلم] ، وأما تعظيم الضباط باحترامهم وإنزالهم منازلهم فجائز ، أما الغلو في ذلك فممنوع سواء كانوا ضباطاً أم غير ضباط. وسئلت أيضاً: هل يجوز الوقوف تعظيماً لأي سلام وطني أو علم وطني؟ الجواب: لا يجوز للمسلم القيام إعظاماً لأي علم وطني أو سلام وطني بل هو من البدع المنكرة التي لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم ، وهي منافية لكمال التوحيد الواجب ، وإخلاص التعظيم لله وحده ، وذريعة إلى الشرك ، وفيها مشابهة للكفار وتقليدهم في عاداتهم القبيحة ومجاراة لهم في غلوهم في رؤسائهم ومراسيمهم ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مشابهتهم أو التشبه بهم وبالله التوفيق. وقال سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان – عضو هيئة كبار العلماء - وفقه الله: (وأما تحية العلم: فالتحية تأتي بمعنى التعظيم ، ولا تكون تحية التعظيم إلا لله كما نقول في تشهدنا في الصلوات: التحيات لله ، أي: جميع التعظيمات لله سبحانه ملكاً واستحقاقاً ، فهي تحية تعظيم وليست تحية سلام ، فالله يُحيَّا ولا يُسلَّمُ عليه ، وتأتي التحية بمعنى السلام الذي ليس فيه تعظيم ، وهذه مشروعة بين المسلمين ، قال تعالى: {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} ، وقال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} ، وقال تعالى عن أهل الجنة: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ} وقال تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ} ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: {ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم} فالسلام إنما يكون بين المسلمين ولا يكون السلام على الجمادات والخرق ونحوها ، لأنه دعاء بالسلامة من الآفات ، أو هو اسم من أسماء الله يدعو به المسلم لأخيه المسلم عليه لينالله من خيراته وبركاته ، والمراد بتحية العلم الآن: الوقوف إجلالاً وتعظيماً له ، وهذا هو الذي أفتت اللجنة الدائمة بتحريمه لأنه وقوف تعظيم ، هذا ما أردت بيانه خروجاً من إثم الكتمان) جريدة الجزيرة عدد 11989 يوم الثلاثاء 1426/6/20هـ. وقال سماحته أيضاً: (طاعة الدولة واجبة فيما لا يُخالف الشرع ، وهي لا تريد مخالفة الشرع في جميع أنظمتها ، وأيضاً: تحية العلم قد صدر بتحريمها فتوى شرعية من جهة رسمية نصبتها الدولة وعيَّنت فيها الْمُفتين.. وهل القيام للعلم إذاً من باب العبث؟ لا إنما هو نوعٌ من التعظيم ، والتحيات في الأفعال من القيام والركوع والسجود وغير ذلك كلُّها لله ، كما في الحديث الصحيح: {التحيات لله} قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في آداب المشي إلى الصلاة: أي جميع التحيات لله استحقاقاً وملكاً ، قال الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي البلاد السعودية رحمه الله في شرحه: أي: جميع التحيات لله استحقاقاً وملكاً ، يعني: أنَّ الربَّ جلَّ وعلا هو المستحق لجميع التعظيمات ، لأنه الكبير الذي لا أكبر منه ، والجليل الذي لا أجلَّ منه ، انتهى... ولَمَّا صلَّى النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في بيته جالساً لمرض أصابه ، وقام مَن حضر خلفه يُصلُّون قياماً أشار إليهم أن اجلسوا ، ولَمَّا سلَّم من صلاته قال: {كدتم آنفاً أن تفعلوا فعلَ فارس والروم ، يقومون على ملوكهم وهم جلوس} فهذا

يدلُّ على تحريم التشبه بفارس والروم في قيامهم على ملوكهم تعظيماً لهم ، فدلَّ ذلك على أمرين: تحريم القيام تعظيماً للمخلوق ، وتحريم التشبه بالكفار) جريدة الجزيرة عدد 12017 يوم 1426/7/18هـ. ويُسأل الأستاذ سعد بن مطر العتيبي هل تحية العلم محرمة؟ أرجو التفصيل. فيقول ما نصه: (حكم تحية العلم فإنَّ ما يعرف بـ (تحية العلم) أحد التقاليد المشتهرة ، وهو عمل يكون على هيئة معينة ، ويقصد منه التعظيم والإجلال والاحترام ، بوصفه شعاراً للدولة ورمزاً لعزتها وقوتها ، كما هو واضح في شروح التقاليد العسكرية والكشفية ؛ وتعظيم العلم وإجلاله تعظيم لغير الله - عز وجل - وتعظيم لما لم يشرع الله تعظيمه ، والتعظيم عبادة تحتاج إلى دليل ولا دليل عليها من الشرع بل هي على خلاف الدليل ؛ وعليه فهي غير مشروعة ، ومما هو متقرر في قواعد الشرع أنَّ الأصل في العبادات التوقيف ، أي أنه يوقف في فعلها عند الحد الشرعي ، فإن وجد لها دليل شرعي يشرعها فهي مشروعة ، وإلا فتبقى على أصل التحريم ومنع الإحداث في الدين ؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ ". والتعظيم والإجلال في حقيقته عمل من أعمال القلوب ، وقد يظهر في عمل من أعمال الجوارح ، والقاعدة في ذلك أنه لا يجوز للمسلم أن يقوم بعمل يقصد منه التعظيم إلا بشرطين: * الأول: أن يكون التعظيم لله - عز وجل - ، أو لما أمر الله - سبحانه وتعالى - بتعظيمه ؛ كما في قول الله - عز وجل -: "ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ" ، وقوله - جل شأنه -: "ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ". * الثاني: أن يكون هذا العمل قد ورد به الشرع دليلاً وكيفية للحديث السابق. وتشتد الحرمة ويغلّظ في المنع إن تضمنت التحية نوعاً من الانحناء. ومن يتأمل طريقة السلام الشرعية ، وما جاء الشرع بمنعه من طرائق السلام الأخرى ، يجد أنَّ الشرع منع من كلِّ هيئة سلامٍ تتضمن نوعاً من التعظيم ؛ فقد نهينا عن الانحناء لبعضنا عند السلام ؛ كما في حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رجل: يا رسول الله الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له ؟ قال لا ، قال: أفيلتزمه ويقبله ؟ قال: لا. قال: أفيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال: نعم. رواه الترمذي. وكذلك نهينا عن السلام بصمت مع إمكان النطق بعبارة السلام المشروعة ، كما في حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قال: " ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ؛ فإنَّ تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف" رواه الترمذي ؛ وقد نصَّ بعض أهل العلم على بدعية التحية بالإشارة الخالية من لفظ السلام المشروع. فكيف إذا كانت تحية العلم من أساسها تشبهاً باليهود والنصارى؟ بل استحب بعض أهل العلم أن يجعل المصلّي وسط السترة من عمود أو اسطوانة أو نحوها إلى يمينه قليلاً أو إلى شماله ، فيكون على حاجبه الأيمن أو الأيسر ولا يصمد له صمداً ، مع ما هو معلوم من مشروعيتها ؛ فكيف بمن يعمد ويصمد إلى العلم وعموده ويقف أمامه على هيئة معينة؟!).هـ. وأما الشيخ الألباني فقد سُئل السؤال ذاته فقال في جوابه ما نصه: (* السؤال: ما حكم الوقوف أمام العلم؟ وما حكم الكف عن الحركة والانتصاب للعلم عند النشيد الوطني؟ * الجواب: هذه - ولا شك - من التقاليد الأوروبية الكافرة وقد نهينا عن تقليدهم بمناهي عامة وخاصة ، ولا يجوز لأي دولة مسلمة حقاً أن تتبنى شيئاً من تقاليد الكفار! لكن الأمر يعود إلى من كان له الخيرة في ألا يسمح بذلك ، ولا شك أن الحاكم المسلم الذي ليس فوقه حاكم في الدنيا ، هو الذي يستطيع أن يغير ويبدل هذه التقاليد والعادات الكافرة بتقاليد وعادات إسلامية ، أما من كان موظفاً أو كان جندياً ، ولا يستطيع إلا أن يتبع هذا النظام المنحرف عن الإسلام ، فهذا

يُظْهِرُ مراتبَ الناسِ ، على حد قوله عليه السلام: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان). فنحن نعلم أن مثل هذه المشاكل يقع الشيء الكثير منها في بعض البلاد الإسلامية ؛ لأنها ـ كما قلنا ـ تقاليد أجنبية. مثلاً: في بعض الدول العربية الإسلامية لا يسمح للجندي أن يلتحي ، فالناس على هذه المراتب التي جاء ذكرها في الحديث ، أكثر الناس اليوم عندما يدخلون الجندية يحلقون لحاهم هكذا النظام ، وبعضهم لا يحلقها وإنما هم يحلقونها رغم أنفه ، وبعض آخر ـ وهذا قليل جداً ، وله أمثلة هنا في الأردن وفي سوريا ـ يصمد ويصبر ويلقى العذاب والسجن إلخ ، ثم ينصره الله عز وجل ، فتراه جندياً ملتحياً ، بينما الألوف المؤلفة بدون لحى ، فإذاً القضية لها علاقة بقوة الإيمان في المكلف ، هذا الذي يكلف بأن يحييّ العَلَم هذه التحية غير الإسلامية بلا شك أنه يستطيع ألا يحيي ، لكنه يعلم أن أمامه السجن والتعذيب ، وربما أشياء أخرى لا نعرفها ، فالمؤمن القوي الإيمان يصبر ، ثم ما يكون بعد الصبر إلا النصر كما وعد الله عز وجل المؤمنين ، ولا يسع آخرين ـ لا يصبرون هذا الصبر ـ إلا أن يحيوا العلم وقلوبهم منكرة لهذه التحية ، وهكذا يجب أن نعلم أن هذا منكر ، وأن الذي يضطر إلى القيام به على الأقلّ ينكره بقلبه ؛ لأنه (ليس وراء ذلك ذرة من إيمان) كما هو معلوم في بعض روايات الحديث الصحيحة. السائل: وهل مجرد الانتصاب أمام العلم يخِل بالتوحيد؟ الجواب: نعم ، يخل بالإسلام والشريعة والآداب الإسلامية {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}هذا تعظيم أشبه بتعظيم الأصنام ؛ لأن هذا العلم عبارة عن قطعة قماش ، لكن هو التقليد الأوروبي الأعمى مع الأسف الشديد).هـ. وأخيراً تخيلتُ الرجل المحترم الذي حيّر القضاة فحكموا ببراءته لمّا قاس الأمر على جواز الحركة بين يدي الله في الصلاة ، فمن عدا الله يكون من باب الأولى! ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض! تخيلته يردّ عليهم بعد اتهام نيته ووطنيته وولائه!)

37 ـ الحلال بيِّن والحرام بيِّن

(فى مجلة (منار الإسلام ، العدد 6 السنة الرابعة والعشرون ، قصة لأحد أهل السنة الموحّدين من أهل عمان. كان قد رفض قبول 30 ألف ريال ربا. وقال: هذا مالٌ حرام لا أقبله وقد استفتيتُ أهل العلم وعلِمتُ بحُرمته. فعل هذا وهو في أمسّ الحاجة لكل ريال. فأنشدتُ حكاية عنه! قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). والصالحون الطيبون مع حرصهم على طيب مكاسبهم ، والتورع عن مشتبهها ، قد يُبتلون في أموالهم وأنفسهم كما يبتلون في غيرها ، فهم أشد الناس بلاء ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). رواه الترمذي وصححه ، وابن ماجه وصححه الألباني في "صحيح الترمذي".)

38 - الحمامة الغريبة

(كانت تطيرُ مع سِربها تعمل وتجتهد ، وإذا بالشياطين ترمي بالحبِّ في الدرب. فأكلتْ رفيقاتُها وانخدعن بالحب ، ولم تأكل وبَقيت وحدَها شريفةً عفيفة ، وعاشت تدفعُ ثَمَنَ العِفَّة والشرف جُوعًا وتشريدًا. وعانت الحمامة من مكر السوء الذي أوقعها فيه المتخاذلون الشامتون. (استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله). فالقرطبي رحمه الله يقول: (ومكر السيئ أي مكر العمل السيئ وهو الكفر وخدع الضعفاء ، وصدهم عن الإيمان ليكثر أتباعهم). وقال ابن كثير رحمه الله: (ومكر السيئ) أي: ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله ، (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله). أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم. وفصّل في ذلك ابن جرير فقال رحمه الله : (ومكر السيئ) وهو الشرك . وأضيف المكر إلى السيئ ، والسيئ من نعت المكر كما قيل إن هذا لهو حق اليقين). وقيل: إن ذلك في قراءة عبد الله (ومكراً سيئاً) ، وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر. وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير: (مكر السيئ) عطف على استكباراً بالوجوه الثلاثة ، وإضافة مكر إلى السيئ من إضافة الموصوف إلى الصفة مثل: عشاء الآخرة. وأصله: أن يمكروا المكر السيئ بقرينة قوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.)

---

39 - الحَمَل الذبيح

(إن الحمل الغبي الغافل المستهتر الذي يترك القطيع وينطلق وحده في البرية أو الغابة دون رفيق أو رفقة عليه أن يكون مستعداً لدع الثمن غالياً من لحمه أو دمه ، شاء أم أبى إن عاجلاً أو آجلاً: يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (عليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية). وإذن فالحمل الذي أعرض ونأى بجانبه زاعماً القدرة على الاستغناء عن الآخرين واهمٌ الوهم الكبير. ولقد يقع ذلك بالحمل من باب الابتلاء! فرغم حرصه يبتلى (ابتلاء الإيمان ، وليس ابتلاء العقوبة الذي ينزل بعبيد الهوى)! قال الأستاذ محمد المنجد متحدثاً عن الابتلاء ما نصه: (إن كثيراً من الناس عبدٌ لهواه وليس عبداً لله ، يعلن أنه عبد لله ، ولكن إذا ابتلي نكص على عقبيه (خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) ، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ). روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً). الابتلاء فرصة للتفكير في العيوب ، عيوب النفس وأخطاء المرحلة الماضية! لأنه إن كان عقوبة فأين الخطأ؟ والبلاء درسٌ من دروس التوحيد والإيمان والتوكل يطلعك عملياً على حقيقة نفسك لتعلم أنك عبد ضعيف ، لا حول لك ولا قوة إلا بربك ، فتتوكل عليه حق التوكل ، وتلجأ إليه حق اللجوء ، حينها يسقط الجاه والتيه والخيلاء ، والعجب والغرور والغفلة ، وتفهم أنك مسكين يلوذ بمولاه ، وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه. والابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله. قال ابن حجر: قَوْله: (وَيَوْم حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتكُمْ) رَوَى يُونُس بْن بُكَيْر فِي زِيَادَات الْمَغَازِي عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس قَالَ: قَالَ رَجُل يَوْم حُنَيْنٍ: لَنْ نُغْلَب الْيَوْم مِنْ قِلَّة ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَكَانَتْ الْهَزِيمَة. قال ابن القيم زاد المعاد: واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوة شوكتهم ، ليضع رؤوسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته انتهى. وقال الله تعالى: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ). قال القاسمي: أي لينقّيهم ويخلّصهم من الذنوب ، ومن آفات النفوس. وأيضاً فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين فتميزوا منهم.....ثم ذكر حكمة أخرى وهي (ويمحق الكافرين) أي يهلكهم ، فإنهم إذا ظفروا بَغَوا وبطروا ، فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم إذ جرت سُنّة الله تعالى إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسليط عليهم... وقد محق الله الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأصروا على الكفر جميعاً انتهى. وإظهار حقائق الناس ومعادنهم. فهناك ناس لا يُعرف فضلهم إلا في المحن. قال الفضيل بن عياض: الناس ما داموا في عافية مستورون ، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم ؛ فصار المؤمن إلى إيمانه ، وصار المنافق إلى نفاقه. ورَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلائِلِ عَنْ أَبِي سَلَمَة قَالَ: أُفْتُتِنَ نَاس كَثِير - يَعْنِي عَقِب الإِسْرَاء - فَجَاءَ نَاس إِلَى أَبِي بَكْر فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: أَشْهَد أَنَّهُ صَادِق. فَقَالُوا: وَتُصَدِّقهُ بِأَنَّهُ أَتَى الشَّام فِي لَيْلَة وَاحِدَة ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّة؟ قَالَ نَعَمْ ، إِنِّي أُصَدِّقهُ بِأَبْعَد مِنْ ذَلِكَ ، أُصَدِّقهُ بِخَبَرِ السَّمَاء ، قَالَ: فَسُمِّيَ بِذَلِكَ الصِّدِّيق).هـ. وإنني في هذه القصيدة أبكي حال هذا الحمل الذبيح الذي تمتد إليه الشفار بأكثر من يد وأكثر من قصد. وفيه عبرة لأمة مستهترة هجرت كتاب ربها وسنة نبيها من أجل الدنيا. وزهدت في العقيدة الحقة الناصعة التي ترفعها في الدنيا والآخرة. (ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد). ونعود للحمل البائس الغر. إنه حمل مسكين أطاحت به الشفار من كل جانب ، وتقدم غيره إلى الشفار وغرق في دمه وشمت فيه عدوه ، لكن هذا الحمل أبى إلا أن يقاوم ويواجه. وتعذب الغايات في عيون أصحابها وهم لا ينالونها إلا بالجهد والتعب والعرق! وعودٌ إلى الحمل الذبيح الذي أسقط في يده عندما أحاطت به سوف الغدر!)

40 - الحَمْو الموت

(إياكم والدخول على النساء. فقال رجل: أرأيت الحمو؟ فقال ثلاثاً – صلى الله عليه وسلم – الحمو الموت) وطبعاً رسول الله – صلى الله عليه وسلم - إنما يخاطب مجتمعاً نظيفاً طاهراً وضيئاً ، نظرُ رجاله إلى النساء غضيضٌ امتثالاً لأمر الله ورسوله. أما حينما يصبح نظر الرجال إلى النساء ، ونظر النساء إلى الرجال لا حدود له في مجتمع ما ، فإن الناس فيه تستهجن أن تستمع إلى عبارة (الحمو الموت). ويشهد على الاجتراء من جانب الناس على حدود الله هذي النتائجُ الوخيمة التي نطالعها صباح مساء من التحلل والإباحية والتهتك القائم. ما إن سمعت حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم - والذي يقول في تتمته: الحمو الموت ، ويكررها ثلاثاً. حتى تعجبت ، ولكنني عندما قرأت الواقع المعاصر ، واستقرأت ما سمعته من طوام عظام لمخالفة هذا الهدي الذي يدعو إليه الحديث ، علمتُ علم يقين أن لهذا الحديث - مع قلة ألفاظه - مغزى عظيماً لا يمكن وصفه بالقلم ، مهما أوتي الإنسان من بيان وحكمة وفن وبراعة تصوير.

عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إياكم والدخول على النساء فقال رجل من النصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت. رواه البخاري ومسلم. وهنا يحذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من الخلوة بالمرأة الأجنبية والدخول عليها ، وهنا يسأل أحد الصحابة: "أفرأيت الحمو؟". والحمو: أقارب الزوج أو الزوجة كابن العم وابن العمة وابن الخال وابن الخالة ، وكل من يجوز له أن يتزوج من المرأة! قال النووي: اتفق أهل اللغة على أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم" ، فهذا الصحابي يسأل عن أقارب الزوج الذين يدخلون على المرأة بكل طمأنينة ويسر ، ما الحكم الشرعي الثابت فيهم؟ فيجيبه النبي صلى الله عليه وسلم بإجابة قاطعة ثابتة يقينية قائلاً: "الحمو الموت"! فهو أولى بالمنع عن غيره لأن الفتنه منه أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة من غير نكير! ولا شك أن العمل بحديث رسول الله السالف الذكر يجنب المجتمع طواماً عظيمة ومصائب جمة.)

41 - الحنيفية السمحة حياة العروبة

(في شهر يوليو من عام 1996م كتب الشاعر الأستاذ حمد بن خليفة أبو شهاب قصيدته المشهورة (وقفة مع صادق الشعر) ، وأعجبتني القصيدة ، فقمت بمعارضتها في ديواني الثاني: (عزيز النفس)! وعندما أهديته ديواني الثاني أثنى عليه ومدح القصيدة ، ورحّب بي بصحبة الأخ حسن عباس التيجاني في مقر عمله في: (لجنة التراث والتاريخ) في مدينة دبي ، حيث يعمل الأستاذ حمد مديراً عاماً لها ، ويعمل الأخ حسن وكيلاً له. وأذكر جيداً أنني طالعتُ في مجلة الضياء قصيدة لحمد بو شهاب عنوانها: (إن العروبة بالإسلام عزتها) ، وأعجبتني فلاح لي أن أعارضها على ذات بحرها ورويها وقافيتها! وكان أبو شهاب قد اهتم بها حيث لم يكتف بنشرها في الضياء وغيرها! بل نشرها في ديوانه: (الهزار الشادي) ، يقول المطلع:

قبل الرسالة قل لي من همُ العربُ؟ وأي مجدٍ بنَتْ أمٌ لهم وأبُ؟

تعال فاستقرئ التاريخ أمثلة تر الحقائق فيما تحمل الكتب!

كان التفاخرُ بالأنساب رائدَهم في كل نادٍ ، فماذا حقق النسب؟

هل استطاعوا به توحيد أمتهم؟ كلا! ففاقد ملك الشيء لا يهب

واستمر الأستاذ في استعراض تاريخ العرب وسيرهم وأيامهم ومواقفهم مذ كانوا ممالك ممزقة يتقاسمها الفرس والروم ، مروراً بالبَسوس وداحس والغبراء ، ومروراً بأحوالهم قبيل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم -. ثم جاءت البعثة والنبوة فآمنوا فباتوا خير أمة أخرجت للناس ، وزالت عبادة الأصنام والأوثان ، واختفى وأد البنات وغيره من عادات الجاهلية وأعرافها وتقاليدها! واستمرت الأمة ما شاء الله لها أن تستمر! وينعي أبو شهاب أحوال الأمة المعاصرة وقد احتلت بعض أراضيها شراذمُ من الكفار! ويصفُ ضعفها وهوانها على أعدائها بعد أن تداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها! ولا يسترسل أبو شهاب في الشجون طويلاً. بل اتسمت القصيدة بالتوازن والإيجابية فوصفت الطريق لعودة الأمة إلى سابق عهدها ، وذلك

باتباع الكتاب والسنة: الأصْلين اللذين صلح بهما أمر الأوائل ، ويصلح بهما أمر الأواخر! فيختم أبو شهاب فيقول باكياً على الإسلام الحنيف والأقصى السليب:

واليـــومَ يـــذبحُ (أهـــلُ العجـــل) قدسَـــكمُ ويســـتبيحون مـــا شـــاؤوا متـــى رغبـــوا

ولـــم يهـــبّ (أبـــو جهـــل) لنجـــدتكم ألا تـــرون أبـــا جهـــل هـــو الســـبب؟

يـــا شـــعرُ قـــفْ بعـــد أن طوّفـــت بـــي حِقبـــاً قـــفْ حيـــث أنـــت ، فقـــد أضـــنانيَ التعـــب

ومـــا وجـــدتُ - بغيـــر الـــدين - معركـــة للعُـــرْب فيهـــا – علـــى أعـــدائها - الغلـــب

(إن العروبـــــة بالإســـــلام عزتهـــــا فـــــإن تولـــــتْ فـــــلا عِـــــز ولا عَـــــرب!

ومن أراد مطالعتها كاملة فليقرأها في ديوانه ، أو في مجلة الضياء ، أو في كتاب (الهزار الشادي)! وطبعا لم أشأ أن أوردها هنا كاملة على عادة بعض الشعراء ليظل السبق للأول ولمثلي المحاولة وكفى به من شرف! ولله الفضل أن يقدرني على معارضة شاعر هو قامة في شعر العرب الحديث! وإنّ رجلا بوزن حمد بن خليفة أبو شهاب لأفخر أنني أعارضه في هذه القصيدة. أنشدت من شعري معارضاً له! والأصل أن الأمة المسلمة معنية بمواجهة التحديات دائماً! يقول الأستاذ أنور الجندي في بحثه الرائع: (تحديات في وجه المجتمع المسلم) ما نصه: (منذ كانت البشرية والشرع الرباني في صراع مع الفكر البشري. وعلى مدى التاريخ ولما جاء القرآن نسف هذا الفكر كله وصيره ركاماً وكشف زيفه وضلاله وفساده ، ودعا البشرية من جديد إلى التوحيد بوصفه المنطلق الوحيد إلى إقامة المجتمع الرباني الأمثل. فهزم الإسلامُ العبودية البشرية في حضارات اليونان والفرس والهند والفراعنة ، وأقام حرية الإنسان متطلعاً إلى الإخاء البشري ، وجعل عبوديته لربه وحده دون الخلق جميعاً. ثم هزم العبودية الوثنية لغير الله وحرر العقل البشري وأطلقه ليجد طريقه إلى معرفة سنن الله في الكون ، ومن هذه النقطة أنشأ المسلمون المنهج التجريبي الذي هو قاعدة الحضارة المعاصرة. غير أن محاولات الهدم لم تتوقف وتجددتْ مرة أخرى ، وأخذتْ تصوغ من ذلك الركام القديم مذاهب جديدة عرفت في العصور السابقة بأسماء كثيرة منها الغنوصية والتناسخ والدهرية وإخوان الصفا والسبئية والحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، ولقد حطمت أعمال الشافعي وابن حنبل والأشعري والغزالي ثم ابن تيمية وابن القيم هذه الأعمال الزائفة التي كان لهما زخرفٌ ولمعانٌ يخطف الأبصار الساذجة. حتى جاء عصرنا عادت مرة أخرى عن طريق القوى الثلاث التي تواجه عالم الإسلام اليوم: الاستعمار والصهيونية والماركسية وتحمل لواءها دعوات: التبشير والاستشراق والتغريب والغزو الثقافي. ومنذ جاء الاستعمار وهو يعمل على هدم 3 قيم: (التعليم – الشريعة – اللغة). ومن هنا فإننا ينبغي أن نواجه هذا المخطط بقوة وعزم وتصميم).هـ.)

42 - الحياة أخذ وعطاء

(أوردنا إجمالاً في مقدمة قصيدة (تغير الحالُ أم الخال؟) ، أن العطاء بين الناس عطاءان (عطاء المستغني وعطاء المنتظر أو المقايض). وإنْ هي إلا وجهة نظر لم أقع عليها عند أحدٍ من السابقين ولا من اللاحقين. ولو كان ذلك كذلك لأوردتُ اسمه هنا ، وخلصتُ من حظ نفسي ومن تبعة احتمال كلامي للخطأ. فأما عطاء الكُبَراء وذوي المال والجاه والثراء فهو الذي عنيتُ بعطاء المستغني. فالجواد الكريم يُعطِي ولا يتوقع ردّ العطاء بعطاءٍ مثله فضلاً عن أن يكون أفضل منه ، لعِلمه مُسَبقاً بعدم قدرة المُهدى إليه على فعل ذلك. كما أنه يطمح دائماً إلى التفرّد في العطاء والمنح والإهداء. وإن تكلف المهدى إليه وحاول رد جميل هذا النوع الكريم المستغني من الناس فإنه يكون قد أهانه من وجهة نظره! وتكفي مثل هذا النوع من الأجاويد الكرام أن نقول له: (شكراً وجزاك الله خيراً)! وخيراً هنا نكرة في سياق العموم ، فهي تستوعب كل أنواع الخير. وكأن قائلها يقول له: إن كنتَ قد أكرمتني بخيرك فعند الله الخير كله بجميع أنواعه ، وهو سبحانه القادر على ردّ جميلك عليّ. ويصدق هذا ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم -: (من قال لأخيه: جزاك الله خيراً فقد أجزل له العطاء). وأما النوع الثاني من العطاء فهو عطاء المنتظر رد الجميل. وهذا النوع عليه أغلب الناس الذين تقوم فلسفتهم على أن الحياة أخذ ورد ، منفعة هي وكذلك انتفاع. وعندما يعجز من يهدى إليه رد الجميل فإنه يكون قد أجزل العطاء إذا اعترف بالفضل لأهله ودعا لهم بـ (جزاكم الله خيراً). أما أن ينتفع سين أو صاد من الناس بخير الصحبة ، ويقيم حياته على الأخذ دون العطاء مع استطاعته ، فهذه أنانية قذرة منتبذة لا يقبلها العقل السليم. وذات يوم تلقيت رسالة من أخ عزيز وصديق حميم لا نزكيه على الله ، وإنما نحسبه هكذا وهو الأستاذ / سمير خميس ، راح يسألني أن آخذ منه ما أريد من المال ، فلقد جاءه فضل مال ولله الحمد. فتوقفتُ عند الرسالة طويلاً ، ورحتُ أقرأها مراتٍ ومرات. إذ إن الرسائل في عمومها تطلب المال أو ما ساواه. لكن هذه تعرض المال على من يريد. واتصلت به بعد حين لأثبت لعل التعبير خانه ، لأن ذوي الحاجات الذين أنا واحد منهم دائماً يخونهم التعبير! ففي مثل هذه الحالات يكون منهم ما كان من الذي أخطأ من شدة الفرح فقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك!) فلما اتصلتُ أخبرني بأنه يقصدها. وكنتُ في حاجةٍ إلى شهم يُقرضني بعض المال ، وعدمتُ ذلك الشهم على كثرة مَن أعرفُ من الذين يعبدون المال ، والمهم أنني اقترضت من الأخ سمير ما لم أكن أتوقع ، ودعوتُ له ومازلت أدعو ، أن يُيَسر الله له ويوسع عليه وعلى أهل بيته ، ويرزقه من حيث لا يحتسب!)

43 - الخائنة مَجنيٌ عليها

(ظلت تلعب بالنار سنوات بين العشاق. فتُوهِم هذا ، وتلعب بهذا ، وتُعشّم ذاك ، وتُمني ذلك. إلى أن اكتشف العشاق الحقيقة. ودارت رحى الحرب بينهم. كل عاشق يريد أن تكون له وحده. فقتلتْ ثلاثة. ثم قتلها أحدهم انتقاماً. أما القتلى الثلاثة فكانوا على موعد مع الموت بسُمها بتدبير من الرابع الذي قرر رميها بالرصاص! وهذه نهاية منطقية لكل من تلعب بالنار ، فلا بد من أن تحرقها النار! واللهُ لم يضيق على عباده المؤمنين ، فشرع الزواج لتحقيق المودة والرحمة ولإنجاب الأولاد والبنات ، ليحملوا جميعاً رسالة رب الأرض والسماء. ولعل ضحية قصيدتنا لم تسلك هذا المسلك ، ولم تتبع المنهج القويم. بل عمدتْ إلى الخيانة واتباع خطوات الشيطان ، حتى زيّن لها الشيطان سوء عملها ، فرأته حسناً فكان منها ما كان!)

44 - الخلق والعلم معاً

(قصدتُ إلى مدرسة (منار الإيمان) لأخذ الأبناء: صلاح الدين وحساناً وسيف الإسلام ، فإذا بأحد معلمي اللغة العربية المحترمين – الأستاذ محمد الكيلاني - يشيد بأخلاقهم وأدبهم! لكنه يعيب تدني مستواهم العلمي والتحصيل الدراسي قائلاً: (مستواهم التعليمي كل سنة وأنت طيب)! وعبّر عن ذلك للأستاذ عماد (مشرف قسم البنين) إذ كان الحديث له مباشرة! ولم يكن يدري أنني حاضر في المشهد! فقلت له: إذن لا بد من تعديل بيت شوقي القائل:

لا تحســـــبنّ العلـــــم ينفـــــعُ وحـــــده مـــــا لـــــم يتـــــوّج ربّـــــه بخـــــلاقِ

تعديلاً يتناسب مع وضع هؤلاء الأبناء فيا ترى ماذا نقول؟ وانتظرتُ ريثما يُتحفنا الأستاذ الكيلاني! ومن باب الاستفتاح عليه أعطيته صدراً للبيت الجديد المناسب لأبنائي ليكمله فقلت: (لا تحسبن الخلْق ينفع وحده! أكمل! فتحيّر الأستاذ ولم يشأ أن يحرجني وخاصة أن الأبناء الثلاثة حاضرون أمامنا! فقلت له في التكملة: (ما لم يتوّج ربه بعلومَ)! فإذا كان شوقي ينعي الأخلاق التي افتقدها التعليم في زمانه! فنحن افتقدنا العلم والتحصيل في أبنائنا الثلاثة! فأقول:

لا تحســـــبن الخلّـــــق ينفـــــع وحـــــده مـــــا لـــــم يتـــــوّج ربـــــه بعلـــــومِ

والحقيقة أن المرء بالأخلاق والقيم يسمو ذكره بين الناس. وفي الحِكَم ينكشف زيف الأخلاق وتعلم حقيقتها. والحرية الحقيقية هي روح الموقف الأخلاقي ، ودون الحرية لا أخلاق ، ولا إتقان ، ولا إبداع ، ولا واجب يقوم به أصحابه. وعلى هذا فالأخلاق ليست فقط نظاماً للتعامل بين الناس ، ولكنه أسلوب ينظّم المجتمع ويحميه من الفوضى ، والقناعة كنز لا يفنى عند من يدركون قيمة الأخلاق. والكذب داء ، والصدق دواء ، والإنسان الخلوق ليس بكذاب. والشريف إذا تقوّى تواضع ، والوضيع إذا تقوّى تكبّر ، ومن هنا تبرز قيمة الأخلاق في ترشيد القوة واستثمار التواضع. وكما يقال: أملك الناس لنفسه من كتم سره ، وهذا من حسن الخلق. وسر النجاح على الدوام هو أن تسير إلى الأمام بأخلاق سامية رفيعة. ويجب عليك أيها الإنسان الخلوق أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به. واعلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم قد أرسى قواعد الأخلاق عندما قال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). وقال: (من تواضع لله رفعه). وعموماً خير الناس من فرح للناس بالخير وكان عضواً فاعلاً في إيصال الخير لهم. والخلوق إنسانٌ صدوق ، والعنيف إنسان ضعيف ، والأصيل إنسان نبيل ، والحليم إنسان حكيم والشريف إنسان عفيف. وأنه في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. ولكن هل عند اللؤماء أخلاق؟ وصدق من قال: (إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ، وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا). إنه لا مروءة لكذوب ، ولا ورع لسيئ الخلق. وقاعدة عظيمة تقول: (إذا لم تستحِ فافعل ما شئت) ، وذلك لأن الأخلاق تعصم صاحبها من الزلل. والإنسان الخلوق مَن إذا مَدحته خجل ، وإذا هجوته سكت. وعموماً قد تتغير الأخلاق بتغيّر البيئة! وإذا بيئة الإنسان يوماً تغيَّرت ، فأخلاقه طبقاً لها تتغير. ولذا فتواضعْ للناس لكن عن رفعة ، وازهد عن حكمة ، وأنصف عن قوّة ، واعفُ عن قدرة. والحقيقة أن حسن الخلق أحد مراكب النجاة. والتكبّر على المتكبر تواضع. وأدنى أخلاق الشريف كتمان سره ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسرّ له. والتواضع من مصائد الشرف. وإذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع في يده سلطة وقوة ومكانة ، ثمّ انظر كيف يتصرف. والحِلْمُ

يا قومي سيد الأخلاق. والدال على الخير كفاعله. والصدق يُحسن للفتى والكذب يحسب من عيوبه كما يقولون. والعِتاب خير من الحقد. والعفة جيش لا يُهزم. والكريم من أكرم الأحرار. إنه ينبغي على الإنسان أن يكون رحيماً ؛ لأنّ الرحمة بطبيعتها تجمع بين البشر على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم ، ولن يكون الإنسان كذلك إلا إذا جمع بين العلم والأدب! وينبغي أن يكون الإنسان أديباً لأنّ الأدب يوحّد القلوب المتنافرة في آرائها. وأنت أيها الإنسان إياك والرضا عن نفسك الرضا الكامل ، فإنه يضطرك إلى الخمول والكسل ، وإيّاك والعجب فإنّه يورطّك في الحمق والجهل ، وإياك والغرور فإنّه يظهر للناس نقائصك كلها ولا يخفيها إلا عليك. إنه لا يمكن للإنسان أن يصبح عالماً قبل أن يكون إنساناً. ولذا فاصحب الناس بأيّ خلق شئت أن يصحبوك. والتمس لأخيك بضعاً سبعين عذراً عندما يتجاوز في حقك. وحسن الخلق يستر كثيراً من السيّئات ، وكما أنّ سوء الخلق يغطّي كثيراً من الحسنات. وصدق أبو تمام عندما أعلنها: (إذا جاريت في خلقٍ دنيّاً ، فأنت ومن تجاريه سواء). وصدق الشاعر الحكيم الفيلسوف في قوله: (لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله ، عارٌ عليك إذا فعلت عظيم). وعموماً تنكشف الأخلاق في ساعة الشِّدة. والله عز وجل جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلاً بيننا وبينه سبحانه. وصلاح أمرك أيها الإنسان للأخلاق مرجعه ، فقوّم النفس ـ كما قال البوصيري ـ بالأخلاق تستقم. وإن كان لا بدّ من العصبية ، فليكن لمكارم الأخلاق ومحامد الأفعال. ولذا فكُن حكيماً له مبدأ حتى يحترمك الناس من أجله ، ولا تكن سفيهاً خالياً من أيّ منطق أو حكمة ، فلا يُقيم الخَلق حديثك. وبالأخلاق يفضّل المرء في الورى ويوقر. وكفى بالمرء فضلاً أن تُعَدَّ معايبه. وأطهر الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً. وأفضل الجود العطاء قبل الموعد. والمؤمن كالنحلة تأكل طيباً ، وتضع طيباً. وإن الله تعالى يحب معالي الأمور ويبغض سفاسفها. وإنّ المقدرة تُذهب الحفيظة. والمرء بأصغريه: قلبه ولسانه. وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة. وتاج المروءة التواضع. وترك الذنب من البداية أيسر من الاعتذار عنه للآخرين. وصدق شاعرنا ابن الوردي عندما قال: (لستُ أختارُ تقبيل يدٍ قطعها أجمل من تلك القبلْ). وتمام الصدق الإخبار بما تحمله العقول. وحُسنُ الخلق خير قرين. وحُسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد. وخير الناس للناس خيرهم لنفسه. وساقي القوم آخرهم شراباً. وسيد القوم خادمهم. ولذا فعامل الناس برأي رفيق ، والقَ من تلقى بوجه طليق. ولا تكن حلواً فتؤكل ، ولا مُرّاً فترمى. ولا تمازح الشريف فيحنق عليك ، ولا الدنيء فيتجرّأ عليك. ولو كان الكذب ينجّي فالصدق أنجى. وما كل من قال قولاً وفى. والصدق دليل التقوى والخوف من الله. والقدوة الحسنة خير من النصيحة. وصدق من قال: (إذا المرء لم يدنّس من اللؤم عرضه ، فكلّ رداء يرتديه جميل). ومثل سيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة ، لا تُرْقَ ولا تُعاد طيناً. ومَن فاته الأدب لم ينفعه الحسَبُ. ومن فسدت بطانته كان كمن غصّ بالماء. ومن ملك غضبه احترس من عدوه. والمعرفة التي لا تنميها كل يوم ، تتضاءل يوماً بعد يوم. والعلم في الصغر كالنقش على الحجر. والعلم أكبر وأعظم من أن يحاط به ، فخذوا من كلّ شيء أحسنه. وقيمة المرء ما يعرفه. وعلمني كيف أصطاد ، ولا تعطني سمكة كلّ يوم. ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم. ورأس مالك علمك ، وعدوّك جهلك أيها الإنسان. ولا يُنال العِلم براحة الجسم. والجاهل يؤكّد ، والعالم يشكّ ، والعاقل يتروّى. ويتعب المر من كلّ شيء إلا العلم. والعلم يرفع بيتاً لا عماد له ، والجهل يهدم بيت العز والشرف. ومن يخش السؤال يخجل من التعلّم. وما نتعلمه في المهد يبقى حتى اللحد. وكلما كبرت السنبلة انحنت ، وكلما ازداد علم العالم تواضعَ للناس. والعلم هو الترياق المضاد للتسمم

بالجهل والخرافات. والعلم لا يصنعُ الحقيقة ، إنه يكتشفها فقط. ونحن نقرأ لنبتعد عن نقطة الجهل ، لا لنصل الى نقطة العلم. وويل لطالب العلم إن رضي عن نفسه. وصدق الشاعر إذ قال: (ومن طلب العلا من غير كدّ ، أضاع العمر في طلب المحال). والعلم ما نفع ، ليس العلم ما حُفظ. وصدق أبو العلاء إذ قال: (ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ، تجاهلت حتى ظُن أني جاهل). وعموماً لا تطلب العلم رياء ، ولا تتركه حياء. وبالسؤال يتعلم الإنسان. فسلح عقلك بالعلم، خير من أن تزين جسدك بالجواهر. قطرة فوق قطرة بحر ، وحكمة فوق حكمة علم. ومن لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل. وفي الناس شرّ لو بدا ما تعاشروا ، ولكن كساه الله ثوب غطاء. وصدق من قال: (وكم علمته نظم القوافي ، فلما قال قافية هجاني). ومن لا يتق الشَّتْمَ يُشْتَم. ومن لا يُكرم نفسه لا يُكَرَّم. وهناك من الناس من يأكلون تمري وأُرمى بالنوى. والأخلاق مثل الشجرة التي تنمو كلّ يوم عندما يقوم صاحبها بريّها بالوفاء ، والإخلاص ، والمحبة. وأخلاقيّات كلّ إنسان هي رصيده لدى الناس ، وكلما أحسنت عملك وخلقك كنت أغنى الناس ، والاحترام هو الذي يزيدك بين الناس. وإن العفو يصلح الإنسان الكريم ويفسد اللئيم. والأخلاق والسعادة وجهان لعملة واحدة. فلا بدّ من أن تحترم الآخرين لكي يحترموك. وما قرن شيء إلى شيء أفضل من إخلاص إلى تقوى ، ومن حلم إلى علم ، ومن صدق إلى عمل. ومن لم يركب الأهوال لم ينل الآمال. ومَن ملك غضبه احترس من عدوه. ونفاق المرء من ذلّه. وبعض خلائق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء. ونصف العلم أخطر من الجهل. وأول العلم الصمت ، والثاني حسن الاستماع ، والثالث حفظه ، والرابع العمل به ، والخامس نشره. وكلّ إناء يضيق بما جعل فيه ، إلا وعاء العلم فإنّه يتسع. ولا يزال المرء عالماً خلوقاً ما دام في طلب العلم ، فإذا ظنّ أنّه قد علم وتخلق فقد بدأ جهله. ومن اتخذ من الحكمة لجاماً ، اتخذه الناس إماماً. والعباقرة شهُبٌ كتب عليها أن تحترق ؛ لإنارة عصورها. والعلم كنز وذخر لا فناء له ، ونعمَ القرين إذا ما صاحب الصحبا. والعلم مغرس كل فخر فافتخر ، فاحذر أن يفوتك فخر ذاك المغرس. ولقد صدق من قال: (رأيت العلم صاحبه كريمٌ ، ولو ولدته آباء لئامُ). وصدق من قال: (ولولا العلم ما سعدت رجالٌ ، ولا عُرف الحلال ولا الحرام). ومن لا يمكننا أن نمتلك منه سوى القليل. ولقد حثنا الدين الإسلامي كتاباً سُنة على واجب العلم والأخلاق ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أن تصل مَن قطعك ، وأن تعفو عمّن ظلمك ، وأن تعطي مَن حرمك" حيث إن الأخلاق هي الكنز الحقيقي لكل إنسان ، كما أن العلم والأخلاق من أهم الأمور المرتبطة ببعضها ، حيث إن الأخلاق هي المكمّل الحقيقي للعلم ، وأطهر الناس أعراقًا أحسنهم أخلاقًا ! وهو من حكمة عن العلم والأخلاق. ولا مروءة لكذوب ، ولا ورع لسيء الخلق. وحسن الخلق أحد مراكب النجاة وهو من حكمة عن العلم والاخلاق. وأدنى أخلاق الشريف كتمان سره ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر له. والتكبر على المتكبر تواضع. والحلم سيد الأخلاق. والصدق يحسن بالفتى والكذب يحسب من عيوبه. والعفو إنما يكون عند المقدرة. والعفو يصلح الكريم ويفسد اللئيم. القدوة الحسنة خير من النصيحة. والقناعة كنز لا يفني. والكريم من أكرم الأحرار. والمرء بالأخلاق يسمو ذكره. والكذب داء والصدق دواء. ولذا تُعد الأخلاق من أفضل الصفات التي يمكن أن يتحلى بها أي إنسان ، والأخلاق هي التي تجعل الإنسان يسمو فوق كل شيء. والعلم دون أخلاق كالبحر دون ماء! والأخلاق هي النور الذي يضيء الإنسان. ويُعد العلم هو البحر الواسع الذي ينبع منه الكثير من الصفات الجميلة ، ولكن العلم دون أخلاق لا فائدة له ، ولذا فإنه لا بد أن يحرص كل إنسان على أنه عندما يحرص على التعلم لا بد أن يكون

متسماً بالأخلاق الحميدة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمثل العظيم للعلم والأخلاق الحميدة ، كما أن العلم والأخلاق مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، وقليل من العلم مع عمل أفضل من كثير جهل مع كثير عمل! والمعرفة كنز يتبع صاحبه أينما ذهب. والعلم هو الخير ، والجهل هو الشر ، فإذا كانت الراحة في الجهل بالشيء ، كان التعب في العلم بالشيء ، وكم علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكم جهل لو ارتفع عنا لكان فيه هلاكنا. والإسلام لا يعارض العلم الصحيح ، ولا الفن النافع (أعني الفنون المباحة) ولا الحضارة الخيّرة ، وإنه لدين سهل رحب مرن. والأخلاق هي رمز المحبة ، والتواضع من أهم حكمة عن العلم والأخلاق. ومن هنا فالعلم والأخلاق لا ينفصلان عن بعضهما البعض. ومن هنا يُعد العلم هو المنارة الوحيدة التي يرتكز عليها كل شيء في الحياة ، ولكن هذه المنارة لا ترتفع أو تضيء إلا بالأخلاق حيث إن الأخلاق جزء أساسي في حياة العلماء ، ولذا فإنه لا بد أن يكون العلم والأخلاق ملتصقان في كل إنسان ، والعلم هو شرفٌ لكل إنسان ، حيث إن الإنسان بالعلم يَعرف كل شيء ، ولكن لا بد من الأخلاق لأنها تساعد على الارتقاء بالعلم ، والحقيقة أنه لا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم. وهناك ثلاثة أمور تزيد المرأ إجلالاً: الأدب ، والعلم ، والخلق الحسن. وإذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فقل: بئس الملوك وبئس العلماء ، وإذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فقل: نعم الملوك ونعم العلماء. والعلم كالأرض ، لا يمكننا أن نمتلك منه سوى القليل القليل. وصدق من قال: (اطلبوا العلم لذات العلم لا .. لشهادات وآراب أخرْ)! والعلم والنجاح لا يكتملان إلا بالأخلاق ، حيث إن الأخلاق هي المصدر الرئيسي لحياة سعيدة بها راحة واستقرار ، وهي التي تجعل الشخص محبوباً من الجميع ، كما أن العلم والأخلاق هما من أهم المصادر الأساسية للسعادة في الحياة. ولذا فلا بد على كل شخص أن يلتزم بالإخلاص في العلم والعمل ، والإخلاص نابع من الأخلاق التي يتحلى بها الإنسان ، ولا بد في هذا كله من الصدق ، وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما قال: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه). وصدق من قال: القمح والعمل الصالح لا ينبتان إلا في أرض طيبة. ومن ذاق ظلمة الجهل أدرك أن العلم نور. والعلم في الصغر كالنقش على الحجر. ومن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره. وتغذية الفكر هي شمس ثانية بالنسبة للمتعلمين. ولا ينال العلم براحة الجسم. فاغدُ عالماً أو متعلماً ، ولا تغدُ إمّعة بين ذلك. ومن أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه. وهناك اثنان منهومان أخبر عنهما الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم - لا يشبعان: طالب علم وطالب مال. وكل شيء يزول إلا العمل الصالح. ولا يكفي أن تعمل خيرًا ، بل يجب أن تحسن عمل الخير. ولقد ينتهي عمل المرء يومًا ما ، لكن تعليمه لا ينتهي أبدًا! والعمل هو سر النجاح في الحياة ، ولكن العمل الذي يتحلى بالأخلاق هو أساس كل شيء في الحياة. ومن لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل. إنّ مثل القرآن والعلم كمثل سائق سيارة يمشي بها في السهل الواسع ، يرى القمر أمامه مُطلاً عليه من فوق الجبل فيسرع ليدرك القمر والقمر مكانه. والإسلام لا يعارض العلم الصحيح كما أسلفنا ونكرر ، ولا يزال العبد بخير ما علم الذي يفسد عليه عمله. والحق لا يقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل إنّما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل. وكلما اعتقد الإنسان أنه تعلم شيئاً ، اكتشف أنه جهل أضعافه. وتعليم الناس وتثقيفهم في حدّ ذاته ثروة كبيرة نعتز بها ، فالعلم ثروة ونحن نبني

المستقبل على أساس علمي. في الأسفار علم للشبان واختبار للشيوخ. غير أن العلم لم يكشف لنا بعد فيما إذا كان الجنون ذروة الذكاء أم لا. لكل شيء آفة ، وآفة العلم نسيانه. وطلب العلم شاق ، ولكن لتحصيله لذة ومتعة ، والعلم لا ينال إلّا على جسر من التعب والمشقة ، ومن لم يتحمل ذل العلم ساعة يتجرع كأس الجهل أبدا. وإذا لم نطالب بحقوق الناس في العدل والحرية فلا خير في أي علم نتعلمه. والمعلم ناسك انقطع لخدمة العلم كما انقطع الناسك لخدمة الدين. لا تطلب العلم رياء ، ولا تتركه حياء. ومن عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم. وكلما كبرت السنبلة انحنت ، وكلما ازداد علم العالم تواضع. ولا يمكن لأي مرب أو معلم أو داعية أن يكون ناجحاً أو فاعلاً ما لم يكن محبوباً من طلابه ومدعويه مهما حمل من علم. ولهذا يقول الله عز وجل لسيد البشرية في علاقته بالناس: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك). ولقد يضع العلم حدودا للمعرفة ، لكنه لا يجب أن يضع حدودا للخيال. وإنّ لم تستطع أن تحقق هدفك في علم من العلوم أو منصب طمحت إليه بسبب خور عزيمة أو ظرف عارض أو قضاء مقدر ، فلا تحاول أن تثني غيرك عما عجزت أنت عن تحقيقه ، فهو نسيج مختلف ، ونفسية مختلفة ، وبظرف مختلف. والعلم هو الترياق المضاد للتسمم بالجهل والخرافات. والعلم عبارة عن طريقة للتفكير أكثر من كونه قالباً جامداً للمعرفة. ويضيع العلم بين اثنين الحياء والكبر. والناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب ، لان الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين ، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه. وإذا لم يمنع العلم صاحبه من الانحدار كان جهل ابن البادية علماً خيراً من علمه. ونحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة. والنجاح لا يحتاج إلى كثير من العلم ، ولكنه يحتاج إلى الحكمة. والهدف النهائي للحياة هو الفعل وليس العلم وحده ، بل يجب أن نعمل بما علمناه من الحق ، فالعلم بلا عمل لا يساوي شيئاً. ونحن نتعلم لكي نعمل. والمهم في العلم ليس أن تحصل على حقائق جديدة ، بل أن تكتشف طرق جديدة للتفكير في هذه الحقائق وتزداد في العلم الشرعي لتقوى صلتك بالله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام والإسلام. إن القلب الخرب يجعل من العلم سلاحا للفساد. (وما تفرقوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم). فانظر إلى ضراوة العلم عندما يفقد الإخلاص لله والرفق بالعباد ، كيف يثير التفرقة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل. فالعلم بدون دين أعرج ، والدين بدون علم أعمى. ولو كان العلم من دون التقى شرفاً ، لكان أشرف خلق الله إبليس. الأخلاق أولاً ثم العلم والكفاءة ، هذا هو مفتاح السعادة للأفراد والحكومات والجماهير. والعلم أكبر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء أحسنه. والجامعات في أمريكا وأوربا وإسرائيل لا تبحث عن العلم من أجل العلم ، ولا تبحث عن المعرفة من أجل الارتقاء بمكانة الإنسان الاجتماعية وشبكة علاقاته بالمنشأ والحياة والمصير. وإنما هم هناك يبحثون عن المعرفة والعمل باعتبارهما عنصراً من عناصر القوة اللازمة للنجاح في عملية الصراع الدولي. أما في الأقطار العربية فإن حال العلم والمعرفة كحال الذهب عند نساء هذه الأقطار ، يبقيان مجرد حلية يباهي بهما الأفراد وحملة الشهادات بعضهم بعضاً في الداخل. والعلم وحده لا يكفي ما لم يتوج صاحبه بمكارم الأخلاق. وصدق الشاعر إذ قال: (ليس الجمال بأثواب تزيننا ، إن الجمال جمال العلم والأدب). وإذا أعطي الناس العلم ومنعوا العمل ، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام ، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. والنبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرنا أنه إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له. وإذن فالعلم دون فضيلة سيف

الشيطان. ومن يخش السؤال يخجل من التعلم. وبماذا ينتفع الضرير إذا علم أن الشمع يكلف غالياً. والتلميذ إنسان يتعلم ، والمجاز إنسان ينسى. وما نتعلمه في المهد يبقى حتى اللحد. والعلم ملجأ العالم ، والغابة ملجأ النمر. ولن يستطيع العلم الحديث اختراع مهدئ للأعصاب أفضل من الكلمة اللطيفة التي تقال في اللحظة المناسبة. إن التقوى المنشودة ليست مسبحة درويش ولا عمامة متمشيخ ولا زاوية متعبد ، إنّها علم وعمل ، ودين ودنيا ، وروح ومادة ، وتخطيط وتنظيم ، وتنمية وانتاج ، وعندما يكون العلم بدون أخلاق تكون المحن والإحن والعذابات والكوارث ، ولا شاهد أقوى على ذلك من نتائج الحربين العالمية الأولى والثانية! واليوم ونحن على أعتاب حرب عالمية ثالثة فعلينا أن نتذكر أن العلم بدون خلق يدمر البشرية! فعن خسائر الحرب العالمية الأولى كتبت الأستاذة عبير حجاجلة ما نصه: (لقد نتج عن الحرب العالمية الأولى عددٌ من النتائج ، ومنها ما يلي: هزيمة القوى المركزيّة (دول المحور) ، وتراجع هيبة أربع إمبراطوريات كبيرة ، وهي: ألمانيا وروسيا والمجر وتركيا. وإلحاق أضرار جسيمة ، حيث كانت الحرب مليئة بالمذابح والمجازر والدمار. وتعد الحرب العالميّة الأولى نقطة تحوّل كبيرة في التاريخ الجيوسياسي ، وتحديداً في القرن العشرين. واندلاع الثورة البلشفيّة في روسيا. وزعزعة الاستقرار في المجتمعات الأوروبيّة. والتمهيد للحرب العالمية الثانيّة. ومقتل ما يُقارب من 10.000.000 شخص ، وإصابة 20.000.000 آخرين. وكانت مقدمة لتغيير أساليب الحروب ؛ حيث نقلت نمط الحرب اليدويّ إلى نمطاً أكثر تقدماً ، وذلك من خلال إدراج الأسلحة المُستخدمة لوسائل التكنولوجيا ، وإبعاد الأفراد من القتال القريب. وتوقيع معاهدة فرساي ، وهي المعاهدة التي أنهت الحرب العالمية الأولى ، ولكنَّ عدداً من شروطها كان السبب الممهد لاندلاع الحرب العالمية الثانيّة.).هـ. وعن النتائج الكارثية للحرب العالمية الثانية كتبت الأستاذة ريهام أبو عياش ما نصه: (لقد نتج عن الحرب العالمية الثانية عدة نتائج كارثية ، فبعد اشتعال فتيل الحرب بين كفتيْ الصراع وهما: دول المحور وهي بقيادة ألمانيا واليابان وإيطاليا التي انشقت عنها بعد ذلك ، ودول الحلفاء بقيادة كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، استمرت الحرب لمدة 15عاماً ، استنزفت خلالها الكثير من البشر والدول والأموال والأسلحة ، وما ألحقته من أضرار فادحة في كل ما هو موجود على سطح الأرض. ومن ناحية أخرى ورغم عدم تكافؤ الفرص لكلٍ من الطرفين في بداية الأمر ، إلا أن ألمانيا ظلت في طليعة المواجهة تقبض زمام الأمور بقبضة من حديد ، فما سلمت منها دولة إلا لها من حزمها نصيب غير أن هذا لم يدم إلا لنهاية 1942 حيث بدأ التحول في سير الحرب لصالح الحلفاء الذين قاموا بإرسال قواتهم إلى شمال أفريقيا وما نجم عنه من معركة سميت "بمعركة العلمين" بين بريطانيا ودول المحور ، وكانت النتيجة هزيمة المحور واستسلام إيطاليا ، وما رافقه من شن للغارات الجوية المكثفة على ألمانيا ، الأمر الذي سبّب ذلك أضراراً كبيرة بها وتدمير أغلب مراكزها الحيوية ، وما تعرضت له بالمقابل اليابان من قذفها بالقنبلة الذرية على هيوشيما وناجازاكي ، فهزمت اليابان وألمانيا في نهاية عام 1945 فهزمت كل من ألمانيا واليابان وانتصرت الحلفاء ، أما نتائج الحرب العالمية الثانية فهي كما يلي: نتائجها على العالم: خرجت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي كأكبر قوتين في العالم ، فأصبح العالم ثنائي الأقطاب ، الذي ما برح حتى عاد ليصبح أحادي القطب بعد تفكك وانهيار الاتحاد السوفييتي في أوائل الثمانينيات من القرن المنصرم. وما أسهمه الخلاف الحادّ الذي نشب بين كل من أمريكا والاتحاد السوفييتي إلى ظهور نظام الكتلتين: الكتلة الغربية الرأسمالية بزعامة

الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تضمنت دول أوروبا الغربية وما قامت به من تشكيل لحلف شمال الأطلسي في عام 1949م ، أما الكتلة الأخرى فهي الكتلة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي ، والتي انضم لها بعد ذلك دول شرق أوروبا ، وتشكيل حلف وارسو في عام 1955م. وإنشاء هيئة الأمم في عام 1945م. وما نتج عنها من اكتشاف أسلحة جديدة متطورة كالنووية والذرية ، والتي أخذت كل دولة من الدول الغربية على التنافس في امتلاكها والحصول عليها. وما سبب ذلك من قضاء على الحكمين الفاشي والنازي في كل من إيطاليا وألمانيا. ونشطت الحركات التحررية في العالم الثالث التي طالبت بالاستقلال والتحرر. ولقد كانت البلاد العربية مسرحاً مهماً للمعارك الدامية بين دول المحور والحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ، وما تسبب ذلك بما يلي: احتلال للكثير منها وفرض للأحكام العرفية الجائرة والرقابة المشددة على الصحف والمجلات والإعلام ، كذلك وما قامت به من نفي للعديد من الزعماء الوطنين خارج بلدانهم ، وأدّى ذلك كله إلى نشوء ونشاط حركات التحرر التي عمدت إلى أسلوب الكفاح المسلح والثورات في سبيل تحرير أوطانها من نير الاحتلال ، والتي انتهى أغلبها بتحرر بلدانها. بقيت فلسطين وحدها في أوج الصراع العقيم بقرار هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب وتوصية من بريطانيا بإصدار وعد بلفور الذي تم توقيعه في 1947/11/2 ، والقاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين).هـ. فكما تعلمون أصدقائي سبب هذا التدهور والانحطاط إلى من أسماهم بالقوى الخفيّة التي تدير القادة والشعوب مثل الأحجار على رقعة الشطرنج! القوى الخفيّة التي ذكرها صاحب كتاب: (أحجار على رقعة الشطرنج) ففي الكتاب كان يقصد بهم اليهود من الحاخامات واللوبيات الذين أسماهم بـ "النورانيّون" الذين أطلقوا ما يسمّى النظام العالمي الجديد! فهذا غاي كار كمسيحي متديّن وأحد المبشرّين يرى أنَّ الصراع في المعمورة هو صراع أبدي بين الخير والشرّ. بين الإيمان والإلحاد ، ويرى أنَّ الإلحاد الذي يروّج له النورانيّون بين الشباب وفساد الأخلاق كفيل بتفكيك وإضعاف هذه الأمم حتى ينفّذ النورانيّون مخططاتهم الشريرة! يبدأ وليام في كتابه بمراجعة تاريخيّة لأصل ومنشأ اليهود. وأصول الأعراق وتقسيمها في أوروبا! ثم يسترسل حول دور اليهود الخطير في الثورات العالمية منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى زمن إنهاء كتابه في منتصف خمسينيّات القرن الماضي. بداية من الثورة الإنجليزيّة مروراً بالفرنسية والروسيّة وأخيراً الحروب العالميّة الأولى والثانية. يذكر المؤلف في كتابه عن خبث اليهود ومخططاتهم الطويلة الأمد في نشر الشر والإلحاد وفساد الأخلاق بكل أسلحتهم الممكنة من مناصب عالية يحتلها بعض العملاء أو بالتزوير والرشوة والابتزاز لأصحاب المناصب والوزارات! بل تعدّى الأمر لافتعال الأزمات الاقتصادية مثلما حدثت في أمريكا وبريطانيا. فأرهقوا الدول بالديون وتسببوا في الفقر والجوع للشعوب المظلومة! ويرى وليام أن الشيوعية هي العدو الأول للإنسانيّة. وأن اليهود استغلوا الشيوعيّة لتنفيذ مآربهم لإفساد العالم. بل يرى أن تشرشل وروزفلت وستالين هم أحجار أخرى على رقعة الشطرنج. وذكر أن هتلر كان أكثر القادة وعياً عن خطر اليهود في العالم. فلم يبارك هذه المذابح التي أقامها هتلر على اليهود! ومن هنا كان الصدق في طلب العلم والالتزام بالأخلاق منشداً من مناشد الشريعة! قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ الصدق يهدى إلى البر وإنّ البر يهدى إلى الجنّة وإنّ الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» أخرجه أبو داود وصححه الألباني. ولا بد للعلم والأخلاق من المراقبة! قال صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق النّاس بخلق حسن». حسن رواه الترمذي.

ولا بد للعلم والأخلاق من اليقين! قال صلى الله عليه وسلم في سيد الاستغفار أن نقول: «اللّهم أنت ربي لا إله إلاّ أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت ، قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنّة ومن قالها من الليل وهو موقنا بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنّة» رواه البخاري ، وقال صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أنّ الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه». رواه الترمذي ، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ من خياركم أحاسنكم أخلاقا». رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإنّ الله ليبغض الفاحش البذيء». رواه الترمذي وصححه الألباني. ولا بد للعلم والأخلاق من التقوى! قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنّة ربّكم». رواه الترمذي حديث حسن صحيح. ولا بد للعلم والأخلاق من التوبة! قال صلى الله عليه وسلم: «يا أيّها النّاس توبوا إلى الله فإنّي أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة». رواه مسلم. ولا بد للعلم والأخلاق من الصبر! قال صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل النّاس يغدو فبائعٌ نفسه ، فمعتقها أو موبقها». رواه مسلم ، ولا بد للعلم والأخلاق من الحلم! قال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». رواه مسلم ، ولا بد للعلم والأخلاق من التوكل! قال صلى الله عليه وسلم: «لو أنّكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا». حسن رواه الترمذي ، ولا بد للعلم والأخلاق من الاستقامة! عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: «آمنت بالله ثم استقم». رواه مسلم. ولا بد للعلم والأخلاق من المبادرة والمسارعة في الخيرات! قال صلى الله عليه وسلم: «بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلاّ فقرا منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر». رواه الترمذي وحسنه. ولا بد للعلم والأخلاق من المجاهدة! قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}. وقال صلى الله عليه وسلم: «حجبت النّار بالشبهات وحجبت الجنّة بالمكاره». متفق عليه. وعلى هذا تكون المعادلة قد اكتملت ، ويكون العنوان قد فهم من أن العلم يجب أن يكون مع الخلق! وكذلك الخلق لا بد من أن يصحبه العلم! فلا خير في علم بدون أخلاق ، كما أنه لا خير في أخلاق بدون علم! وكان ذلك النص ترجمة لما دار بيننا مع الأستاذ المحترم سيبويه اللغة العربية في مدرسة منار الإيمان بعجمان – محمد الكيلاني – ليكون دليلاً نابضاً يكون عمره أطول من عمري كاتبه والمكتوب فيه!)

45 - الخمر داء ، وليست بدواء

(لست أدري لماذا يصر كثير من الناس اليوم بكل عناد ولجاج على اعتبار الخمر دواء لبعض الأمراض. والله عز وجل ما جعل الله شفاء أمة الإسلام في شيء حرمه عليها. روى البيهقي بإسناد صحيح عن عثمان بن عفان أنه قال كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس ، فأحبته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة. فجاء البيت ودخل معها فكانت كلما دخل بابا أغلقته دونه ، حتى وصل إلى امرأة وضيئة أي حسناء جميلة جالسة عندها غلام وإناء خمر فقالت له: إنها ما دعته لشهادة ، وإنما دعته ليقع عليها أو يقتل الغلام أو يشرب الخمر. فلما رأى أنه لا بد له من أحد هذه الأمور ، تهاون بالخمر فشربه ، فسكر ثم زنى بالمرأة وقتل الغلام. قال أمير المؤمنين عثمان فاجتنبوا الخمر ، فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه. الخمر داء خطير من صنوف الخبائث بل أم الخبائث وكذلك سائر المسكرات والمخدرات ، والتي ما انتشرت في مجتمع من المجتمعات فسكت أهله عن إنكارها على مر التاريخ ، إلا وكتب لذلك المجتمع الانهيار والنهاية ، والخمر والمخدرات من الوسائل التي تذهب العقل ، ولقد توعد الشارع من استخدم هذه المسكرات التي هي سبب في ذهاب العقول ، توعده بالوعيد الشديد والعذاب الأليم في الآخرة ، فقد حذر الرسول من شرب الخمر وما شابهها مما يؤثر على العقل ، فقال فيما روى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: (نهى رسول الله عن كل مسْكر ومفتّر) وقال: (من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة. قالوا: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: عرق وقيح أهل النار). كما أخبر (أن مدمن الخمر من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم). وفي حديث أنس بن مالك (أن رسول الله لعن في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له). وقد أنزل الله تعالى في كتابه قوله: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون. تذكر لنا كتب التفسير أن هذه الآية حين نزلت على النبي فسمعها الصحابة قالوا مباشرة: انتهينا ، حتى أن بعضهم كان قد رفع كأسه ليشربها فأراقها ، وأراقها الصحابة حتى سالت بها طرق المدينة. ويقول: (مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن). وقال: (من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً). ولهذه النصوص مجتمعه وغيرها مما لا يتسع لنا ذكره يتبين لنا شدة حرمة الخمر والمخدرات ، وما كان هذا الوعيد وذلك التهديد إلا لمكانة هذا العقل الذي أكرم لله به الإنسان وهو بذلك يساوي بعقله عقول الحيوانات والمجانين ومن فقدوا العقل والرأي ، ولو فكر ذلك المسكين الذي كان سبباً في إذهاب عقله بنفسه لأدرك عظيم الخطر الذي هو واقع فيه ، فكم من المصائب التي سوف تلحق به وبأسرته ، ولا شك أننا في حديثنا عن الخمر لا يمكن أن نغفل الحديث عن آفة العصر التي تقضي على الأمة ألا وهي المخدرات التي تنتشر الآن بصورة رهيبة في العالم وتوغلت في بنية المجتمعات شرقاً وغرباً وقد بات نواقيس الخطر تدق بقوة هنا وهناك. لأن ضحايا إدمان المخدرات أصبحوا في تزايد مستمر. وأصبحت أمم العالم تواجه خطراً عظيماً لا يعدله أي خطر بهذا الداء العظيم الذي يفتك بالبشرية. ونحن لا نستغرب وجود مثل هذا الداء العظيم على مجتمعات كفرت بالله ودانت بالإباحية ووفرتها. ولكن الغريب أن نراه

منتشراً بين الشعوب التي تزعم لأنفسها أنها مسلمة ، فما أسباب ذلك؟ وأرى أن كثيرا من الباحثين فضلاً عن عوام الناس يجهل تعريف الكبيرة: إنها كل وعيد ختمه الله تعالي بعذاب أو نار أو بلعنة أو غضب. قال تعالي: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا.) وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قلنا: من هم يا رسول الله فقد خابوا وخسروا؟ فقال: المنان والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف. وعن أبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات. والمعتزلة يقولون إنه لا صغائر وإن كل ذنب كبير إذا قيس بجانب الذي عصيته. وهذا الكلام مخالف للشرع والعقل. أما مخالفة الشرع : فقد قال الله تعالي: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى). وأما مخالفة العقل: فهل من لطم رجلا كالذي قتله ؟! وأما اللمم (أي الصغائر) وهو كل ما يلم بالإنسان مما لا يستطيع دفعه فيقع فيه إما بجهل أو بهوي. ويقول النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ: كل ابن آدم خطاء. أي أن الإنسان لا بد وأن يقع في الخطأ. فاجتنب الكبائر فإذا وقعت في الصغائر بجهل أو بهوي غفر الله لك لأن الله عز وجل قال: (إن الله واسع المغفرة) أي أنه لم يسو اللمم بالكبائر!)

46 ـ الخنساء الشاعرة

(كلنا يعرف الخنساء الصحابية الجليلة والشاعرة النحريرة الفذة ، تلك التي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يستنشدها من شعرها ويقول: هيه يا خناس! الخنساء تلك الأم المجاهدة ، التي ابتليت بفقد أربعة أولاد شهداء ، فصبرتْ على فقدهم واحتسبتهم عند الله ، بصناعة الإيمان لها. وإلا فإنها في جاهليتها كانت قد بكت أخاها صخراً بشعر من الرثاء بدرجة لا توصف. حتى أننا لو طالعنا ديوان الخنساء اليوم بقلوبنا ما كففنا عن البكاء! إن الإيمان يصنع المسلم والمسلمة صناعة جديدة! ما الخنساء وما شعرها قبل إسلامها؟ ولكنها بعد إسلامها إنسانة مختلفة ، حيث صقلها الإيمان صقلاً ، وصاغتها العقيدة صياغة ، وصنعها التوحيد صناعة! نقول ذلك لندرك مدى النقلة البعيدة التي انتقلتها تلك الصحابية! ولذا كتبتُ أحييها.)

47 ـ الخوف

(لا شيء يُقلق مثل الخوف الشديد من المجهول أو إرعاد الظالمين ووعيدهم. والإيمان بالله – عز وجل – حقاً يُحرر من هذه العقدة ويجعل صاحبه لا يخاف إلا الله. ثم يُوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. ويوقن أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. والحقيقة أنني لكثرة ما ألمّ بي من البلاء من بني البشر على اختلاف مِللهم وأجناسهم وجنسياتهم في غربتي التي طالت عليّ ، أخذت ألومُ نفسي وأسألها: هل هذا من الابتلاء الذي

يُصبر عليه لرفع الدرجات ومحو السيئات وزيادة الحسنات؟ أم أنه العقوبة على كثرة ما اقترفتِ النفس من الذنوب وما وقعت فيه من أعراض الآخرين؟! وفي نهاية اللوم والعتاب توصلتُ إلى أنهما معا ترجمة لهذا وذاك! وجعلتُ هذه القصيدة على شكل أرجوزة لتصور كل أطياف تركيبة الخوف التي تنتابني!)

48 - الداعية الصغير

(الدعوة إلى الله ليست حِكْراً على أحدٍ بل هي مسؤولية الجميع. أما هذا الداعية الصغير فقد أورد قصته الخولي في قصصه الواقعية ص 688 حيث نفع الله به أحد مدربي السباحة (أرسيناس) الذي تأثر بسلوكيات ذلك الفتى وصَلاته وصِدقه ومعرفته كيف يدعو بحمل الكُتيبات لأنه ليس داعية يستطيع أن يُنظِر ويجادل ويُقنع. فأسلم الكابتن الذي أسماه (الداعية الصغير). (أرسيناس) وتعلم في بيئته النصرانية في العاصمة مانيلا ، وقدِم إلى المملكة العربية السعودية للعمل كمدرب سباحة ، وكان أول اتصال له بالمسلمين ، بدأ يتعرف عليهم ، ويقف على أحوالهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وكان من بين الذين يُدرّبُهم على السباحة طفل لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره. يقول عن نفسه: (كنتُ أرى في تصرفات هذا المسلم الصغير التزاماً شديداً ، فهو هادئ الطبع ، منظم في حياته ، لم يَعِدني مرّة بشيء ويخلف هذا الوعد ، وكان يحرص على أداء الصلوات في أوقاتها ، وكنتُ أراه يُكْثر من قراءة القرآن في أوقات الراحة ، لقد كان هذا المسلم الصغير يتمتع بذكاء وقاد وقوة ملاحظةٍ عجيبة ، فبمجرد أن لاحظ أنني أراقب تصرفاته وأرتاح لصحبته أحضر لي عدداً من الكُتيبات المترجمة إلى اللغة الإنجليزية والتي تتحدث عن الأديان والمقارنة بينها ، كما أهدى لي نسخة من المصحف المترجم ، وقال لي المسلم الصغير: عندما تقرأ هذه الكتب ستعرف السر وراء تصرفاتي المنضبطة. وكانت هذه أول مرة أقرأ فيها عن الإسلام ، ومع كثرة قرآتي بدأت أقف على حقائق كانت غائبة عن كثيرين أمثالي ، لقد تأثرتُ كثيراً بما قرأته عن وجود إلهٍ واحدٍ خالق يتفق مع ما أفكر فيه وأقتنع به. لقد انجذبت إلى الإسلام وأسلمت ، وسمّيت نفسي (عبد الكريم) وكان السبب في ذلك سلوك هذا المسلم الصغير الذي يرجع الفضل له بعد الله عز وجل - في تعريفي بالإسلام! لقد نجا عبد الكريم من إبليس وحزبه من الضالين الغاوين! وقد وصَف الله أتباع إبليس بأنهم من الغاوين ، فقال: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ). ووصَف الله الذي أوتيَ الآيات فردّها على الله بأنه من الغاوين ، فقال: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). وفَرْقٌ كبير جداً بين الغواية والضلالة. ولذا لما قال فرعون لموسى: (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ). والكفر هنا هو كفر النعمة والإحسان! فردّ عليه موسى بقوله: (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ). والضلال هنا هو ضد العلم والمعرفة! أي قبل النبوة وقبل مجيء الرسالة. فنظمتُ هذه القصيدة أحكيها على لسان المسلم الجديد (عبد الكريم) وقد أحس بمَدى النقلة البعيدة التي نقله إياها ذلك الداعية الصغير!)

49 - تحية للدكتور علي محمد الصلابي

(الدكتور / على بن محمد الصلابي ، عَلَمٌ مُوحِّد معروف. (لا نزكّيه على الله) ، نبغ في التاريخ الإسلامي. فما إن طالعتُ بعض كتاباته في التاريخ ، حتى أدركت مكانة الرجل العلمية فرُحتُ أسطر له هذه التحية الشعرية عِرفاناً بجميله. وإنني لأنصح من قلبي كل من يريد أن يصل إلى الحق في مسائل التاريخ أن يطالع معي كتابات الدكتور الصلابي. ذلك أنها لا تقوم على مجرد سرد الوقائع التاريخية فحسب ، بل تحللها تحليلاً دقيقاً لتعم الفائدة. وإن كنت أنسى فلا أنسى إنصاف الدكتور الصلابي للمظلومين عبر التاريخ مثل سلاطين آل عثمان وعلى رأسهم السلطان سليمان القانوني ومحمد الفاتح – رحم الله الجميع - ، وهارون الرشيد وغيرهم الكثير. إن الصلابي بحق أعجوبة زمانه ، إذ يعيد لنا أمجاد الذهبي والجبرتي وابن خلكان والطبري – رحم الله الجميع. ومن هنا كان تحية الصلابي - شعراً ونثراً - واجباً على كل شاعر مسلم مؤمن موحد!)

50 – بين الدماء والنيران

(في شريط (عائلة وحريق) أتت قصة امرأة أنقذت بفضل الله زوجها وأبناءها ، وكانت صادقة في عطائها! ذلك أنها لما استعرتِ النار دخلت في وسطها لتنتشل ما يعينها الله عليه من الضحايا! وغامرتْ بنفسها وجازفت وأعانها الله ونجّاها من المخاطر والمهالك! واستطاعت بفضل الله وحده أن تنقذ زوجها وأبناءها الذين خافوا الخروج من النار! وكانت إصاباتهم بعد الإنقاذ خفيفة إلى حد بعيد! فسبحان من إذا كتب نجاة عبد من مهلكة هيأ أسباب النجاة! وإذا أراد إهلاك عبدٍ هيأ أسباب الهلاك! وكلٌ لحكمةٍ لا يعلمها إلا الذي كتبها وقدَّرها سبحانه وتعالى!)

51 - الدميـــة

(أرمز لهذي القصيدة بهذا العنوان المحير لولا أنه مضحك إذ الدمية إنما تمتحن ، وأعتى من امتحانها ذل الإنسان. إنه أحيانًا يكون للدُّمى من الاحترام والتقدير والتبجيل ما ليس للآدميين عند بعض البشر الذين لا يعرفون حقيقة أمر الدمية ولا حقيقة أمر الإنسان. إنني أكتب (الدمية) أشير بالرمز هنا إلى إنسان جعلته العمالات والخيانات والأحقاد دُمية بين الخلائق. وعسير جدًّا على إنسان كريم كان ذا شأن في الناس وَهَيبة ومكانة وشخصية ، يَعمل لها ألفُ حساب كل من هبَّ ودبَّ من ذوي البأس والنفوذ والكلمة والبطش ، فضلاً عن العامة والدهماء ، عسير عليه جدًّا أن يُمسخ مسخًا ويُهان إهانة وتُبعثر كرامتُه في دروب الفاسقين والساقطين ، إنها المأساةُ والملهاة معًا. (إن ربك لبالمرصاد). أقول:(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون). وأزيد: (استكباراً في الأرض ومكر السيء ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله). وعزائي أن الله يسمع ويرى ، وأنه عزَّ وجلَّ يثأر وينتقم لأوليائه كما يثأر الليث الحرب. وعسى الله أن تنتهي مرحلة الدمية وتعود كرامة المسلم. يحِسُّ كل إنسانٍ شَريفٍ بالهوان عندما ينزلُ نفسَهُ في غير منزلها ، ويرى الآخرينَ مِنْ حوله وقد حازوا ما كان يترقبه لنفسه! وجَنَوا ثمارًا كان هُو مِنْ أولِ غارسيها. فما المخرج من هذه السقطة؟ إنه قول الله: (ولا تتمنوا ما فضل الله

به بعضكم على بعض). فالطريق يمر بالقيم! يقول الأستاذ الفاضل عزام الحملاوي في وصف القيم وأصحابها ما نصه: (بيّن القرآن الكريم أهمية الأخلاق باعتبارها قاعدة أساسية يؤخذ منها وتُبنى عليها جميع الأحكام والقوانين ، فهي قاعدة البناء الراسخة التي تقوم عليها مبادئ الشريعة الإسلامية. فالأخلاق درع واقٍ من العواصف التي تتسبب فى انهيار المجتمع ، أو تحويله إلى مجتمع تحكمه الغرائز والشهوات ، وتسود فيه قوانين الغابة ، وهي أيضاً أساس صلاح المجتمع ، ووسيلة رادعة لمحاربة الفساد والانحراف ، لذلك أصبح من الضروري إعلاء منظومة القيم في مجتمعنا ، وتعاملاتنا السياسية والاقتصادية والإنسانية. لهذا أصبح هناك ضرورة لمراجعة قيمنا الدينية والوطنية والإنسانية لنتعرف على ما بقي منها ، وعلى ما تعرض للاختلال والعبث من أجل أن نعيد المكانة لمكارم الأخلاق ، ولتقوية أواصر المحبة والوفاء ، ونبذ الكراهية والحقد والبغضاء ، ولعل هذه المهمة أجدها سبباً من أسباب الأزمة السياسية التي تحتاج من أبناء الشعب الواحد الوقوف أمامها ، وإزالة آثارها السلبية العميقة التي أحدثت شرخاً اجتماعياً شديد الخطورة في المجتمع ، وعلى مستقبل الأجيال القادمة ، وليس عيباً أن نناقش هذه الأمور ، بل إن مناقشتها أصبح ضرورة من أجل تأمين مستقبل الأجيال القادمة).هـ. يقول أفلاطون: (معنى العقل وعمله تمييز الأشياء وتفصيلها. ومعنى الصدق وعمله ثبات الأشياء في مواضعها. ومعنى الجهل وعمله تلبيس الأشياء وتخليطها. ومعنى الكذب وعمله وضع الأشياء في غير مواضعها). وتقول أنديرا غاندي: (سلطة المال تشبه سلطة الحكم لا تعرف أبداً الأمان العاطفي. يحتاج صاحبها إلى أن يفلس ليختبر قلوب من حوله ، أن تنقلب عليه الأيام ليستقيم حكمه على الناس). ويقول معروف الرصافي: (أصبحت لا أقِيم للتاريخ وزناً ولا أحسب له حساباً لأني رأيته بيت الكذب ومناخ الضلال ومستقر أهواء الناس. إذا نظرت فيه كنت كأني منه في كثبان من رمال الأباطيل قد تغلغلت في ذرات ضئيلة من شذور الحقيقة). وربما يكون الرصافي على شيء من الحق لأن الذين يكتبون التاريخ في زمن ما يكتبونه على هوى من يعطيهم إلى أن يزول!)

52 - جمال الدنيا سراب

(إن الكتاب الذي يحوي العلم النافع يعد أوفى صديق في زماننا ، وأذكر والله يشهد أنني أقرأ منذ من عشرين سنة هي ثلثا عمرى تقريبا ، وأوقفتني القراءة على أخبار عجيبة فعلاً ، كان من بينها ما ذكره صاحب كتاب (من أخلاق العلماء جـ 9): هذا الموقف بين كل من الإمام النووي العالم الشاب الذي لم يتجاوز الأربعين على رواية ، والظاهر بيبرس ، يقول المؤلف: (لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال الرعية يستنصر به على قتالهم ، فكتب إليه فقهاء الشام بذلك ، فأجازوه. فقال: هل بقى من أحد؟ فقيل له: نعم بقى الإمام محى الدين النووي. فطلبه فحضر فقال له: اكتب خطك مع الفقهاء حتى يكون الكل على هذه الفتوى. فامتنع النووي. فقال: ما سبب امتناعك ايها النووي؟ فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار وليس لك مال ، ثم مَنَّ الله عليك وجعلك ملكاً ، وسمعت أن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائتي جارية لكل جارية منهن حق من الحلي ، فإذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليك بالبنود والصرف بدلاً من الحوائص ، وبقيت الجواري هذه بثيابهن دون الحلي أفتيك بأخذ المال من الرعية ، فغضب الظاهر بيبرس

من كلامه. وقال بيبرس: أخرج من بلدي (عانياً دمشق) ، فقال النووي: السمع والطاعة وخرج بالفعل إلى نوى. فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به في العلم والقول والعمل فأعده إلى دمشق. فأصدر بيبرس مرسوما برجوعه ، فامتنع النووي وقال: لا أدخلها والظاهر فيها ، فمات بعد شهر. والمهم تذكرت في موقف النووي معايير كثيرة قد غابت عمن أخذوا مكان النووي اليوم ، تذكرت أمانة العلم والشجاعة في الحق والأدب في عرضه والعزة والتعفف عند الأذى في سبيل ذلك الحق ، ذلك أن الرزق والأجل بيد الله عز وجل وحده. وليس يشعر بما أقول إلا من عاش مثل هذا الموقف الذي عاشه النووي ذلك العملاق العظيم الذي لا أزكيه على الله – عليه من الله ربي الرحمة - ولعلي أقول هذا عن مجموعة تجارب مررت بها وعشتها الواحدة بعد الأخرى ، وأسأل الله أن يختم لنا بخير لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه. والحقيقة التي يجب أن يعلمها الجميع - من عمل لله ومن عمل لسواه - أن جمال الدنيا سراب وزخرف سوف يمضي وكأن شيئاً لم يكن ، جمال الدنيا سراب بقيعة يحسبه كل ظمآن ماء حتى إذا أدرك مكان السراب لم يجده شيئاً. وصدق الله إذ يقول: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)! وليت عُبّاد الدنيا من المرتزقة بالحنيفية السمحة يدركون ما أرشدتنا إليه الآيات من معان. إن جمال الدنيا سرابٌ علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله ، وتعامى عنه من تعامى. في كتاب له بعنوان: (حقيقة الدنيا) يقول الأستاذ عبد الكريم علي عبده الفهدي ما نصه: (ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أمثلة لتتبين لنا حقيقة هذه الدنيا ، المثال الأول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما الدنيا إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع"! والمعنى: «أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر». المثال الثاني: عن عبد الله قال: "نام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: ما لي والدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها". المثال الثالث: عن سهل بن سعد قال عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ. فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ. قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ". كنفته: جانبيه ، أسك: صغير الأذنين. والمعنى العام للحديث: أن الدنيا عند الله أحقر وأقل شأناً من التيس الأسك الميت الذي لا قيمة له عند الناس. وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم. فإذا ما تأملنا هذا الكون العظيم فكم يكون حجم الإنسان بالنسبة للأرض؟ وكم يكون حجم الأرض بالنسبة للمجموعة الشمسية؟ وكم يكون حجم المجموعة الشمسية بالنسبة للمجرة؟ وكم يكون حجم المجرة بالنسبة للمجرات الباقية؟ سنقول واثقين مطمئنين لقول الله تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). ولو قلنا فرضاً إن هذه المجرات الهائلة هي السماء الدنيا - السماء الأولى - أو فرضاً السموات السبع فكم تساوي هذه المجرات مع الأشياء التي لم تعرف إلى الآن بالنسبة للكرسي. إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخبرنا عن ذلك بمثال تقريبي

يبين فيه عظمة هذا الكرسي! فقد صح أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة". والكرسي هو الذي بين يدي العرش ، فالكرسي قد وسع السماوات والأرض مع عظم السماوات ومع عظم الأرض ، قال تعالى: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ). وورد في بعض الآثار أن السماوات والأرض في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس ، والترس: هو المجن الذي يلبس على الرأس وما عسى أن تغطي الدراهم السبعة ، فالدرهم قطعة من الفضة صغيرة بقدر الظفر أو نحوه ، فماذا تغطي من ذلك الترس؟ فالسماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي هذا مقدارها منه ، والكرسي صغير أيضاً بالنسبة إلى العرش ، كما ورد أن الكرسي نسبته إلى العرش كحلقه ملقاة بأرض فلاة ، والحلقة: القطعة من الحديد ملتقية الطرفين. فإذا ألقيت حلقة في فلاة فماذا تشغل من تلك الفلاة؟ فالكرسي صغير بالنسبة إلى العرش ، فهو كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، فهذا دليل على عظم هذا الكرسي ثم عظم هذا العرش. فمن هنا نعرف عظمة هذا الكون وهذه الدنيا التي نعيش فيها ومهما تصورنا عظمتها واتساعها فهي لا تساوي جناح بعوضة كما نطق بذلك الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء").هـ. ويعقد الأستاذ محمد المنجد مقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة فيقول: (لقد ابتلانا الله بهذه الحياة الدنيا لينظر كيف نعمل ، وجعل ـ سبحانه وتعالى ـ بعدها داراً أخرى فيها عجب العجاب ، حدثنا بما أعد فيها من النعيم ، لتتحرك الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وكل نعيمٍ في الدنيا ففي الجنة ما هو أكمل منه ولا تشابه بين النعيمين إلا في الاسم أحياناً فقط ، وأما الحقيقة فبينهما أعظم مما بين السماء والأرض من الفرق ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء". رواه ابن عساكر، وصححه الألباني. وكل ما في الدنيا من الأنهار والسرر والفرش والأكواب ، مخالف لما في الجنة مما أعده الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ففي الدنيا بناء وفي الجنة بناء ، لكن شتان ما بين البناءين! بناء الدنيا يقضي الإنسان سحابة من عمره حتى ينجزه ، فإذا أنجزه ظل عرضة للفساد والانهيار ، والترميم والإصلاح ، يرى خللاً في تصميمه ، وخللاً في تنفيذه ، ويعاني من ضيقٍ هنا ، ومن وحشة هناك ، أما بناء الجنة ، فقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (الجنة بناؤها لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر ـ شديد الرائحة ـ ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران). رواه أحمد في مسنده والترمذي وصححه الألباني. قال الله ـعز وجل ـ : {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} ليس فيها خبث ، ولا هذه الروائح من المجاري ولا الأوساخ ، ولا آثار الانسدادات ، بيوت أهل الجنة خيام ليست من القماش ، لكنها من اللآلئ المجوفة ، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون مِيلاً للمؤمن ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضا). رواه مسلم. فهل رأيت يا عبد الله لؤلؤةٍ في الدنيا متراً في مترٍ فضلاً أن ترى هذه الستين مِيلاً؟ وأنهار الدنيا يعتريها ما يعتريها من التلوث بالنجاسات ، والأتربة والملوحة ، بل الجفاف والانحسار ، وأما أنهار الجنة فهي {مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى} ، والكوثر حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب ريحاً من المسك ، وماءه أحلى من العسل ، ولونه أشد بياضاً من الثلج ، {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}. ونساء الدنيا وما أدراك ما نساء الدنيا بالنسبة إلى نساء الجنة ، فنساء الدنيا

فيهن من أنواع الاعوجاجات لا تستقيم لك على حالٍ أبداً ، وكذلك فإن ما فيها من النقص مكدّر بهذا العوج في التفكير وهذا النقص في الجمال الذي يذهب شيئاً فشيئاً ، وكذلك ما يكون فيهن من عيوبٍ ، ففي نساء الدنيا من الحيض والنفاس والبول والعذرة والعرق وسيء الرائحة أحياناً ، وأما في الجنة فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعلهن مطهرات أخلاقهن مطهرة).هـ.)

53 ـ الدنيا لا تزال بخير!

(فقد هذا الرجل هاتفه المتحرك الغالي الثمن في مكان ما ، ثم عثر عليه رجل أمين ، واحتار ذلك الأمين ماذا يفعل؟ هل يعطيه لآخر يوصله؟ هل يوصله إلى زيد أو عمرو ممن هم رؤوس في هذا المكان الذي وجده فيه؟ وأخيراً اختار أن يوصله بنفسه. فأخذه وذهب إلى البيت وحاول الاتصال ، فلم يستطع لوجود كلمة مرور معقدة ، فانتظر حتى يتصل صاحبه. وكان ذلك فاتصل وكانت أولى كلماته: (الدنيا لا تزال بخير) تلك التي جعلتها عنواناً لهذه المقطوعة أو الخاطرة الشعرية! عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة ، يؤتى بصاحب الأمانة ـ وإن قتل في سبيل الله ـ فيقال له: أد أمانتك ، فيقول: أي رب ، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول: اذهبوا به إلى الهاوية ، فيذهب به إليها ، وتمثل له أمانته ، فيجدها كهيئتها يوم دفعت إليه ، فيراها فيعرفها ، فيهوي في أثرها حتى ينتهي إلى قعرها ، فيأخذها فيحملها على عاتقه ، ثم يصعد بها في نار جهنم ، حتى إذا رأى أنه قد خرج بها ، زلت فهوت ، فهو في أثرها أبد الآبدين ، ثم قال: الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشد ذلك الودائع" ، قال زاذان: فلقيت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت: ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله؟ ، فقال: صدق ، أما سمعت الله يقول: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها}. صحيح الجامع. وعن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال: حدثني رجال قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث في خروج النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: "فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله". ص الجامع.)

54 ـ الدواوينُ الشعرية النافقة

(أعني بها الدواوين الشعرية التي نصيبُ الشعر منها التقطيع والأوزان فقط! فليست تحمل قضايا ولا مضامين ، ولا تدافع عن حق سليب ، ولا تنافح عن حقائق مغلوطة ، ولا تدعو إلى خير ولا تأمر بمعروف ، ولا تنهى عن منكر. بل ولدتْ في سوق الشعر لتموت على أعتابه! وكأني بها ولدت نافقة لا روح فيها! إذ لا نصيب للواقع من أي بيت شعري واحد فيها فضلاً عن القصيدة! فهي لا تمثل الواقع المعاش. فهل أصحابها خائفون مرتجفون؟ أم أنهم لا يحبون أن يعيشوا للواقع؟ أم آثروا السلامة في ظل المناخ الباطش الآسن الذي نعيش ويعيشون؟! أم أنهم يعيشون في الأبراج العاجية بعيداً عن واقعنا ؟ ومن هنا خرجت دواوين أشعارهم للحياة نافقة!)

55 - (الديوان) منتجع الشعراء! (تحية لموقع الديوان)

(إن موقع الديوان والذي أطلقت عليه بأنه منتجع الشعراء في القديم والحديث يعتبر مؤسسة غير ربحية مقره الرئيسي الأول: المملكة العربية السعودية – الخبر ، ومقر الرئيسي الثاني: الإمارات العربية المتحدة – دبي ، أراه مطمح كل شاعر جاد صادق صاحب قضية! فلا مكان فيه لشاعر ناحل تخذ أخذ أشعار الآخرين وسيلة لأن يصبح شاعراً مرموقاً ، فإذا بالديوان يغربل وينخل ويكتشف فيخرج الشاعر الناحل صفر اليدين! ويبقى الشاعر الجاد صاحب القضية والمبدأ! وعلى هذا فموقع الديوان مرجعية مستقبلية مهمة للشعر والشعراء ، بدءًا من العصر الجاهلي ، ومرورًا بالعصور التي تلته ، وصولًا إلى الشعر الحديث ، مما سيمنح القراء رؤية واضحة لتطورات الشعر والأسلوب ، والتغيرات التي طرأت على المفردات المستخدمة حتى يومنا هذا. ومن أهم ما يصبو إليه العباقرة المنشئون لموقع الديوان هو تكوين قاعدة مهمة يستخدمها الزوار كمرجعية لكل أنواع الشعر والقصائد قديمة كانت أو حديثة ، من خلال البحث بطرق سهلة وغير معقدة عبر اسم الشاعر أو العصر الذي ينتمي له أو الدولة أو الجنس أو نوع وبحر القصيدة ، كما يضمن توفير بيئة شاملة ومتكاملة ، وربط البيانات لكافة الأقسام بأنواعها لتسهيل عملية البحث. وكم تريحنا كشعراء هذه المميزات في الموقع! ويشرفني هنا أن أورد لمحة تاريخية عن الموقع بقلم أصحابه المحترمين الجهابذة: يقولون ما نصه: (تم إنشاء الديوان في عام 2013م تحديدًا ، لتوفير وقت وجهد الباحثين في الشعر والشعراء. والشعر العربي له دورٌ بارز وهام في حياة الشعوب العربية الفكرية والأدبية ، ولأنه ، وكغيره من جوانب الحياة ، دائم التطور بحسب تطور الشعوب والأمة العربية ، وعلاقاتها بالأمم ، والتي كانت فيما مضى الفرس والروم والبربر وغيرها ، والآن لا تُعد ولا تُحصى ، فقد ولدت فكرة الموسوعة ، التي ارتأينا من خلالها المحافظة على كل ما هو قديم ، وإبراز كل ما هو حديث ، مع فرصة للمستخدم بالتعبير عن ذاته. وسيلحظ المتصفح للموسوعة فنون الشعر المتطورة التي برزت من عدة نواحي مثل المضمون ، والأسلوب ، والمفردات ، وكيف تغيرت القوافي والأوزان ، ومراحل تطور الشعر من الوصف ، إلى الأطلال ، ومن ثم الغزل العذري ، والشعر السياسي ، ليتبعه الصوفي ، والوطني ، والاجتماعي ، إلى الموشحات ، ومن ثم وصولًا إلى الشعر العربي المعاصر والحديث).هـ. ويجدر بنا أن نلقي لمحة خاطفة على أقسام الموسوعة التي أنشأها (الديوان) والتي فعلاً تسهل على الكاتب شاعراً كان أم ناثراً أم ناقداً أم أديباً البحث والوصول السريع للمعلومة أو القصيدة بسرعة بالغة! يقول المنشئون ما نصه: (ينقسم الديوان إلى عدة تصنيفات من اسم الشاعر ، والدولة ، والعصور ، وبحور الشعر ، ونوع القصيدة وقافيتها وجنس الشاعر. وفي الصفحة الرئيسة بعض أهم التصنيفات ، إلى جانب الاقتباسات الشعرية وقائمة الشعراء والمؤلفون. وفي الأسفل صفحاتنا في المواقع الأخرى مثل توتير ، والفيس بوك ، واليوتيوب ، وغيرها. وهدفنا من ذلك كله هو توفير بوابة لأكبر موسوعة شعرية كاملة وشاملة لكل الشعراء والأدباء ، كمرجعية لمحبي الشعر ، بما في ذلك الباحثين والمثقفين ، والقدرة على الوصول لنتائج بحث دون وقت أو جهدٍ يُذكر ، وذلك عبر توثيق باقة من القصائد لثلة من الأدباء من كافة العصور. أولاً: تضمين كافة المعلومات لكل شاعر وقصيدة من كل الجوانب التي يمكن أن يحتاج إليها المستخدمين. ثانياً: يضم الديوان في الوقت الحالي الكثير من الدواوين للشعراء العرب ، ونطمح للوصل إلى كافة القصائد لكل العصور ، ولكبار الشعراء العرب ، إلى جانب نشر كل ما هو جديد يومياً. ثالثاً: توفير منصة

لكل محبي الكتابة والشعر! ومن هنا تبرز رؤيتنا المستقبلية وتتلخص في أن نكون المرجعية الأولى لكل المستخدمين من باحثين ومهتمين بالشعر العربي للناطقين بالعربية ومستقبلاً باللغات الأخرى).هـ. ونسأل الله تعالى أن يبارك في موقع الديوان الإليكتروني وأن يرزق أهله والقائمين عليه من ثمرات الدنيا وثمرات الآخرة! إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه! وكانت مناسبة كتابتي لهذه القصة أنني منحت ديواناً أنشر فيه قصائدي في (الديوان) أسأل الله لكل من أعانني على فتح الديوان أن يبارك فيه ويثيبه عل معاونتي!)

56 - الذبيحة البريئة

(قامت مشادة كلامية بين ذئب بشري وبين زوج ضحية بريئة. وإنه ليُفترض في هذا الذئب أنه مسلم ولو بالتسمي. وكانت النتيجة المأسوية المريعة الوحشية أن قام هذا الذئب المجرم بذبح هذه العروس التي لم يمض على زواجها أسبوع واحد! ذبحها بالسكين كما تذبح الشاة. وتخيلت نفسي زوجاً لها أو أماً أو أختاً أو أباً أو أخاً ، ورحت أسطر هذه القصيدة كشاهدٍ على العصر الذي أعيش. مبيناً كيف وصل الناس أغلبهم إلى هذه الدرجة المتدنية من هوان الدماء والأعراض. ورحت أبكي وأنعي وأرثي هذه العروس المتوضئة المحبوبة من الكل ، وأبين إلى أي مدى كانت الفاجعة بها. ولمّا كان بكاءُ الشعراء ونعيُهم ورثاؤهم يجب أن يكون شعراً ، كانت هذه القصيدة انعكاساً لكل هذا وإفرازاً من إفرازاته. والناظر يَمنة ويَسرة يجد الدماء والأشلاء ، ولا يكاد القاتل يعلم لم قتل! وكذلك المقتول لا يكاد يعلم فيم قتل! وإن القلب أيتها العروس ليخشع ، وإن العين لتدمع ، وإن النفس لتأسى وإن الضمير ليرثي ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وإنا على فراقك يا نور لمحزونون. نور التي كانت ضحية خلاف بين زوجها وخادم من خدمه. لم يكن غريماً له عليها ، ولم يكن ليُناطحه الرأي بشأنها يوماً! وأقدّم عزائي لزوجها وأمها وأفراد عائلتها أجمعين ، وأوصيهم جميعاً بالتصبر والاحتساب. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). رواه مسلم . وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: ما لك تزفزفين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: (لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد). رواه مسلم. تزفزفين: هو الرعدة التي تحصل للمحموم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد). رواه ومسلم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه). رواه البخاري و مسلم. وفي رواية لمسلم: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته). والنصب: التعب. والوصب: المرض قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يصب منه). رواه البخاري. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يُشاكها). رواه البخاري ومسلم. قال النبي صلى الله

عليه وسلم: (لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا نقص الله بها من خطيئته). رواه مسلم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة). رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. وأيضاً له رواية عند الحاكم. وأما (نور) فقد ماتت الموتة التي كتبها الله لها وخطها بيمينه. واستوفت بذلك أجلها المحتوم الذي قدره الله لها ، فلم تتأخر عنه لحظة ولم تتقدم.)

57 - الراحلون ليلاً في زمن الأحزان

(اعتادوا كل ليلةٍ أن يذهبوا إلى الفجور واللهو ، ثم يعودون عند قدوم الفجر ، حتى ابتلاهمُ الله بالإيدز والهربز جزاءً وفاقاً لما كانوا يقترفونه من الحرام! يقول أبو فيصل البدراني: (ومن حِكَم خلق المصائب والآلام الدنيوية استخراجُ عبودية الضراء وهي الصبر ، كما تُستخرجُ عبودية السراء وهي الشكر وطهارة القلب والخلاص من الخصال القبيحة ، كآفاتِ القلوب المعلومة من كِبر وعُجب وفرعنة وقسوة قلب ، والنظر إلى قهر الربوبية وذل العبودية وإيقاظ المبتلى من غفلته ومعرفة قدر العافية وحصول رحمة أهل البلاء من الله والهداية وحصول الأجر لهم. وما فسدت النفوس بمثل ما فسدت بالفجور واللهو والضياع والسفول!) شكر الله لأبي فيصل حكمته وفصل خطابه! إن المعاصي يا قومنا تذهب ويبقى أثرها ورجسها!)

58 - الراشد فقيها!

(الأستاذ الراشد يستحق منا شيئا من التكريم والاحترام. مذ طالعنا له (دفاع عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وكذا الرقائق ، والعوائق ، والمنطلق ، ومنهجية التربية الدعوية ، وآفاق الجمال ، وصراطنا المستقيم ، والفقه اللاهب الذي هو اختصار لكتاب غياثي الأمم في التياث الظلم للإمام الجويني رحمه الله ، وأصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية والذي يقع في أربعة مجلدات من القطع الوسط! وأخيراً موسوعة معالم التطور الدعوي التي تقع هي الأخرى في خمسة مجلدات). إن الأستاذ الراشد بهذه الأشياء إلى جوار محاضراته العلمية قد أعذر إلى الله ، في زمان يبيع فيه أغلب العلماء دينهم بعرض من الدنيا قليل حقير. وكنتُ قد تعلقت بالأستاذ الراشد منذ بدايات اطلاعي وقراءتي الخاصة في مطلع الثمانينيات أعني اطلاعي على كتابات فقه الواقع. والحقيقة أن حياة الراشد تعتبر في عمومها رحلة مع العلم والعلماء وهذه الرحلة أوصلته لأن يصبح واحداً من العلماء المتميزين في فقه الواقع ، وقليل ما هم! وأراه لم يطلب بعلمه الدنيا ، كما أنه لم يكن يطمح إلى النشر قبل الدراسة المتأنية لما كتب. وصدق لقمان عندما أوصى ولده قائلاً: (يا بني ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الموات بوابل السماء!) وصدق الأصمعي عندما قال: (أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل ، والخامس النشر.) ولذلك يخطئ كثير من الكُتاب الذين يبدأون بالمرحلة الأخيرة التي هي النشر عندما يجعلونها مكان الأولى. واليوم أكتب هذه القصيدة على الوافر مُعْرباً عن خالص حبي وتقديري ليس إلا. وضمنتها كتابات الراشد بشيء من الإجلال الذي

يليق به. وعرفتُ بالراشد من يجهله. ولا أزكّي على الله أحداً. قال بعض الحكماء: «الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحبّهم». وقال أبو الأسود الدؤلي: «الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك». وكان يقال: «مثل العلماء مثل الماء ، حيث ما سقطوا نفعوا». وقال سهل التستري: «من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء ، فاعرفوا لهم ذلك». وقال ابن عباس – رضي الله عنهما -: «العلم يزيد الشريف ويُجلس المملوك على الأسِرّة». وقال الشافعي: «إن لم يكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فليس لله ولي». والله حسيبه ووكيله ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين الخير كله. وجعل الله كل ما كتب من الحق في ميزانه يوم يلقاه. ونفع الله الإسلام والمسلمين بهذا العلم الصافي العذب ، والله يقول الحق وهو عز وجل يهدي السبيل.)

59 - نعمة الزواج

(عن الهيثم بن عدي الطائي عن الشعبي قال: لقيني شريح فقال لي: يا شعبي عليك بنساء بني تميم ، فإني رأيت لهن عقولاً ، فقلت: وما رأيت من عقولهن؟ قال: أقبلت من جنازة ظهراً فمررت بدورهن ، وإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري فعدلت إليها واستسقيت ، وما بي عطش .. قالت لي (العجوز): أي الشراب أحبّ إليك؟ قلت: ما تيسر. قالت: ويحك يا جارية ، ائتيه بلبن فإني أظنّ الرجل غريباً. فقلت للعجوز: ومن تكون هذه الجارية منك؟ قالت: هي زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة. قلت: هي فارغة أم مشغولة ، قالت: بل فارغة.. قلت: أتزوجينيها؟ قالت: إن كنت كفاء! فتركتها ومضيت إلى منزل لأقيل فيها ، فامتنعت من القائلة ، فلما صليت الظهر أخذتُ بيد إخواني من العرب الأشراف علقمة ، والأسود ، والمسيب ، ومضيت أريد عمها ، فاستقبلنا وقال: ما شأنك أبا أمية ، قلت: زينب ابنة أخيك. ... فلما صارت في حبالى ندمت وقلت: أي شيء صنعت بنساء بني تميم... وذكرت غلظ قلوبهن ، فقلت: أطلقها.. ثم قلت: ولكن اخل بها فإن رأيت ما أحب.. وإلا كان ذلك... فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت عليّ فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين ، ويسأل الله تعالى من خيرها ، وتعوذ من شرها ، فتوضأت فإذا هي تتوضأ بوضوئي ، وصليت فإذا هي تصلي بصلاتي ، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي وألبستني ملحفة قد صبغت بالزعفران ، فما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي إلى ناصيتها ، فقالت: على رسلك أبا أمية ، ثم قالت: الحمد لله أحمده و أستعينه وأصلي على محمد وآله ، أما بعد فإني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك ، فبين لي ما تحب فآتيه ، وما تكره فأجتنبه ، فإنه قد كان لك منكح في قومك ، ولي في قومي مثل ذلك ، (أي أن لي ولك في قومنا من كان أحق فينا) ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به ، إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين .. قال: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع ، فقلت: الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله ، أما بعد فإنكِ قلت كلاماً إن ثبتِ عليه يكن ذلك حظاً لي ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وأكره كذا.. وما رأيت من حسنة فابثثيها ، وما رأيت من سيئة فاستريها. فقالت: كيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.. قالت: فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ، ومن

تكرهه أكرهه؟ قلت: بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء. قال: فبت معها يا شعبي بأنعم ليلة ومكثت معي حولاً لا أرى منها إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، وإذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى.. قلت: من هذه؟ قالوا: فلانه أم حليلتك. قلت: مرحباً وأهلاً وسهلاً. فلما جلست أقبلت العجوز فقالت: السلام عليك يا أبا أمية.. فقلت: وعليك السلام ومرحباً بك وأهلاً وسهلاً. قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة ، وأوفق قرينة ، لقد أدبت فأحسنت الأدب ، وريضت فأحسنت الرياضة ، فجزاك الله خيراً ، فقالت: يا أبا أمية إن المرأة لا يرى أسوأ حالاً منها في حالتين. قلت: وما هما؟ قالت: إذا ولدت غلاماً ، أو حظيت عند زوجها ، فإن رابك مريب فعليك بالسوط ، فو الله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة! فقلت: والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، وريضت فأحسنت الرياضة. قالت: كيف تحب أن يزورك أصهارك؟ قلت: ما شاءوا ، فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية ، فمكثت معي يا شعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيء ، وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك:

رأيت رجالاً يضربون نساؤهم فشـــلت يميني يـــوم تُـضـربُ زينبُ

أأضربُها من غيرِ ذنبٍ أتت به فما العدلُ مني ضرب من ليس يذنِـــبُ

فزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكب إذا طلـــعت لـم يبـد منـهـن كـوكـــــــــبُ

انتهى بتصرف من كتاب المستطرف لشهاب الدين الإبشيهي.)

60 - رسالة من زوجة الى زوجها بعد موتها

(مثل أي شاب يطمح في تكوين أسرة سعودية سعيدة ، قرر صاحبنا الزواج وطلب من أهله البحث عن فتاة مناسبة ذات خلق ودين ، وكما جرت العادات والتقاليد حين وجدوا إحدى قريباته وشعروا بأنها تناسبه ذهبوا لخطبتها ولم يتردد أهل البنت في الموافقة لما كان يتحلى به صاحبنا من مقومات تغري أي أسره بمصاهرته.. وسارت الأمور كما يجب وأتم الله فرحتهم وفي عرس جميل متواضع اجتمع الأهل والأصحاب للتهنئة. وشيئا فشيئا بعد الزواج وبمرور الأيام لاحظ المحيطين بصاحبنا هيامه وغرامه الجارف بزوجته وتعلقه بها ، وبالمقابل أهل البنت استغربوا عدم مفارقة ذكر زوجها من لسانها ، أي نعم هم يؤمنون بالحب ويعلمون أنه يزداد بالعشرة ولكن الذي لا يعلمونه أو لم يخطر لهم ببال أنهم سيتعلقون ببعضهم إلى هذه الدرجة. وبعد مرور ثلاث سنوات على زواجهم بدأوا يواجهون الضغوط من أهاليهم في مسألة الإنجاب ، لأن الآخرين ممن تزوجوا معهم في ذلك التاريخ أصبح لديهم طفل أو اثنين وهم مازالوا كما هم ، وأخذت الزوجة تلح على زوجها أن يكشفوا عند الطبيب عل وعسى أن يكون أمر بسيط ينتهي بعلاج أو توجيهات طبية. وهنا وقع ما لم يكن بالحسبان ، حيث اكتشفوا أن الزوجة (عقيم)! وبدأت التلميحات من أهل صاحبنا تكثر والغمز واللمز يزداد ، إلى أن صارحته والدته وطلبت منه أن يتزوج بثانية. ويطلق زوجته أو يبقيها على ذمته بغرض الإنجاب من أخرى ، فطفح كيل صاحبنا الذي جمع أهله وقال لهم بلهجة الواثق من نفسه: تظنون أن زوجتي عقيم؟! ترى العقم الحقيقي ما يتعلق بالإنجاب ، أشوفه أنا في المشاعر الصادقة والحب

الطاهر العفيف ومن ناحيتي ولله الحمد تنجب لي زوجتي في اليوم الواحد أكثر من مائة مولود وراضي بها وهي راضيه بي ولا تتكلموا في هذا الموضوع البايخ. وأصبح العقم الذي كانوا يتوقعون وقوع فراقهم به ، سبباً اكتشفت به الزوجة مدى التضحية والحب الذي يكنه صاحبنا لها. وبعد مرور أكثر من تسع سنوات قضاها الزوجين على أروع ما يكون من الحب والرومانسية بدأت تهاجم الزوجة أعراض مرض غريبة اضطرتهم إلى الكشف عليها بقلق في أحد المستشفيات ، الذي حولهم إلى (مستشفى الملك فيصل التخصصي) ، وهنا زاد القلق لمعرفة الزوج وعلمه أن المحولين إلى هذا المستشفى عادة ما يكونون مصابين بأمراض خطيرة. وبعد تشخيص الحالة وإجراء اللازم من تحاليل وكشف طبي ، صارح الأطباء زوجها بأنها مريضة بداء عضال حجم! والمصابون به معدود على الأصابع في الشرق الأوسط ، وأنها لن تعيش كحد أقصى أكثر من خمس سنوات بأي حال من الأحوال - والأعمار بيد الله-. ولكن الذي يزيد الألم والحسرة أن حالتها ستسوء في كل سنه أكثر من سابقتها ، وأن الأفضل إبقائها في المستشفى لتلقى الرعاية الطبية اللازمة إلى أن يأخذ الله أمانته. ولم يخضع الزوج لصدمة الأطباء ورفض إبقائها لديهم وقاوم أعصابه كي لا تنهار وعزم على تجهيز شقته بالمعدات الطبية اللازمة لتهيئة الجو المناسب كي تتلقى زوجته به الرعاية. فابتاع ما تجاوزت قيمته الـ (260,000 ريال) من أجهزه ومعدات طبية ، جهز بها شقته لتستقبل زوجته بعد الخروج من المستشفى وكان أغلب المبلغ المذكور قد تدينه بالإضافة إلى سلفة اقترضها من البنك. واستقدم لزوجته ممرضة متفرغة كي تعاونه في القيام على حالتها ، وتقدم بطلب لإدارته ليأخذ إجازة من دون راتب ، ولكن مديره رفض لعلمه بمقدار الديون التي تكبدها ، فهو في أشد الحاجة لكل ريال من الراتب ، فكان أثناء دوامه يكلفه بأشياء بسيطةٍ ما أن ينتهي منها حتى يأذن له رئيسه بالخروج ، وكان أحيانا لا يتجاوز وجوده في العمل الساعتين ويقضي باقي ساعات يومه عند زوجته يلقمها الطعام بيده ، ويضمها إلى صدره ويحكي لها القصص والروايات ليسليها. وكلما تقدمت الأيام زادت الآلام ، والزوج يحاول جاهداً التخفيف عنها. وكانت قد أعطت ممرضتها صندوقاً صغيراً طلبت منها الحفاظ عليه وعدم تقديمه لأي كائن كان ، إلا لزوجها إذا وافتها المنية. وفي يوم الاثنين مساء بعد صلاة العشاء كان الجو ممطراً وصوت زخات المطر حين ترتطم بنوافذ الغرفة يرقص له القلب فرحاً! أخذ صاحبنا ينشد الشعر على حبيبته ويتغزل في عينيها ، فنظرت له نظرة المودع وهي مبتسمة له. فنزلت الدمعة من عينه لإدراكه بحلول ساعة الصفر. وشهقت بعد ابتسامتها شهقة خرجت معها روحها وكادت تأخذ من هول الموقف روح زوجها معها ولا أرغب في تقطيع قلبي وقلوبكم بذكر ما فعله حين توفاها الله. ولكن بعد الصلاة عليها ودفنها بيومين ، جاءت الممرضة التي كانت تتابع حالة زوجته فوجدته كالخرقة البالية ، فواسته وقدمت له صندوقاً صغيراً قالت له بأن زوجته طلبت منها تقديمه له بعد آن يتوفاها الله. فماذا وجد بالصندوق؟! زجاجة عطر فارغة ، وهي أول هديه قدمها لها بعد الزواج. وصورة لهما في ليلة زفافهما. وكلمة "أحبك في الله" منقوشة على قطعة مستطيلة من الفضة - وأعظم أنواع الحب هو الذي يكون في الله -. ورسالة قصيرة سأنقلها كما جاء في نصها تقريباً مع مراعاة حذف الأسماء واستبدالها بصلة القرابة: تقول الرسالة: (لا تحزن على فراقي فو الله لو كتب الله لي عمراً ثانياً لاخترت أن أبدأه معك ، ولكن أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد. أخي فلان: كنت أتمنى أن أراك عريساً قبل وفاتي. أختي فلانة: لا تقسي على أبنائك بضربهم فهم أحباب الله ، ولا يحس بالنعمة غير فاقدها. عمتي فلانة (أم زوجها):

أحسنت التصرف حين طلبتي من ابنك أن يتزوج من غيري! لأنه جدير بمن يحمل اسمه من صالح الذرية بإذن الله. كلمتي الأخيرة لك يا زوجي الحبيب أن تتزوج بعد وفاتي ، حيث لم يبق لك عذر ، وأرجو أن تسمى أول بناتك باسمي ، واعلم أني سأغار من زوجتك الجديدة حتى وأنا في قبري!

61 - كما تدين تدان

(إن الإنسان عليه أن يعلم علم اليقين أن الكأس الذي يسقي الآخرين منه سيشرب منه يوماً ما! ولنطالع معاً هذه القصة المأساوية التي تشرح لنا هذه السنة الربانية! تزوج هذا الرجل ، وتم الزفاف على الطريقة الإسلامية البسيطة ، ودخل العروسان إلى منزلهما ، وقدمت الزوجة العشاء لزوجها ، واجتمعا على المائدة ، وكانت تلك هي ليلة زفافهما الأولى ، وفجأة سمع الاثنان صوت دق الباب ، فانزعج الزوج وقال غاضباً: من ذا الذي يأتي إلينا في هذه الساعة؟ فقامت الزوجة لتفتح الباب ، ووقفت خلف الباب وسألت: من بالباب؟ فأجابها الصوت من خلف الباب: سائل يريد بعض الطعام. فعادت إلى زوجها ، فبادر يسألها: من بالباب؟ فقالت له: سائل يريد بعض الطعام.....فغضب الزوج وقال: أهذا الذي يزعج راحتنا ونحن في ليلة زفافنا الأولى؟ فخرج إلى الرجل فضربه ضرباً مبرحاً ، ثم طرده شر طردة. فخرج الرجل وهولا يزال على جوعه والجروح تملأ روحه وجسده وكرامته.....ثم عاد الزوج إلى عروسه وهو متضايق من ذاك الذي قطع عليه متعة الجلوس مع زوجته ، وفجاة أصابه شيء يشبه المسّ وضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، فخرج من منزله وهو يصرخ ، وترك زوجته التي أصابها الرعب من منظر زوجها الذي فارقها في ليلة زفافها.....ولكنه قضاء الله وقدره.....وصبرت الزوجة واحتسبت الأجر عند الله تعالى ، وبقيت على حالها لمدة 15 سنة ، وبعد 15 سنة من تلك الحادثة ، تقدم شخص مسلم لخِطبة تلك المرأة ، فوافقت عليه وتم الزواج ، وفي ليلة الزفاف الأولى اجتمع الزوجان على مائدة العشاء ، وفجأة سمع الاثنان صوت الباب يقرع ، فقال الزوج لزوجته: اذهبي فافتحي الباب. فقامت الزوجة ووقفت خلف الباب ، ثم سألت: من بالباب؟ فجاءها الصوت من خلف الباب: سائل يريد بعض الطعام. فرجعت إلى زوجها ، فسألها: من بالباب؟ فقالت له: سائل يطلب بعض الطعام.....فرفع الزوج المائدة بيديه وقال لزوجته: خذي له كل الطعام ، ودعيه يأكل إلى أن يشبع ، وما بقي من طعام فسنأكله نحن. فذهبت الزوجة وقدمت الطعام للرجل ، ثم عادت إلى زوجها وهي تبكي ، فسألها: ماذا بك؟ لم تبكين؟ ماذا حصل؟ هل شتمك؟ فأجابته والدموع تفيض من عينيها: لا. فقال لها: فهل عابك؟ فقالت: لا. فقال: فهل آذاك؟ فقالت: لا. – إذن ففيم بكاؤك؟ قالت: هذا الرجل الذي يجلس على بابك ويأكل من طعامك ، كان زوجاً لي قبل 15 عاماً ، وفي ليلة زفافي منه ، طرق سائل بابنا ، فخرج زوجي وضرب الرجل ضرباً موجعاً ثم طرده ، ثم عاد إلي متجهماً ضائق الصدر ، ثم أظنه جن أو أصابه مس من الجن والشياطين ، فخرج هائماً لا يدري أين يذهب ، ولم أره بعدها إلا اليوم ، وهو يسأل الناس.....فانفجر زوجها باكياً ، فقالت له: ما يبكيك؟ فقال لها: لقد أثرت في نفسي هذه القصة المأساوية.....فسبحان الله العزيز المنتقم ، الذي انتقم لعبده الفقير المسكين الذي جاء مطأطئ الرأس يسأل الناس ، والألم يعصره من شدة الجوع ، فزاد عليه ذلك الزوج ألمه ، وجعله يخرج وقلبه يعتصر لما أصابه من إهانة جرحت كرامته وبدنه!

لكنه علم أن الله لا يرضى بالظلم ، فأنزل الله عقابه على من احتقر انساناً وظلمه ، وكافأ عبداً صابراً على صبره ، فدارت بهما الدنيا ورزق الله عبده المسكين فأغناه عن الناس ، وأرسل بلاءه على الرجل الظالم ففقد عقله وفقد ماله ، ثم صار يسأل الناس..... وسبحان الله الكريم الذي رزق أمة مؤمنة صبرت على ابتلاء الله 15 سنة ، فعوضها الله بخير من زوجها السابق.

62 - المرأة والقاضي

(في يوم من الأيام ذهبت امرأة الي مجلس اجتمع به بعض التجار ، فطلبت من أحد التجار خدمة مقابل 20 ديناراً ، فسألها التاجر عن الخدمة التي تطلبها فقالت له إنها متزوجة ولكن منذ 10 سنوات ذهب زوجها ليجاهد ولكنه لم يرجع أبداً حتي اليوم ولم يصل منه أي خبر ، ولذلك فهي ترغب في الطلاق حتي تعيش حريتها مثل بقية النساء ، وطلبت المرأة من التاجر ان يذهب معها الي القاضي علي أنه زوجها ويطلقها هناك أمامه فوافق الرجل. ذهبا معاً الي القاضي وأخبرت المرأة القاضي أن هذا الرجل هو زوجها الذي تركها وغاب عنها لمدة 10 سنوات والآن يرغب في طلاقها ، فسأل القاضي الرجل هل هو زوجها؟ فأجابه بنعم وأنه يرغب في تطليقها ، وتأكد القاضي أيضاً من رغبة المرأة في الطلاق ورضاها بذلك. وحكم القاضي علي الرجل أن يطلق زوجته فقام بطلاقها ، فأسرعت المرأة تقول بأن هذا الرجل لم ينفق عليها لمدة 10 سنوات وأنها ترغب في أن تحصل علي نفقة الطلاق بالإضافة الي نفقة 10 سنوات ، فسأل القاضي الرجل عن سبب تركه لزوجته طوال هذه المدة ، عندها شعر الرجل بالمشكلة التي وقع فيها ، وفكر في نفسه أنه إذا أنكر أنه زوجها فسوف يتعرض للسجن والجلد ، فأجاب القاضي علي الفور بأنه عجز عن إرسال المال لها ، فأصدر القاضي علي الرجل نفقة 2000 دينار للمرأة ، فاضطر الرجل ان يدفع المبلغ فأخذته المرأة وأعطته منه 20 ديناراً كما وعدته.)

63 - الربان والثعبان

(ربانٌ جرئ خالف اتجاه الموج ، ودفع الثمن وحده ، ولم يكن يدري أن في الشاطئ ثُعباناً هائلاً مريعاً فظيعاً. ذلك أن هذا الثعبان كان يلبس جِلدَ حمل. وعلى عادة هذا الربان أحسن الظن بالحمل في ظاهره والثعبان في باطنه ، فاعتدى الثعبان وبالغ في الاعتداء الرهيب الذي واكبَ آلاماً أخرى يعيشها الربان المسكين. وعاد الثعبان يتظاهر بأنه الحمل الوديع ، ولكن بعد فوات الأوان ، حيث انكشف للربان أمره ، فلم يعد ينخدع فيه طرفة عين. فغامر بروحه الربان ، وعاد إلى بحر الظلمات ، وعاود الإبحار في التيه ، فإذا بالعواصف العاتية ، والأمواج المتلاطمة ، وذئاب البحر التي لا ترحم ضعف مخلوق. وأخذتني قشعريرة الشعر ورعدة الحس ، فرحت أرثي الربان بهذه القصة ، بشيراً ونذيراً. أورد هذه القصة هنا لننتبه جميعاً من ثعابين الإنس ولا نحسن الظن بهم ، بل نأخذ حذرنا منهم ، ونجتهد في تحذير الناس منهم ومن لدغهم الذي تتضاءل عنده لدغات الأفاعي والحيات!)

64 - الربيع الضاحك

(إن الحنيفة السمحة لا تشيب ، بل هي شباب دائم حيوي متجدد. إذ هي تمنح الربيع للحياة بل وللأحياء الذين اتبعوها وجعلوها منهاج حياتهم. وإن صحت العبارة تمنح الحياة للأموات! إن الناس بدون التوحيد والعقيدة موتى ، ولا يشك في هذا عاقل يفهم الإسلام طرفة عين ولا أقل من ذلك. (يا أيها الذين آمنو استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ، (أومن كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) ، (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين). وإذن فهذا الدين حياة العالمين. وصدق شوقي وهو يبين الفرق بين معجزة المسيح عيسى ابن مريم في قومه ومعجزة نبينا محمد – صلى الله عليهما وسلم – في قومه من أعراب مكة والجزيرة ، فيقول مطرياً مادحاً نبيناً عليه السلام:
(أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له *** وأنت أحييتَ أجيالاً من الرمم)!
فكما أن الربيع يمنح الزهور والأشجار النماء والعز والبهاء والاخضرار ، فكذلك الحنيفية السمحة تمنح من يدين بها الحياة ، بكل ما تعنيه الكلمة من معان. والفرق بينها وبين الربيع ، أن الربيع ينتهي ويمضي ليعاود المجيء بعد عام. ولكن الحنيفية السمحة دين الله الخالد. باقية مادامت السماوات والأرض. ولقد يخيل للبعض أن ربيع الحنيفية السمحة قد تولى ولن يعود أبداً ، فلقد أزاحته الجاهلية الحاضرة ، وصرعته وطرحته أرضاً وأبعدته عن الوجود! وهذا وهم مجرد وهم. وهم قد تنشئه وترسخه في بعض النفوس غلبة الجاهلية ، وتغلبها وتغلغلها في مناحي الحياة! وإذا سلمنا لهم من باب التنزل على ما يقول الخصم ، فإننا يجب أن نذكرهم بوعود نبينا – صلى الله عليه وسلم – من الخلافة الموعودة على منهاج النبوة بعد الملك العضوض والحكم الجبري. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتكونن النبوة فيكم ما شاء الله لها أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم لتكونن خلافة على منهاج النبوة ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم ليكونن ملكاً عضوداً ، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه. ثم ليكونن حكماً جبرياً ، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه. ثم لتكونن خلافة على منهاج النبوة).
وإذن فالمماثلة التي يسوقون لها بعض وجه الحق ، فكما يعود الربيع لإحياء الموات ، تعود الحنيفية السمحة لتحيي الموتى بإذن الله! إن ربيع الحياة بجماله وبهائه يشبه ربيع الحنيفية السمحة عندما يتفيأ الناس ـ كل الناس ـ ظلالها وعطاءها والربيع يزهو فيه كل شيء ، وكذا الحنيفية السمحة يتجلى عبرها كل شيء. وربيع حياة كل موحد أن يختم له حقيقة بخاتمة السعادة. وإنه لضياع أن يختم لعبد بخاتمة سوء يلقى بها ربه– تبارك وتعالى. ومن أراد الاستمتاع بالحياة على الحقيقة فليحكمها بالعقيدة والتوحيد والشريعة. كالذي يستمتع بالحياة في الربيع دون سائر فصول!)

65 - الرجولة الباكية

(عُرف الأديبُ نجيب الكيلاني بدمعته الحانية ، إذا هو لمس موقفاً إنسانياً. رغم ما تمتع به من همةٍ عاليةٍ ومقدرةٍ على مواجهة الواقع! فلقد عاش الرجل شعلة حماس ، وثورة على الطغيان. فهو أديب نال الدكتوراه وهو يرسف في القيود. فتحية له ولزوجته الأستاذة القديرة الوالدة الأديبة: (كريمة شاهين) ، تلك الزوجة التي كتبت رسالة الدكتوراه بنفسها. فاحترتُ أي

الهمّتين أحيي؟ ألا رحم الله الأديب الكيلاني الذى رحل عنا سنة 1995م. رحل وقد أثرى المكتبة العربية والإسلامية بمجموعة من الكتب والقصص الرائعة! رحل وقد عمّر سبعة عقود ، غمرها بالعلم والدراسة والبحث والتحقيق! ولقد كان لي ولعٌ شديد وأنا طفل ، بقراءة قصص الأستاذ الكيلاني ، وكنت أقوم بتلخيصها في صفحاتٍ بناءً على طلب من الأستاذ محمد أحمد إسماعيل الذي درسني اللغة العربية في مدرسة تفتيش كفر سعد – دمياط ، في الابتدائية! وكم كانت سعادة غامرة أن أطلع على القصة وألخصها. فرحم الله الأستاذ الفاضل المحترم محمد إسماعيل وأسكنه فسيح جناته!)

66 - الرجولة الموءودة

(الأخوة عندي بذلٌ وتضحية وفداء ونصيحة وجود. وأما الأخوة الباهتة الهزيلة الأنانية فلا تصلح أن تكون صحبة أو معرفة. وحقيقة ما استحق أن يكون أخاً شقيقاً من سولت له نفسه يوماً ، وسمح له ضميره الميت ، وقبلت له شخصيته ، وأذنت له أخوته أن يُهان شقيقه إهانة بلغت المنتهى وهو يعلم. ولا أراه شقيقاً أبداً من كان يسعى في النيل من أخيه ، في غربة كلاهما في أشد الحاجة لأخيه أو لشقيقه المزعوم. وصدق الشاعر أبو فراس الحمداني إذ يقول معاتباً! ولقد أجدى عتابه لأن أهله كانوا على مستوى الأهلية:-

أيـــا قومنـــا لا تشـــعلوا الحـــرب بيننـــا أيـــا قومنـــا لا تقطعـــوا اليـــد باليـــدِ

فجـــرح ذوي القربـــى أشـــد مَضاضـــة علـــى الـــنفس مـــن وقـــع الحُســـام المُهنـــد

إن الأخوة هي المفتاح السحري للتعامل مع الأحداث ، ومن هنا كانت للأخ وللشقيق مكانتهما في هذه الحياة. ولا يدرك ما أقول إلا رجل فقد الشقيق الموحد أو الأخ في الله. وساعة يكون الشقيق على عقيدة وتوحيد يكون شقيقه محظوظاً منظوراً من قبل الآخرين! ولكن عندما توأد الرجولة ويسمح الشقيق بأن يرى شقيقه مهاناً بعد كرامة وذليلاً بعد عزة ، فليس ثمة علاقة ولا خلة ولا شفاعة ، ولا يتمسّحَن شقيق هذا وصفه بشقيقه. وصدق إيهاب عبد الجليل إذ قال: (للرجولةِ قيمتُها ومنزلتها عند أربابِ العقول ، ويَدَّعيْها مَن ليسَ من أهلِ الاستنانِ بها من الصغار ، ويَرنو إلى المِدحةِ بها الأكابرُ ، فيُمدَح الشخص بأنه: رجلٌ ، ومن قومٍ رِجال ، وفيهِ رُجولةٌ ، وقد يَصِلُ الحالُ أن تُمْدَح المرأةُ بأنها: مُسْتَرْجلةٌ ، لنُدرَةِ الرجولة بين الناسِ). قال تعالى: (مّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ) ، وقال تعالى: (رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاء ٱلزَّكَـوٰةِ يَخَـٰفُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلأَبْصَـٰرُ). إن بين الله وبين المؤمنين بيعة ، مفادها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ). المشتري هو الله ، والبائع فيها هو المؤمن ، والسلعة هي الأنفس والأموال ، والثمن هو الجنة. وعموماً كل من يتقاعس عن أداء حقوق الأخوة الصادقة يخسر نفسه ويخسر أخاه! وأحلى أخوة ما كانت في الله ورسوله والإسلام ، وتلك لا تعدلها أخوة أبداً!)

67 - الرجولة والشجاعة

(إن خِلال الرجولة والشجاعة والأخلاق الفاضلة لا تباع ولا تشترى. وإلا لاشتراها الأراذل والأوباش والخُثالة من الناس لكي يكون لهم مجد زائف وكرامة مُدّعاة مفتراة بين الناس! ولقد تعرفتُ على طبائع كثير من الناس ، فما وجدتُ أحلى ولا أنقى من الإخلاص والوفاء والبذل والجود بلا مقابل من أحد. ولكن ابتغاء وجه الله. فيا لله كم هي صفات جميلة كريمة وسجايا ترفع أصحابها في الحياة والممات تحت أطباق الثرى! ويظل أهل السفل من الأوباش ينفقون من آدميتهم ، ودينهم إن كان لهم دين ، وإنسانيتهم الكثير دون فائدة. ولو كانوا ناصحين واعين لِما ينتظرهم من الناس لما سلكوا دروب الخِسة والدناوة والسفالة. ولكن عندما تكون السفالة غريزة لا يستغني عنها أصحابها طرفة عين. فلا تسأل عن التردي والسفول. وهناك قصة حقيقية حكاها لي ثقة عدل ، فتأثرتُ بها ، وكتبت هذه الأبيات متناولاً بعض ظلالها الوارفة الحانية. والقصة تحكي عن طبيب جراح مُوحّد كان يقود سيارته ومعه زوجه ، وقد خبأ لهما القدر حادثاً مريعاً فظيعاً ، حيث انقلبت السيارة بين الشعاب وفوق الرمال ، فكانت النتيجة أن أثخنته الجراح والكدمات وكان صائماً. وأما زوجه فلقد انكسر العمود الفقري ، وراحت المسكينة في غيبوبة تامة ، ولما ذهِب بهما إلى المستشفى ، قال الأطباء لأستاذهم المصاب بأنه لا يستطيع أحد أن يجري جراحة هذه المرأة مثل زوجها لما لديه من خبرة وكفاءة! فطلب إليهم أن يُجْروا له بعض الإسعافات الأولية ، ويوقفوا النزيف الذي كان في ساعده الأيمن ، ودخل غرفة العمليات ليُجري لزوجه الجراحة العاجلة في العمود الفقري ، تلك الجراحة التي فاقت الساعات العشر ، ولما فرغ عاد فأدخل غرفة العمليات مريضاً لا جرّاحاً. وتمت عمليات جراحية له في أطرافه! وتمت كلها بنجاح والحمد لله. إنها الرجولة والشجاعة في وقت واحد. وأبياتي هذي دون الموقف بكثير ، ولكنه شرف المحاولة. روي أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - نزل الجحفة وهو شاكٍ ، فقال: إني لأشتهي حيتانًا. فالتمسوا له ، فلم يجدوا إلا حوتًا فأخذته امرأته ، فصنعته ، ثم قربته إليه ، فأتى مسكين بائس ، فقال ابن عمر - رضي الله عنهما -: خذه. فقال له أهله: سبحان الله ، قد عنيتنا ، وما معنا زاد نعطيه بديلاً عن هذا. فقال: إن عبد الله يحبه. وروي أن سائلًا وقف بباب الربيع بن خثيم ، فقال: أطعموه سُكرًا. فقالوا: نطعمه خبزًا أنفع له. فقال: ويحكم ، أطعموه سُكرًا ، فإن الربيع يحب السكر. وأتى سائل سفيان بن عيينة ، فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكى ، فقيل: يا أبا محمد! ما الذي أبكاك؟ قال: أيُّ مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجلٌ خيرًا فلا يصيبه؟! وقصص السلف لا تنتهي ، ولكنني أكتفي بهذا!)

68 - الرحيل المرير

(في مدينة (الصالحية) وتحديداً في يوم 16-11-1986م ، حيث كنت أعيش أسوأ أيام العمر التي مرت كأن كل يوم منها قرناً! على أنها مجموعة لم تتجاوز الأسابيع الثلاثة! وتعيّن على رفيق لي عزيز أن يُفارقني فكان رحيلاً مريراً ، صعقتُ فيه هذه القصيدة على الفور. وبدا على أبياتها أثر الفراق ولواعج الرحيل وضعف الحبكة الفنية وهزال الديباجة وقصور المعاني! ذلك أنني صغتها وعمري 23 سنة تقريباً. وإذا كان ذلك كذلك فلي عذري الذي يُدركه من له دراية بالشعر أو أدنى تذوق له. وصاحبي هذا كان طيب القلب محباً لأصحابه مخلصاً لهم ، ولا

أزكيه على الله ، بل أحسبه هكذا والله حسيبه ووكيله. فلقد كنا نعيش معاً في مكان واحد ، نقرأ كتاب الله معاً ، ونصلي معاً ، ونتدارس العقيدة والتوحيد معاً. ونبكي على الحنيفية السمحة وأهلها وما آلت إليه أحوالها وأحوالهم معاً. وعندما همّ بالرحيل عشتُ لحظات مؤثرة جداً ، فترجمتُ شعوري شعراً. وأتمنى أن تصل هذه الزفرات إلى القلوب! وإلا فلقد كتبتُ الكثير وما روجعتُ إلا في القليل من هذا الكم! يقول الأستاذ عصام العطار: (قال لي مرّةً كاتب إسلاميّ كبير: أنا أكتب من أكثر من أربعين سنة ، وكأنني أصرخ في واد ، أو أمشي في صحراء خالية من الناس! نعم ، لي قراء كثيرون يحبّونني ؛ ولكنهم صامتون كأنّهم لا يقرأون! خُرْسٌ كأنهم لا يتكلّمون ، فلا يكاد أحدنا يجد عندهم صدىً لِما يكتب! كم تمنّيتُ أن أجد في قرائي المحبيّن من يقول أخطأتَ عندما أُخطئ ، أصبتَ عندما أُصيب ، أحسنتَ عندما أُحسن ، أسأتَ عندما أُسيء! إنَّ هذا التفاعل والتجاوب والتواصل ضرورةٌ لتنشيطنا وتشجيعنا وتقويمنا ، وسُلَّمٌ لارتقاءِ أدائنا ، وإغْناءِ عطائنا ، وعنصرٌ فعّال في بعث حيويّتنا ، وتحريك حياتنا ، وأداء رسالتنا ، وتحقيق آمالنا المشتركة).هـ. ومن هنا عزيت قلبي على ما يلاقيه خاصة من الرفاق والأصحاب!)

69 ـ الرسّامة التائبة

(في إحدي القطاعات راحت هذه الموظفة ترسم نساء عاريات في أوراق أجندتها. فلمّا رأيتها تفعل هذا ، صممتُ أن أبين لها حُرمة رسم كل ذي روح من إنسان أو حيوان أو طير ، فضلاً عن العُري. وجادلتها فوجدتها مقبلة على الله غير مدبرة ، محبة للحق غير مجادلة. والحقيقة أنني حريصٌ كل الحرص على هداية الخلق للحق ، لأنني مجبولٌ على أن يتعدي الخير للغير. فصبرتُ على هذه الفتاة وأعطيتها الأدلة والبراهين القاطعة من الكتاب والسنة وأهديتها من الرسم ما هو مباح غير محرّم. فتابت وأخذتْ تستزيد من العلم! وأسأل الله أن يثبتها وإياي على الحق! وفي التمهيد لمحاضرته القيمة: (الثبات على الحق) يقول الأستاذ عبد الله بن محمد الشكره الدوسري ما نصه: (إن المتأمل في واقعنا هذه الأيام يجد أنها أيام عصيبة تموج بها الفتن والمنكرات ، وليست هذه الفتن والمنكرات وليدة عصرنا ، بل من قديم ؛ حيث قَدِم الإسلام على أقوام قد غرقوا في مستنقعات الجهل والضلال ، ثم انتشلتهم الشريعة الإسلامية من هذه المستنقعات الفاسدة حتى أوردتهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا ينكرها إلا جاهل ، ولا يحيد عنها إلا هالك ، فلبث هذا البياض ناصعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات طفق أهل البدع يمجّون من فساد معتقداتهم المستمدة من تحريف الأديان السابقة ومن عبث الشيطان في أفكارهم ، حتى مازجت نفخات الشيطان نفحات الإيمان ، ثم بدأ يلثم صفاء العقيدة كدر البدع ، وبدأت الفتن منذ أشيع خبر انتقال رسول الله للرفيق الأعلى ، على رأسها ارتداد طائفة من المسلمين ـ ليس بالهين عددهم ـ ، ثم توالت الفتن كالزكاة والقرآن والردة والخلافة والخلافات...إلخ وأصبحت الفتن تستحدث مع تغير الجديدين ، واستدارة الفصول ، وكلما تقدم الزمان ازداد الأمر سوءاً ، عن أنس بن مالك – رضي الله عنه ـ قال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم أحد بعدي سمعته منه: (إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيمهن رجل واحد). وعن شقيق قال كنت مع عبد الله وأبي

موسى فقالا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج). والهرج: القتل. وعن حُذَيْفَة بن اليَمَان - رضي الله عنهما - قال: "كنَّا عند عمر ، فقال: أيكم سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر الفتن؟ فقال قومٌ: نحن سمعناه ، فقال: لعلكم تعْنُونَ فِتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل ، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ؛ ولكن أيكم سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يذكر الفتن التي تموجُ موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القومُ ، فقلت: أنا ، قال: أنت ، لله أبوك! قال حذيفة: سمِعْتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (تُعْرَضُ الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداء ، وأيُّ قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا ، فلا تضرّه فتنةٌ ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مُرْبَادًّا ؛ كالكوز مُجَخِّيًا ، لا يعرف معروفًا ، ولا ينكر منكرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هواه) ، قال حذيفة: "وحدَّثته أنَّ بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يُكسر ، قال عمر: أكسرًا لا أبا لك ، فلو فُتح لعله كان يعاد ، قلت: لا ، بل يكسر ، وحدثته أن ذلك الباب رجلٌ يُقتل أو يموت حديثًا ليس بالأغاليط". فمن تمعّن في هذه الآثار ، وجب عليه الحذار ، والأخذ بعين الاعتبار ، لأن كثرة الفتن تورد القلب مشارب الدمار ، وتجعل الحليم والعاقل في رشده حار ، وتسلك بالمتخبط شعاباً لا تقبل الحوار ، فيبقى متذبذب في المذاهب والديار ، ويكفر الرجل ويسلم بفلس ودينار ، فاللهم نسألك أن نكون للصالحات عمّاراً).هـ.)

70 - الرويبضة

(أخرج أحمد والطبراني ، وقال أحمد محمد شاكر بأن إسناده حسن ومتنه صحيح: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنها ستأتي على الناس سنون خداعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ويؤتمن الخائن ويخون الأمين وينطق فيها الرويبضة. قيل وما الرويبضة؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة). وفي رواية (بين يدي الساعة سنون خداعة). وأخرج البزار مثله وزاد في تعريف الرويبضة: (المرء التافه يتكلم في أمر العامة). وأخرج أحمد مثله وزاد في التعريف بالرويبضة: (الفويسق يتكلم في أمر العامة). وتحت عنوان: (الرويبضة) يقول الأستاذ أحمد الجردان ما نصه: (زمن العجائب ، هذا الوصف يصدق في زمننا هذا! ، ففيه ترى العجائب تترى ، بل ربما عجائب تترى ، ومن ذلك أنك ترى من يتصدر الناس بلسانه وقلمه وإنتاجه الفني والأدبي ليوجه التهم ومن ثم يصدر الأحكام! ويا ليت ذلك فيما يخصه لهان الأمر ، بل إنه يتحدث في أمور تمس الشأن العام للناس ، ولو كان لا يفهم فيها شيئاً! والحقيقة أن العجب في ذلك يبلغ بك مبلغه فتتساءل تساؤلات مصحوبه بعلامات تعجب عن ذلك الصنف من البشر ، غير أنه لا يطول بك العجب لأن هذا الصنف من الناس قد جاء وصفه قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام مضت على لسان من لا ينطق عن الهوى محمد صلى الله عليه وسلم عندما سئل وما الرويبضة؟ فقال: "الرجل التافه يتكلم في أمر العامة". نعم ، الرويبضة هو الرجل التافه الذي رغم تفاهته يتكلم في أمر جليل جداً يمس الناس كلهم! ، الله أكبر إنها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ها هي تقع في زمننا هذا ، فنحن نرى الرويبضة من الرجال وكذلك الرويبضة من النساء كل منهم قد شحذ لسانه وأشهر قلمه وسخر فنه لا ليتحدث فيما يعنيه ، بل ليتحدث في شأن الناس كلهم!

فهذا يتحدث عن شرائع الإسلام كالصلاة والولاء والبراء ونحو ذلك ، وأخرى تتحدث عن حجاب المرأة وتهون من شأنه فتلوي عنق الآية والحديث وكلام أهل العلم ليساير هواها ويحقق مبتغاها. وعلى العلماء والدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، حيث تجده يتطاول على أولئك القمم الشامخة والهامات العالية ويسعى في ذلك قدر جهده بخيله ورجله ، وما علم ذلك الرويبضة أنه قد فضح نفسه لأن الناس قد رأوه أمام هذه الهامات الشامخة على حقيقته قزماً لا يعدو أخمص أقدامهم والرويبضة قد وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالتافه ، وهذا كاف شاف ، ولا غرابة فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، وكلنا لا يجهل ما يعني ذلك الوصف ، فالتافهون والتافهات الأحياء منهم والأموات معرفون بسيماهم من أثر التفاهة ، فهم معروفون بحقارتهم ودناءتهم وخستهم وقصور فهمهم ، وبلحنهم وزخرف قولهم الذي يوحي به بعضهم إلى بعض غروراً ، وكذلك معروفون أيضاً باصطبارهم وتواصيهم وتوزيعهم للأدوار فيما بينهم ليمارسوا تفاهتهم على أوسع نطاق عبر وسائلهم وذلك إمعاناً منهم في التفاهة وإشهاداً منهم على أنفسهم وإشهاد الناس كذلك بعمق تفاهتهم وسوء نيتهم وطويتهم! هؤلاء التافهون والتافهات من خلال الواقع ومن خلال تجارب التاريخ لا يَعْدون قدرهم ، بل جهدهم راجع عليهم ، فخذ مثلاً ذلكم الرويبضة الذي سبَّ محمداً صلى الله عليه وسلم عبر الرسوم التي رسمها جاء رد عمله الشنيع عكس ما يشتهي ، حيث حدث إقبال كبير من بني دينه للسؤال عن محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم الدخول في دين الإسلام! وكذلك كل رويبضة تطاول على علمائنا من خلال بث الفكر الضال جاء رد عملهم الفاسد عكس ما يشتهون ، حيث وقفنا كما نحن دائماً لي وقفة ولاء وإخلاص وتكاتف فصرنا سداً منيعاً تحطمت عليه أمواج الفكر الضال حتى عاد بإذن الله خاسئاً وهو حسير! ولعلي أختم هذه الأمثلة بذكر كل رويبضة سعى جاهداً بقلمه ولسانه وفنه ورواياته للنيل من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، حيث جاء رد عملهم الفاسد عكس ما يشتهون حيث سقطت مصداقيتهم سقوطاً ذريعاً من الصعب عليهم أن يعيدوها مرة أخرى ، وشئنا أم أبينا سيبقى الرويبضة ولكن لن يضر القمم الشامخة عبثه وتفاهاته لا لشيء إلا لأننا نؤمن أن العاقبة للحق فهو شامخ شموخ السحاب وصدق من قال: (لا يضر السحاب نباح الكلاب!)هـ. قال ابن القيم رحمه الله واصفًا حال المتعالمين: "انتكست عليهم قلوبهم ، وعميَ عليهم مطلوبهم ، رضوا بالأماني ، وابتلوا بالحظوظ وحصلوا على الحرمان ، وخاضوا بحار العلم لكن بالدعاوى الباطلة وشقاشق الهذيان ، ولا ـ والله ـ ما ابتلّتْ من وَشَلِه أقدامهم ، ولا زكت به عقولهم وأحلامهم ، ولا ابيضت به لياليهم وأشرقت بنوره أيامهم ، ولا ضحكت بالهدى والحق منه وجوه الدفاتر إذ بلت بمداده أقلامهم ، أنفقوا في غير شيء نفائس الأنفاس ، وأتعبوا أنفسهم وحيروا من خلفهم من الناس ، ضيعوا الأصول فحرموا الوصول ، وأعرضوا عن الرسالة فوقعوا في مَهَامِه الحيرة وبيداء الضلالة. وقد رأى رجل ربيعة بن أبي عبد الرحمن يبكي فقال: ما يبكيك؟ فقال: استُفتِي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم ، قال: ولَبعض من يفتي ها هنا أحق بالسجن من السُّرَّاق. قال بعض العلماء: فكيف لو رأى ربيعة زماننا وإقدام من لا علم عنده على الفتيا ، وتوثّبه عليها ، ومد باع التكلف إليها ، وتسلقه بالجهل والجرأة عليها ، مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة ، وهو من بين أهل العلم منكر أو غريب ، فليس له في معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف نصيب ولا يبدي جوابًا بإحسان وإن ساعد القدر فتواه كذلك يقول فلان بن فلان" .ابن القيم: إعلام الموقعين. إن محاولات المغرضين المشككين الرويبضات هؤلاء ، تعددت على

كر الدهور وتعاقب العصور ، فهل أفادت أصحابها بشيء؟ بالطبع لا! لقد باءوا بخزي الدنيا وينتظرون عذاب الآخرة! فهل اعتبر اللاحقون بالسابقين؟! فإلى كل رويضة - يُفتي بين الناس بغير علم ، ويقطع في الأمور العظام بلا دليل ليرضي الطغاة والمجرمين وليضفي الشرعية على انحرافات الجاهلية - أهدي هذي القصة إعذاراً إلى الله تعالى! اللهم إني قد بلغتهم ، فاشهد عليَّ وعليهم ، وأنت - يا مولاي – خير الشاهدين!)

71 - طموح الرؤية القصْوى

(إن الأخوة الإيمانية كانت قد ثبتت رابطتها بين المؤمنين بقوله تعالى ذكره (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ، فهي رابطة بعقد الله سبحانه وتعالى ، وإن أول ما يميز هذه الرابطة أنها في ذاته سبحانه وتعالى ، فمفهوم الأخوة الإسلامية هي امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده ، فالمحبة والموالاة للمؤمنين هي لازم لمحبة الله وموالاته ، فالأخوة الإيمانية تفتح لكل موحد باباً عظيماً للأخوة في كل أنحاء الأرض ، وما أجمله من شعور أن نشعر بأن كل موحد على وجه الأرض هو أخ لنا ، له من الحقوق ما لنا وعليه من الواجبات ما علينا ، في أي بقعة كان ومن أي شعب أو لغة كان ما دام على عقده وميثاقه التوحيدي مع الله سبحانه وتعالى ، فالأخوة الإيمانية فوق كل الحواجز والعلائق الأرضية. وفي هذا إلماحة إلى ضلال أولئك الذين يفرقون المسلمين والموحدين على أساس ولاءات عصبية ، وجنسيات وتابعيات مقيتة ، تفتت الأمة المؤمنة وتمزقها ، وتضع الحدود والعراقيل التي تفصل بين أبنائها. ورحم الله القائل:

يا أخي المسلم في كل مكان وبلدْ أنت مني ، وأنا منك كروح في جسدْ

وقصة الضحية صاحب قصيدتنا هذي رجل مسكين ، لم تزل به وبأسرته إحدى الجارات حتى أصبح في البيت خمسين قناة فضائية. وهو البيت الذي ظل مقاطعاً للتلفاز زهاء العشرين سنة. وتعبّث الأولاد بجهاز التحكم عن بعد. فأضافوا قنوات أخرى ، وزادوا حبات الطين بلة إذ استرقوا النظر إلى أشياء أخرى في غياب رقابة الأب. فعاد الأب الحريص إلى سابق عهده بعد أن هشم جهاز الاستقبال ومعه التلفاز إلى غير رجعة. فغدا البيت كله يناوئ الفكرة بكل قوة ، ويعترض ويتبجح ويتوعد. فقال الأب: كلا ، إنها أمانة في عنقي ، أرعاها إلى أن أموت ، فسأقول لله كلمة العبد المخلص المتكلم في المهد والنبي الصالح الذي رفع إلى السماء ومازال بها: (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد). يقول الأستاذ مصطفي قاسم عباس في الأخوة ما نصه بتصريف: نحن نعلم أن المؤمن ليس بالخِبِّ ، ولا الخبُّ يخدعُه ، فعليه أن يكون حذراً في اختيار الأصدقاء والأصحاب فلا يصاحب إلاَّ رجلاً يغفر له الزلّة ويُقيله العَثْرَةَ ، ويستر له العورة ، ويُعينه في النكبة ، ويحفظه في الغَيبة.)هـ. أما الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - فهو يرغّبنا أن نحرص على مصاحبة ثلاثةٍ ، عندما يقول: "ثلاثةٌ احرص على صحبتهم: عالمٌ متخلقٌ بأخلاق النبوَّة ، وحكيمٌ بيَّضت فَوْدَيهِ ليالي التجربة - والفَوْدُ مُعْظَمُ شَعْرِ الرأسِ مما يَلي الأُذُن ، وناحِيَةُ الرأسِ ، والمثنّى فَوْدانِ - ، وشهمٌ له من مروءته ما يحمله على نصحك إذا أخطأتَ ، وإقالتك إذا عسرتَ وجبرك إذا انكسرتَ ، والدفاع عنك إذا غبت ، والإكرام لك إذا حضرت"(مجلة: حضارة الإسلام - عدد خاص عن وفاة الدكتور مصطفي السباعي). ولأنَّ قليلاً من الناس من يتمثَّلُ بهذه

الصفاتِ العظيمةِ ، رأينا وَهْبَ بنَ مُنَبّه ، بعد تجربة خمسين سنة ، يقول: "صحبت الناس خمسينَ سنةً ، فما وجدتُ رجلاً غفر لي زلةً ، ولا أقالني عثرةً ، ولا ستر لي عورةً". [المستطرف ص: 166]. وأمّا ابن السِّماك فقد جعل ثلاثَ صفاتٍ لبقاء المودّة ودوامِها ، فعندما قيل له: أيُّ الإخوان أحقُّ ببقاء المودَّةِ؟ قال: الوافِرُ دِينُه ، الوافي عقلُهُ ، الذي لا يملُّكَ على القُربِ ، ولا ينساك على البُعد[المستطرف ص: 166]. وقد رأينا في زماننا كثيراً من الصفات المذمومة في بعض من يدَّعون الصحبة الصالحة ، ومع أنه ليس من السهل الإحاطة بها ، إلاّ أننا يمكن أنْ نكونَ متّفقين على العديد منها ، ومن هذه الصفات: ـ حدَّةُ المزاج. ـ التفتيش عن أخطاء الآخرين ومتابعتها. ـ الإسرافُ في نقْدِهم. ـ إظهارُ البَرَمَ من أوضاعهم. ـ كثرةُ الثرثرة والإفاضة في الكلام ، مما يجر غالباً إلى إفشاء الأسرار وإلى النميمة. ـ الأنانيةُ والتطرف في حبِّ الذات ، من الأسباب الأساسية للإخفاق في تكوين صداقات جديدة. (عصرنا والعيش في زمانه الصعب: أ.د عبد الكريم بكار ، ص 311). إضافةً إلى ما هو أعظم شناعةً من هذه الصفات ، من الغدر والخيانة والغيبة والحسد والنفاق وسائر الأمراض القلبية. فعلى الإنسان ألاَّ يصاحبَ من يقعُ أمامَهُ في أعراض الناسِ ؛ لأنه سوف يقَعُ في عِرْضِهِ ، ولا مَن يَنُمُّ له ؛ فإنه سوف يَنُمُّ عليه ، ولا من يغتاب عنده ؛ فإنه سوف يغتابُهُ. ولا تغترَّ بكثيرٍ ممن يضحك في وجهك ، فلعلَّهُ سوف يُبْكيك يوماً ما. فالمرءُ على دِين خليله ، والمرء معَ مَن أحبَّ. الأُخُوَّةُ الصادقةُ المبنيَّة على المحبَّة في الله ، وعلى تقوى الله ، هي التي تبقى في الدُّنيا والآخرةِ ، فكلُّ صديقٍ عدوٌّ يوم القيامة لصديقهِ ؛ إلاّ المتقين. قال تعالى: {الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}.)هـ. وهذه رؤيتي القصوى التي لا أحيد عنها! واستمر على طموح رؤيته القصوى سائلاً الله التثبيت! فتخيلته يبين لنا طموح رؤيته القصوى!)

72 ـ الزاهية تحَدثنا عن نفسها

(أنشدت هذه الملحمة الشعرية عن (الزاهية) وعن أنظمتها العلمية التربوية التسعة ، مشيداً بجمالها ومعجباً بطبيعتها الخلابة ومناظرها البديعة ، بعد زيارة لها في شتاء 2014م ، بناء على طلب من الشيخة فاطمة آل نهيان – حفظها الله تعالى ـ. أما الزاهية فهي أشبه ما تكون بالواحة الطبيعية الظليلة في منطقة (الحليو) بعجمان ، وربما تكون هذه البقعة من أجمل مناطقها وبقاعها على الإطلاق! ويوجد فيها تسعة أنظمة بيئية مختلفة. وكل نظام يشكل بيئة تعليمية متكاملة في ذاته. وتلك البيئة تتوفر فيها استراحة متعددة الأغراض. ويستطيع الزائرون من أرباب الفنون والحِرف أن يضيفوا إليها من الابتكارات ما يجعلها أجمل وأجمل ، فهي بذاتها تقبل التطوير والتجديد ومُواكبة العصر ومُحاكاة الماضي في آن واحد! وعلى هذا فالمهندس يستفيد منها ، وكذلك الأديب والشاعر والكاتب والمعماري والفيلسوف والمفكّر والداعية وغيرهم. وبعد سعادتي بالزيارة التي استمرت قرابة الساعتين ، كانت هذه القصيدة ترجمة وانعكاسا لها. وكنتُ تخيلتُ الزاهية تكلمنا عن نفسها وعن أنظمتها التسعة ، ثم عدلتُ عن ذلك لأجعل الزاهية تتصدرُ الكل وتتحفنا بأبيات ثمانية عن نفسها ، ثم يأتي دور كل نظام ليتحدث عن نفسه: وصفاً وترحيباً ووصية ، في ثمانية أبيات تتفرد في قافيتها وبحرها ووزنها عن غيره من الأنظمة. ثم يأتي دور الضيوف الذين يقومون بدورهم بالترحيب بالزاهية ويدعون لها ، الأمر الذي جعل الأبيات تبلغ الـ 88 بيتاً! وهذا العمل الفني بحاجة ماسة لمن يتبناه ويجعله في قالب إنشادي بديع يبين قيمة (الزاهية) العلمية والتربوية!)

73 ـ فاطمة الزهراء السليمانية

(أهديتُ قصيدة الرقيقة لابنتي فاطمة التي منَّ الله – سبحانه وتعالى ـ علينا بولادتها يوم الجمعة 8 من محرم 1431هـ. الموافق 25/ 12/ 2009 م. ولقد انتظرناها دهراً. وعشت على أمل كبير أن يمن الله عليّ بابنةً أدخرها في المشيب ، واحة ظليلة في هجير الكبَر وقلباً حانياً في قسوة الشيخوخة ، وضميراً حياً في طغيان الهرم ، إن كان في العمر بقية وفسحة. وكانت الأمنية قد سُجلت شعراً عام 1995م ، ففي قصيدة: (قراصنة القلوب) وتحديداً في ديواني الأول: (نهاية الطريق) أنشدت بيتاً من أبيات القصيدة أخاطب فيه نفسي أقول لها:

سـوف تُعطـى طفلـة عمـا قريـب فـارحم الأنثـى ، ترفـق بالولايـا!

واستجاب الله الدعاء ، وكانت الزهراء. وعندما علمت بخبر ولادتها استبشرت خيراً. وعندما أمسكت بالقلم لأعبر عن فرحتي بها إذ بي توقفت عن الكتابة عند البيت الثمانين ، بعد أن اخترت لها القافية الهمزية المرفوعة (جعلها الله همزة وصل بين المؤمنين والمؤمنات ورفعنا الله وإياها في الدنيا والآخرة). والبحر الخفيف خِفة ظِلها وحَنانها وعذوبتها. وكنتُ قد سطرتُ الأشعار في أبناء لي سبعة قبل هذي الزهراء. ولكن عند كتابتي قصيدة الزهراء انتابني شعور غريب ، وأحسستُ أنه الشعر الذي دُونه كل شعر ، والحنين الذي دُونه كل حنين. وكأن قلبي هو الذي يكتب لها ، وضميري هو الذي يفكر. وتحولتْ مني القصيدة التي أعبّر فيها عن فرحتي الكبرى بالزهراء لتصبح مجموعة من الوصايا التي قد تنفعها يوماً ، إن لم أعش لليوم الذي أراها فيه عروساً أزفها لعريسها بكل ما أملك من حنان وحنين ، وعز وتمكين ، وعُرف ومعروف ، على هُدىً من الله وكتاب منير. وإنني لأبتهل إلى الله تعالى أن يجعلها هادية مهدية ، صالحة مُصلحة ، يتعدى خيرُها غيرها باذلة الخير للغير ، تعيش لغيرها من المؤمنين والمؤمنات أكثر من أن تعيش لنفسها ، ذلك أن الذي يعيش لنفسه يعيش صغيراً ويموت صغيراً ويسجل اسمه في ديوان الأنانيين ، وأما الذي يعيش لغيره ، فإنه يعيش كبيراً ويموت كبيراً ويسجل اسمه في ديوان الكرماء الأجاويد. لسان حالها وقد عاشت لغيرها: (ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط!) واسأل الله أن يجعلها مثل سِتنا الزهراء ـ رضي الله عنها – وكنت أنوي تسمية ابنتي على اسم أم أبيها ذلك الاسم الميمون القرآني المبارك: (كوكب) إلا أنه دار جدال كبير حول خيرية الاسم وأفضليته ، فاقترعنا فكانت القرعة (فاطمة) ، وإن كنتُ أحسنتُ إليها باختيار أمها واختيار اسمها ، فأسأل الله أن يعينني على حُسن تربيتها وإخوانها على كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – . وهذا تعقيب لغوي هام على كلمة (الست). ويعقبه تحقيق لغوي حول اللفظ العربي الأصيل (الست). وأنا دائماً أسألها مذ كانت في مهدها قائلاً: (هل ينفع هذا يا ست فاطمة؟) فأجد الاستهجان ممن حولي لاستخدامي لفظ (ست)! وأسأل: هل كان من دارجة المصريين؟ أم هو لفظ عربي أصيل؟ حيث إنني وجدت المصريين أكثر قوم في الأرض اليوم وأمس وغداً يستخدمون لفظ الست عانين به المرأة! وبعد التحقيق والتثبت أدركت أن اللفظ عربي أصيل! كان هذا هو الموجز ، وإليكم التحقيق والبحث والدراسة! قال صاحب (المحيط) في مادة (الست): وستي للمرأة أي يا ست جهاتي ، أو لحن ، والصواب (سيدتي) ، والست: بنت أبي عثمان الصابوني المحدثة. وأورد محقق القاموس المحيط في هامشه بعد أن أورد الذي قاله المؤلف الفيروزآبادي تعليقاً:- ويحتمل أن الأصل: (سيدتي) فحذف بعض حروف الكلمة وله نظائر.اهـ. وأنشد للبهاء زهير قوله:-

بروحـــي مَـــن أســـميها بســـتي فينظـــرُ لـــي النحـــاة بعـــين مَقـــتِ

يـــروْن بـــأنني قـــد قلـــتُ لحنـــاً! وكيـــف وإننـــي لزهيـــرُ وقتـــي؟

ولكـــن غـــادة مَلكـــتْ جنـــاني فـــلا لحـــنٌ إذا مـــا قلـــت: (ســـتي)!

وقد أورد صاحب (تراجم أعلام النساء) الأستاذ رضوان دعبول في مادة (ست) من الاسم رقم: (1074) وحتى (1161) من الأسماء بعض أسماء النساء بلفظ (ست) بمعنى (سيدة) مضافاً إلى غيره (87) اسما في القديم يعني من العصر الجاهلي ، وحتى العصر الحديث الذي نعيش فيه ، مما يدل اشتهار لفظ (ست) بمعنى سيدة ، ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر مع استبعاد المكرر: (ست الأجناس – ست الإخوة – ست الأدب – ست الأرقاء – ست الأمل - ست الأهل – ست البنين – ست البهاء – ست الجميع – ست الخطباء – ست الدار – ست الركب – ست الشام – ست العُباد – ست العبيد – ست العجم – ست العراق - ست العرب – ست العشيرة – ست العلماء – ست العيال – ست الفخر – ست الفقهاء – ست قريش – ست القضاة – ست الكل – ست الناس – ست النساء – ست النعم – ست الوزراء – ست الوفاء).اهـ. وإذن فلفظ (ست) بمعنى (سيدة) مشهور من عصر الجاهلية وصدر الإسلام إلى اليوم ، فلماذا استهجانه من البعض في آخر بيت في قصيدتي (فاطمة الزهراء السليمانية)؟! والمصريون يجمعون كلمة (ست) على (ستات) عانين به (نساء) ، فيمكننا إضافة (ست الستات) التي هي (فاطمة الزهراء السليمانية)! ولعلها بإذن الله تكون من ربات الأدب والكمال والفضل والقيم والأدب ، فتضاف إلى معجم (تراجم أعلام النساء) وتكون كنيتها (الزهراء أو ست الستات!) كما أضيف أبوها إلى معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين للأستاذ أحمد عبد اللطيف الجدع ، ذلك السفر العظيم الذي امتد في مجلدات ثلاثة! ذلك الإنجاز القيم الذي تجاوز (1416) من الصفحات ذوات القطع الوسط! وفي الصفحة 125تناولني في صفحات ثلاث! وأصفه بالعظيم لا لأنه ذكرني من بينهم! ولربما يكون ذلك خطأه الوحيد! بل لأنه احتوى أكابر وأجاويد وعمالقة وعباقرة الشعر والأدب في العصر الحديث! وإن كان المؤلف الأستاذ الجدع قد زج باسمي من بينهم فهذا من فضل الله عليّ! والحكم لله العلي الكبير من قبل ومن بعد! وهناك التاريخ والأدباء والنقاد والكتاب سيغربلون بالطبع ما كتبنا ويدلون بدلائهم في جب أشعارنا ويخرجون بترجيح إن كنا نستحق أن نكون شعراء أم لا؟!)

74 - الزواج الثاني هو الحل

(ص36من حدث في المحكمة قصة القاضي الذي أدرك سر الخصام بين زوج أشيب وزوجته العجوز ، وكان الحل هو الزواج الثاني الذي أمر به أبناؤهما الثلاثة: (ثلاثة رجال يعلوهم الوقار يمشون خلف أبيهم وأمهم بكل هيبة وكرامة وإجلال ، والأم تشتكي الأب! والأم ذات سبعين خريفاً والأب يزيد عليها شيئاً يسيراً يختصمان والقاضي والأولاد لا يعلمون سر الخصام ، ولكن القاضي حاول جاهداً أن يصلح بينهما إلى اتفاق الزوجين أن ترعاهما زوجة ثانية تقوم بحقوق الزوج وتكون بنتاً للزوجة الأولى ، وتقدم الأولاد بعد ما أذن لهما القاضي بالدخول ، ورغب منهم أن يزوّج أباه ، وتقدموا لأمهم وقالوا: تأذنين لنا أن نزوّج أبانا عليك

وترضين بهذا ، قالت: نعم فقبلوا يدها ورأسها ثم قالوا لأبيهم: ألك قدرة على الزواج ، قال: يا أولادي الشيخ أبخص (أدرى) ، ثم نظروا إلى القاضي ، وقالوا نخشى من عاقبة الأمور ، فقال القاضي: التمسوا له زوجة تليق بمثله وتصلح له ، فاستجابوا للقاضي وتزوّج هذا الشيخ الكبير الذي جاء في الجلسة الأولى شاكياً مشتكياً يتوكأ على عصاه ويتمايل ووجهه أسود ، بل ويزداد سواداً من القهر والغضب ، جاء إلى الجلسة الثانية تصحبه الزوجة الثانية ومعه أم الأولاد ، وقد تجمّل بأزهى زينته وترك عصاه وراءه ظِهرياً ، وقد نشطت الزوجة الأولى ، فكان أن ذكرت الزوجة الأولى للقاضي أنها تعيش في خير وسعادة ، وأن هذه الزوجة الثانية كابنتها تقوم بخدمتها والإحسان إليها وتكفيها مؤونة زوجها ، وكان الأمر أن حمِدَ الزوجُ ربه ، وأثنى على الله بما هو أهله ، وخرجوا جميعاً يدعون للقاضي ، ويلهجون بالثناء والشكر ، والأولاد في نظراتهم العجب والاستغراب ، لأنهم لتوّهم أدركوا سر الخصومة الأولى ، فلله الحمد رب السماوات والأرض ، ولله في خلقه شئون ، وللأذكياء في هذا التعبير عِظة وعِبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وكان من ذوي الألباب ، نسأل الله أن يصلح الأحوال ، وأن يصلح المآل! وأنا أقول بأنه في مثل هذه السن لا يكون الزواج الثاني هو الحل! ولربما كان أشيب قصيدتنا حالة خاصة فريدة من نوعها! ولكنه توفيق الله أولاً وآخراً ، ثم ذكاء القاضي اللمّاح الذي أدرك بما يوضع بين يديه من حقائق أن الحل يكمن في الزواج! ولئن كان الرأي قد بدأ به الأبناء وقد درسوه دراسة وافية مستفيضة! كتبتُ في هذه المناسبة لسان القاضي وتخيلته يقول للأبناء بطريقة مباشرة زوّجوا أباكم!)

75 - الزواج ليس سجناً جبرياً

(صـ 27 من (حدث في المحكمة) للأستاذ سلمان العمري ، قصة المرأة التي احتالت لتطلق من زوجها ، ثم هو يبادر ويعطيها الفرصة فعلاً ، ثم يأخذ ابنته ويطلق الأم. (إن الإنسان ليعجب من هذه المعاملات جدا!) .(جاءت هذه المرأة لكون زوجها مريضاً بالقلب ولكرهها له وقد أنجبت منه ولكونه يراجع المستشفى ويرقد فيها كثيراً وهو يسكن بجوار أهلها ، انطلقت ذات صباح إلى المحكمة لتقول: إن زوجي غائب لا أعرف مكانه ، وتقدمت إلى المحكمة بهذا الطلب ، فأعلنت المحكمة في إحدى الصحف ، وتخابر به الناس ومن ضمنهم جيرانهم ، وفجأة جاءت بالشهود للقاضي بشكل سريع بعد انقضاء مدة الإعلان ، ثم جاءت بشهود زور يشهدون بغيبته وأنه لا يعرف مكانه ، وأنها بحثت عنه وكتبت للجهات المختصة التي لم تستدل عليه لكونه يقيم إقامة نظامية ، وفعلاً جاء الشهود فسمع القاضي ما لديهم من شهادة ورصدها وأجّل الأمر لمزيد من التثبت ، وبقدرة من الباري سبحانه وتعالى يتهادى هذا المريض بعد أن أُخبر بالإعلان ، ومعه صورة من الإعلان ، ورجلان يشهدان بأنه مجاور لهما ، فيخبر القاضي بذلك ، ولأنه أي الزوج شهم أبيٌ كريم فقد قال كلمته التي لا ترد: مادامت لا تريديني فأنا كذلك لا أريدها ، ولكن تسلمني ابنتي وأخلي سبيلها فرضيتْ هي بذلك ، وأعلنتْ تسليمها له ، والتزمتْ بذلك. وكان الفراق وأُخذت الطفلة من بين يدي أمها وهى تبكي أسيرة حسيرة كسيرة. وبقيت الأم تعيش هموم كذبها وحسراتها وآلامها ، وخسرت دنياها وما كان سيدخر لها من الأجر العظيم بقيامها بحق زوجها ورعايتها له ، ولا يبعد أن يكون هناك من دخل في حياتها

فأفسدها وخببها على زوجها).اهـ. إنني أقول بكل صدق: إنه إذا وصلت العلاقة بين الزوجين إلى هذا الحد ، فلماذا التحايل والتحاكم والتزوير والتدليس والغش والخداع؟ إن الزواج يا بنات حواء ويا أبناء آدم ليس سجناً جبرياً قسرياً لا يمكن الخروج منه البتة! والكتابُ الذي احتوى أحكام الزواج كلها من الألف إلى الياء ليس يحتوي على سورة تسمى بسورة الزواج ، بل احتوى على سورة (الطلاق)! إن الطلاق في بعض الأحايين يكون حلاً ناجعاً موفقاً لبعض المشكلات التي منها (كره المرأة لزوجها ورغبتها الجامحة في فصم عُرى الزوجية بأي ثمن وبأي سبيل). وحتى إذا لم يقبل الزوج فهناك الخُلع المنصوص عليه في القرآن صراحة (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) ، وكان هذا قضاء النبي – صلى الله عليه وسلم – للمرأة التي جاءته تقول: (إنني أكره الكفر في الإسلام ، بمعنى أنها لا تريد أن يكون بغضها لزوجها طريقاً إلى كفران عشيره والتقصير في واجباته وحقوقه ، وبينت للرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك أنها لا تعيب على زوجها خلقاً ولا ديناً ولا معاملة) فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : (أتردّين عليه حديقتيه؟) فقالت: أفعل ، فأخذ الرجل حديقتيه ونالت المرأة حريتها وباتت في حِل من هذه الزيجة ، وأخذ الرجل ما أصدقها به (الحديقتين) والنساء دونها كثيرات والرجال دونه كثيرون ، (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته). وإذن ففي الأمر سعة ويسر لماذا يضيق الناس بشقوتهم رحمة الله ويعمدون إلى الطرق الملتوية وتزوير الحقائق؟ أنشدت أحبب الناس في صدق المواجهة وأبغض إليهم الالتواء والخداع!)

76 - الزوجة الثانية نعمة لا نقمة

(كتب الكثيرون عن تعدد الزوجات. فمن مُنصفٍ مُحِق عليم ، ومن مُبطل مُجْحفٍ ذميم. وكادت القضية أن تضيع بين عُرف موروث ، وشرع منزل لا يعمل الناس به ولا يقفون عند حدوده إلا من رحم الله. وأقول: الزوجة الثانية نعمة لا نقمة. وكثيراً ما قرأت وقرأ غيري في كتب الأدب العربي إحدى القصائد العجيبة في النصح بمنع تعدد الزوجات واعتباره كأنه والجريمة صنوان وكأن الزوجة الثانية ذئبٌ سوف يأكل الزوج والعياذ بالله ، وكأن السابقين الأولين ابتداء من الأنبياء المبجلين والرسل الأكرمين – عليهمُ الصلاة والسلام أجمعين - ومن عداهم من الأتباع والأصحاب والصالحين ممن عددوا الزوجات ، أقول: كأن هؤلاء كانوا يعيشون مع نساء من عالم الغاب لا من عالم الإنس. ولا شك أن هذا ضلال بعيد وإفك قديم. وقصتي مع قصيدة ، الزوجة الثانية نعمة لا نقمة ، بدأتْ منذ إعجابي ببعض أبياتٍ أوردها مُطيلاً بها المقدمة هذه عامداً لفائدتين: الأولى أن أثبت للقارئ الحبيب أنها كانت السبب في ميلاد قصيدتي ، والثانية لأثبت أنه لم يستطع أحد - فيما أعلم – أن يرد على الأعرابي صاحب الأبيات الآتية إما لاعتقاده بإثم تعدد الزوجات والعياذ بالله وإما لخوفه من غضب زوجه والناس والرأي العام عليه. والقضية احتاجت شاعراً فحلاً قوياً لا يخاف في الله لومة لائم. وكما استطاع الأعرابي أن يجهر بقصيدته التي لم تتجاوز الأبيات العشرة ويكون لها ذلك الصدى وردة الفعل الكبيرة ، لدرجة أنه ما من كاتب اليوم يجمع نوادر الشعراء العرب من كتب التاريخ والأدب إلا ويوردها فيما يورد هذه الأبيات في إثبات أن التعدد نقمة ، مثلما يورد الأبيات والمواقف التي يسخر بعض أصحابها من الكتاب والسنة والفقه الإسلامي والعياذ بالله! أقول: كما استطاع

الأعرابي أن يجهر بأبياته العشرة في ذم هذا الأمر وهو التعدد في زمان كان السمت العام فيه هو التعدد ، وأما الاستثناء فكان الاكتفاء بالزوجة الواحدة ، فإنه يتعين الآن أن يوجد شاعر من أعراب القرن الخامس عشر الهجري والقرن العشرين الميلادي يتعين أن يوجد شاعر من الأعراب المسلمين الموحدين اليوم ، يرد الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها مبيناً خطا الأعرابي الأول موضحاً بالدليل الواضح والحجة البالغة والبرهان القاطع والقريض المترنم الحادي أن التعدد هذا ، هو شعيرة من شعائر الحنيفية السمحة ، شاء الجاهليون الحمقى والعلمانيون الملاحدة والمنافقون الزنادقة والحداثيون أذناب الاستشراق والشيوعيون والرأسماليون وعبيد النساء المعاصرون ، أم أبوْا جميعاً. يتعين أن يوجد شاعر يرد الحق إلى نصابه في زمان صار فيه الزواج من الثانية جريمة شنعاء وداهية دهياء وإثماً عظيماً: (ومن أظلم مما افترى على الله كذباً أو كذب بآياته). ولقد جعل الله القول عليه بغير علم مرادفاً للشرك به ، يقول الله من سورة الأعراف (.....وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون). وأعرف ابتداء أن هذه المقدمة طويلة وتفصيلية ، ولازلت مصرّاً على إيضاح هذه القضية نثراً قبل تناولها شعراً ، وإن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله. أورد أبو علي القالي ج2 صـ 38 في كتابه الأمالي ، وابن عبد البر في بهجة المجالس ج3 ص42 حدثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قيل لأعرابي: من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم وتاب وأناب ، وأدرك ما يعانيه من يتزوج امرأتين ، فقال حاكياً عن نفسه وناصحاً غيره:

تزوجـــت اثنتـــين لفـــرط جهلـــي ... بمـــا يشـــقى بـــه زوجُ اثنتـــينِ

فقلـــتُ أصـــير بينهمـــا خروفـــاً ... أنعّـــم بـــين أكـــرم نعجتـــين

فصـــرتُ كنعجـــةٍ تُضـــحِي وتُمســـي ... تـــداوَل بـــين أخبـــث ذئبتـــين

رضـــا هـــذي يُهـــيّج سُـــخط هـــذي ... فمـــا أعـــرى مـــن احـــدى الســـخطتين

وألقـــى فـــي المعيشـــة كـــل ضـــر ... كـــذاك الضـــر بـــين الضـــرتين

لهـــذي ليلـــة ، ولتلـــك أخـــرى ... عتـــابٌ دائـــمٌ فـــي الليلتـــين

فـــإن أحببـــتَ أن تحيـــا كريمـــاً ... مِـــن الخيـــرات مملـــوء اليـــدين

وتـــدرك مُلـــك ذي يـــزن وعمْـــرو ... وذي جـــدنٍ ومُلـــك الحـــارثيْن

ومُلـــك المنـــذريْن وذي نـــوَاس ... وتبّـــع القـــديم وذي رُعَـــين

فعـــش عزبـــاً ، فـــإن لـــم تســـتطعْهُ ... فضـــرباً فـــي عِـــراض الجحفلـــين

ولأمانة النقل أقول بكل موضوعيةٍ وحَيدةٍ: لقد عثرت على رواية أخرى لبيته الأخير ، ألا وهي:

فعـــش عزبـــاً ، فـــإن لـــم تســـتطعْهُ ... فواحـــدة تكفّـــي عســـكرين!

وها نحن أولاء نردّ على الأعرابي نثراً وشعراً ، بما نعتقد أنه الحق ، وندين الله به ، وأجرنا وحسابنا على الله. يقول الله: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا). ويقول: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً). ومن خلال هاتين الآيتين نستطيع أن ندرك أن العدل في الآية 3 من النساء التي ذكرناها أولا يختلف عن العدل في الآية 129 من السورة ذاتها والتي ذكرناها أيضاً. فالعدل في الآية 3 هو القسمة الدنيوية في أمور العيش وتدبير أمور الحياة والنفقة واللباس والطعام والشراب وتقسيم الوقت! وهذا فيه مؤاخذة وحساب لأنه مستطاع ومقدور عليه ، فإن الله لا يكلف إلا بما هو مستطاع: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ، (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها). وأما العدل في الآية 129 فهو ميلُ القلب وغلبة العاطفة واتجاه الشعور ، وهذا غير مستطاع ، كما أنه لا مؤاخذة فيه ولا حساب عليه إذ لم يستطعه رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فكيف بمن هم دونه في الأفضلية والحق والقيام بأمر الله تعالى؟ روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم إن هذا قسْمي فيما أملك فلا تلمني فيما تلك ولا أملك). فلقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يميل إلى السيدة عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها - أكثر من غيرها من نسائه. وإذن فالعدل بمعنى ميل القلب والعاطفة لا يؤاخذ الله فيه ، لأنه إذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُعذر إلى الله تعالى بهذا الابتهال الذي رواه أبو داود في سُننه. فما بالنا بمن هم دونه: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، (والله يريد أن يخفف عنكم) ، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ، فلا يدَّعين مدع اليوم أنه وقد عدّد زوجاته ، قد استطاع العدل الذي هو ميل العاطفة والقلب والوجدان والخاطر والروح بين زوجيه! لأنه إن قال ذلك ، فيكون قد حقق ما لم يستطعه النبي. وهذا زعم مجرد زعم ، وافتراء مجرد افتراء. فما عبد أحدٌ رب العالمين من الناس أجمعين عبادة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم -! هذا ولقد عدّد كثير من الأنبياء والرسل نساءهم. ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – تزوج من اثنتي عشر امرأة. وأصحابه الكرام عددوا نساءهم ، ولا تزال كتب التراجم والسير والتاريخ تذكر عن كثير من الذين ذكرت تراجمهم وسيرهم ، أن فلاناً كان تحته أربع نسوة ، وفلان ثنتان ، وفلان ثلاث ، إلى غير ذلك. وقضية التعدد فيها كتاب جميل بديع رحم الله صاحبه هو (تعدد الزوجات) للعلامة / عبد الله ناصح علوان. وإذن فالأمر مأخوذ على أصل الإباحة شرعاً وتاريخاً ومنطقاً ، ومن هنا أدركنا جُرم مَن ينظرون إلى الموضوع في زماننا. فالتعدد في زماننا سُمي خيانة زوجية عظمى ، وظلماً للمرأة وجوراً على حقوقها وحيفاً على إنسانيتها وكرامتها. وكثير من النساء الجاهليات في زماننا يُرحّبن بأن يكون لزوج الواحدة منهن عشيقاتٌ وخليلاتٌ والعياذ بالله على منهج أهل الفن والتمثيل والغواية والعهر والرذيلة ، ولا يكون له زوجة ثانية على كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق الذي يزعمن أنهن من أتباعه! وكثير من النساء يُتوفى عنهن الأزواج ، وتعتبر الواحدة منهن أن من الإخلاص للزوج الميت هذا أن لا تتزوج بعده أبد الدهر! وهذا تنطعٌ كبير ولا شك. ويُستثنى من هذا الباب من تأيمت لتربي أولادها إن هي استطاعت ذلك. والحقيقة أن هذا الموضوع بحاجة لدراسة في كتب مثل: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والنصرانية والإسلام ، للأستاذ / أحمد عبد الوهاب. وكتاب: تعدد الزوجات في الإسلام ، للأستاذ أحمد محمد القاسمي. ولا يجب الحكم فيه فقط بالأهواء. وأيضاً كثير من الناس يرى أنه

لا يعدد على زوجته إلا رجل ابتلى بامرأة عاقر أو أخرى لا تطيعه أو ثالثة بها من العيوب ما الله به عليم ، أو يكون التعدد عنده من باب العقوبة للزوجة الأولى على ذنب ارتكبته في حق الزوج الفارس الهمام. والبعض يجعلون من تجارب التعدد الفاشلة قياساً على فشل التعدد كشعيرة من شعائر الإسلام! وإنه لمن باب السلامة الاكتفاء بواحدة فإنه أفضل. أقول: لو كان ذلك صواباً منهم لحكموا أيضاً على الزواج من الواحدة إنْ فشل كذلك على أن العُزبة أفضل منه (وإن هي إلا ألأهواء). وبعض المعدّدين يساعد أهل الجاهلية على هذا الاعتقاد من حيث لا يدري ، وكذلك بميله إلى الثانية وإهمال الأولى أو العكس. روى الإمام أحمد وأهل السنن عن أبي هريرة - رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال (من كان له امرأتان ، فمال إلى أحداهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط). وبعضهم يتعلل بالآية خطأ فيقول: (وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ، فنقول له: إن المعنى المراد والله أعلم وبعد مطالعة جمهرة من كتب التفسير: أي من خاف منكم ألا يحقق العدل الدنيوي الذي هو مستطاع من العدل والتسوية بين الزوجات في النفقة وكذا الطعام والشراب والغطاء والدواء والكساء والأيام فالأفضل لهذا النوع الاكتفاء بواحدة ، ولهذا الموضوع بسط مسهب طويل عريض متفرد في الصفحات العشر من 576: 586 من كتاب الظلال ، ذلك الكتاب الذى لا يعجب أهل التنطع والأهواء والزيغ لبعض الأخطاء والمزالق التي به والتي لا يسلم منها كتاب في الأرض اليوم مادام كتاباً في التفسير ، ورحم الله صاحب الظلال ، وتجاوز الله عن أخطائه ومزالقه وعثراته في الظلال وفي سائر كتبه ، ونفع الله بما قاله من الحق. وهناك أيضاً محاضرة في حكمة التعدد للأستاذ العلامة / محمد بن حسن الدريعي – حفظه الله –. وهناك تحليل للتعدد للأستاذ فوزي السعيد في تقديمه لتفسير سورة الحجرات المباركة. ويقطع كثير من المتنطعين بمنع التعدد لواقعة حدثت بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفاطمة ابنته وعلي زوج فاطمة - رضي الله عنهما - ، عندما أعلن علي عن خطبته جويرية بنت أبي جهل بن هشام فعلمتْ فاطمة فغضبتْ وأخبرت أباها – صلى الله عليه وسلم - وقالت فيما قالت: (يزعم الناس أنك لا تغضب لبناتك)! وهذا أبو الحسن قد خطب ابنة أبي جهل وأعد للنكاح. فقام رسول الله خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: (إنما فاطمة بضعة مني ، وإني لأخشى أن تفتنوها. ولا والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحدٍ أبداً) ، فعدل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - عن هذا الزواج وقال: لا آتي شيئاً تكرهه. ويكاد ابن حجر في الفتح أن يقطع بأن هذه كانت خصوصية لفاطمة فقط ، وليست تشريعاً يعمل بمقتضاه المسلمون. ونورد رواية حديث البخاري أولاً ، ثم نورد تعليق ابن حجر عليها: يروي البخاري في كتاب النكاح من الصحيح ، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول وهو على المنبر -: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبى طالب ، فلا آذن ثم لا آذن ، إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما هي بضعة مني ، يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها. ثم يعلق ابن حجر في الفتح قائلاً: (والذي يظهر لي أنه لا يبعد أن يعد هذا في خصائص النبي - صلى الله عليه وسلم – خاصاً بفاطمة – رضى الله عنها -. وأيضاً أن فاطمة كانت قد أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد واحدة ، فلم يبق لها أن تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر ممن تفضى إليه بسرها إذ حصلت لها الغيرة).هـ. أقول: وعلى هذا فحديث فاطمة هذا فيه خصوصية لها ولأبيها - صلى الله عليه وسلم – وهو حديث له مناسبته ومبرراته ولا يصح الاستشهاد به مطلقاً في منع التعدد ، لأن التعدد شرع الله لا ينسخ ولا يبطل العمل به إلا

بدليل من كتاب أو سُنة ، والتعدّد هِبة الله لعباده من أهل الإيمان والتوحيد ولا يعود العبد الكريم في هبته فكيف إذن بالله – عز وجل – ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض. ولا يجوز شرعاً ولا منطقاً أن تشترط زوجٌ تؤمن بالله واليوم الآخر على زوجها الذي تزوج من أخرى أن يطلق الثانية أو الأولى. روى البخاري وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والطبراني عن أسماء بنت أبي بكر – رضى الله عنهما – أن امرأة قالت: يا رسول الله ، لي جارة - أي ضرة – فكرهتْ أن تقول ضرة أفعليّ جناح أن أتشبّع من زوجي بما لا يعطيني؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور). وروى أبو داود في السنن وأخرجه النسائي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده) ، وأخرج البخاري والنسائي ومسلم والترمذي أن أبا هريرة - رضي الله عنه – قال – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - (لا تسأل المرأة طلاق أختها ، لتستفرغ صحفتها ولتنكح ، فإنما لها ما قدر لها). وبعض الهارفين بما لا يعرفون والناعقين بما لا يعقلون يقولون: وهل طبق الناس ما في القرآن والسنة من أحكام ولم يعد غير التعدد أمامهم؟ وهذه كلمة حق أريد بها باطل. إذ لو سار الناس عليها في كل شرائع الدين ومتطلبات العقيدة ولوازم التوحيد ومقتضيات الإيمان لما آمن بالله أحد وما اتبع دينه أحد. وبعض النسوة يُفضلن الطلاق على زوج تعيش معه إحداهن معدداً. وبعضهن تعتبر الزوجة الثانية عدواً ، وأن زوجها ما عدد إلا لأنه يكره الأولى وينشد اللذة والمتعة ، بعد أن كبرتْ وشاخت أم الأولاد ، ولم تعد قادرة بعدُ على عطاء اللذة الذي هو مطمحٌ من مطامح النكاح وغاية من غاياته وفق الشريعة الغراء. أقول: لا مانع من الغيرة المعقولة المنضبطة بضوابط الشرع والمعتصمة بعواصم الكتاب والسنة ، ولكن أن تقود الغيرة المرأة إلى أن تكره ما أنزل الله من التشريع فهذه ردة صريحة عن الإسلام ، عندنا من الله فيها دليل وبرهان (طبعاً بعد قيام الحجة الرسالية التي يكفر تاركها! يعني المسألة مسألة توافر شروط وانتفاء موانع). فأمهات المؤمنين كن يغرن وما قادتهن الغيرة يوماً (وحاشاهن) إلى كراهية الدين ، يقول الله: (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر). وصارت عقيدة عند كثير من النسوة اليوم أن الزوجة الثانية خيانة وافتراء وشهوانية وجريمة ، كما صار مثالياً من لم يعدّد ، وإنما حافظ على زوجته الواحدة وأولاده وبيته وأسرته! وصار زوجاً خائناً من عدّد فتزوج من الثانية ، ولم يعد مقياس الحكم على الزوج المثالي الناجح الذي هو مطمح كل فتاة ، أنه الذي يحافظ على دينه وعقيدته ويحافظ على أهل التوحيد والإيمان ، ويأخذ أسرته بأوامر الكتاب والسنة ، ويتعهدها بالنصيحة والوعظ والإرشاد. يقول الأستاذ حمدي شفيق عن تعدد الزوجات في كتابه: (شبهات حول المسلمات) ما نصه: (من أكثر الانتقادات شيوعًا على ألسنة المُغْرِضين أن الإسلام جاء بتعدد الزوجات لمصلحة الرجال على حساب النساء ، وهو بذلك يلبي شهوات الرجل بينما ينتقص من حق المرأة في المعاملة بالمثل ، ويهدر كرامة الزوجة التي يقترن زوجها بأخرى أو أخريات ، ولا يعبأ بمشاعرها ، إلى آخر تلك الادعاءات. وليس أيسر من تفنيد تلك الأقاويل الباطلة بحقائق التاريخ والعلم والواقع المشهود أيضًا. فمن الناحية التاريخية: نلاحظ أولًا أن تعدد الزوجات نظام عرفته البشرية منذ فجر التاريخ وقبل مجيء الإسلام بآلاف السنين. ولم تكن هناك أية ضوابط من أي نوع بالنسبة للرجل الذى يهوى إقامة علاقات نسائية ، لا من حيث العدد ، ولا معاملة الزوجات أو الأولاد ، ولا حتى التزام أي معيار من معايير العدالة بين نسائه. فقد عرف الفراعنة تعدد الزوجات والمحظيات بلا حدود. وعلى

سبيل المثال كان للفرعون الشهير رمسيس الثاني 8 زوجات وعشرات المحظيات ، وأنجب منهن أكثر من مائة وخمسين ولدًا وبنتًا ، وأسماء الجميع منقوشة على جدران المعابد ، وأجساد بعضهن موجودة حتى الآن بالمتاحف. وكانت لفرعون موسى عِدَّة زوجات منهن السيدة آسية - رضي الله عنها - التي ربّت موسى - عليه السلام - وكانت قد احتضنته رضيعًا ومنعت فرعون من قتله لتتخذه ولدًا. وكذلك كان تعدد الزوجات شائعًا على أوسع نطاق لدى الفرس والرومان والشعوب ذات الأصل السلافي مثل: الروس ، والصرب ، والسلوفاك ، والشعوب الجرمانية والسكسونية مثل: الألمان وسكان النمسا ، وسويسرا ، وبلجيكا ، وهولندا وإنجلترا ، والنرويج. وكان التعدد - وما يزال - منتشرًا عند طائفة المورمون بأمريكا وشعوب وقبائل غير مسلمة مثل: الوثنيين في أفريقيا ، والهندوس ، والصينيين ، واليابانيين (يمكن معرفة المزيد عن تعدد الزوجات والجواري في الشعوب والممالك القديمة بالرجوع إلى الموسوعات التاريخية ومنها: "قصة الحضارة" ؛ وول ديورانت - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة زكى نجيب محمود ومحمد بدران وآخرين - مكتبة الأسرة). وفي كل شرائع الأنبياء قبل نزول القرآن الكريم على محمد - صلى الله عليه وسلم - كان التعدد مشروعًا وبلا حد أقصى لعدد الزوجات أو الجواري. فقد تزوَّج أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - سارة وهاجر ، ثم اثنتين أخريين هما قطور ابنة يقطان الكنعانية وحجون بنت أهيب وهي عربية أيضًا. وتقول مصادر أهل الكتاب أن يعقوب - عليه السلام - تزوج ابنتي خاله لابان وهما "ليا" و"راحيل" معًا ، ثم عاشر أيضًا جاريتين لهما وأنجب من النساء الأربعة الأسباط وعددهم اثنا عشر ولدًا. ولا يمكن لأحد إنكار ما أورده العهد القديم عن داود وسليمان - عليهما السلام - إذ تقول مصادرهم أن داود تزوج مائة امرأة ، بينما تزوج ولده سليمان ثلاثمائة امرأة وكانت له سبعمائة جارية بالإضافة إلى زوجاته (انظر التفاصيل في: "قصص الأنبياء" ؛ للإمام ابن كثير وقصص الأنبياء المسمى "عرائس المجالس" ؛ للثعلبي و"تاريخ الرسل والملوك"؛ للطبري). وهذه الأرقام الهائلة لا يجدون فيها أية غرابة ، بينما يتصايحون لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوج 11 سيدة معظمهن أرامل ومطلقات وبعضهن كن أكبر منه سنًّا! لماذا تقبل عقولهم أن يتزوج نبي ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية – أي ألف حليلة – بينما يستنكرون زواج أخيه محمد بإحدى عشر؟! إنه الحقد على نبي الإسلام فقط لا غير! كما ذكروا أيضًا أن رحبعام بن سليمان تزوج 18 وكانت له ستون جارية أي كانت له 78 حليلة! وكذلك كان تعدد الزوجات منتشرًا في جزيرة العرب قبل الإسلام. وعلى سبيل المثال أسلم غيلان الثقفي وعنده عشر زوجات فأمره النبي - عليه السلام - باستبقاء 4 وتطليق الباقيات ، والحديث رواه البخاري. وروى أبو داود أن عميرة الأسدي أسلم وعنده 8 زوجات ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له: "اختر منهن أربعاً". وفي مسند الشافعي أن نوفل بن معاوية الديلمي كانت له خمس زوجات قبل الإسلام ، فلما أسلم قال له النبي - عليه السلام -: "اختر أربعًا أيتهن شئت وفارق الأخرى". ولا يوجد نص في الإنجيل على تحريم التعدد ، وكل مَن يزعم ذلك من النصارى فإنه يكذب ، بل يكفر بدينه الذي يوجب عليه الإيمان بأنبياء العهد القديم ، وكلهم كما رأينا أباحوا التعدد وطَبَّقُوه بأنفسهم عليهم السلام أجمعين. وقد أجازت الكنيسة للملك شارلمان الزواج بعدة نساء في وقت واحد وأنجب منهن. وحتى الآن تمارس طائفة المورمون المسيحية في أمريكا - كما قلنا – تعدد الزوجات بلا حصر ولا عدد ولا ضوابط من أي نوع كان. ومن الناحية العلمية فقد أكد علماء النفس والاجتماع في الغرب أن الرجل بطبعه

وتكوينه مفطور على حب التعدد. ولذلك أكَّدوا عدم صلاحية نظام الزوجة الواحدة للبقاء والاستمرار. والواقع يثبت أن كثيرًا من الرجال لا يكتفي بامرأة واحدة. والدليل القاطع هو ما نراه في الغرب من فوضى جنسية عارمة. فإذا كانت القوانين هناك تمنع تعدد الزوجات ، فإنها تبيح تعدد العشيقات والشذوذ الجنسي بشتى صوره وأشكاله وأنواعه! وتكفي نظرة عابرة على ما تنشره وسائل الإعلام في أوروبا وأمريكا عن فضائح الزعماء هناك وعشيقاتهم. وعلى سبيل المثال أحصى الصحفيون الأمريكان مائة عشيقة للرئيس الأسبق بيل كلينتون طوال مراحل حياته المختلفة. واضطر الرئيس الفرنسي ساركوزي إلى تطليق زوجته بعد انتخابه رئيساً لفرنسا والزواج من عشيقته حرصًا على منصبه ، بعد أن فجَّرت الصحف الأوروبية فضائحه معها! وكذلك كان الحال مع معظم قادة أوروبا وأمريكا والصين. (وللمزيد من التفاصيل عن عشيقات زعماء الغرب في كتاب "زوجات لا عشيقات التعدد الشرعي ضرورة العصر" طبعة القاهرة 1995م. ويمكن تنزيله مجانًا من شبكة الإنترنت من عدة مواقع إسلامية على رأسها الموقع الممتاز صيد الفوائد وموقع المكتبة الإسلامية ، وموقع المنشاوي للبحوث وموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنَّة وموقع ابن مريم وموقع مكتبة النبع الصافي وغيرها). فأين هذا الدنس والانحلال من طهارة ونقاء الإسلام الذي يضبط التعدد بعدم جواز الزيادة على أربع زوجات؟ وبشروط مشدّدة هي: القدرة على إعالتهن والعدل بينهن في كل شيء وإلا كان عليه الاكتفاء بواحدة فقط. وتثبت كل الإحصائيات في العالم الآن عظمة التشريع الإسلامي في إباحة التعدد بشرط العدل. ففي معظم دول العالم هناك زيادة خطيرة في أعداد النساء بالمقارنة بأعداد الرجال. والفجوة تزداد بين أعداد الجنسين عامًا بعد الآخر بسبب الحروب المجنونة التي تفتك بملايين الرجال سنويًّا في مختلف أنحاء العالم. ففي الولايات المتحدة الأمريكية يزيد عدد النساء على عدد الرجال بأكثر من 10 ملايين امرأة. وفي بريطانيا 5 مليون امرأة زيادة على أعداد الرجال. وفي ألمانيا بلغت النسبة 3 نساء لكل رجل بعد الحرب العالمية الثانية. وفي لبنان الآن نسبة عدد النساء إلى عدد الرجال هي 5 إلى 1 بسبب الحروب الطاحنة ، وهجرة الذكور للعمل والاستقرار بالخارج وغالبًا ما يتزوج الشاب في البلد الذي يهاجر إليه ويستقر به. ويزيد عدد النساء على عدد رجال الهند بأكثر من 50 مليون امرأة. وفى روسيا يزيد عدد النساء على عدد الرجال بعشرين مليون امرأة مما دعا رئيس الحزب الشيوعي الروسي المتطرِّف إلى المطالبة باستحداث تشريع هناك يسمح بتعدد الزوجات لعلاج الخلل الاجتماعي الخطير. لاحظ أن هذا الرجل مُلحد ، ولكنه لم يجد حلا آخر أفضل مما جاء به الإسلام! وأصدر رئيس الشيشان قرارًا جمهوريًّا يسمح بالتعدد للتغلب على مشاكل النقص الحاد في أعداد الرجال. وهو ما فعله أيضًا برلمان جمهورية أنجوشيا – إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق – إذ أقرَّ قانونًا منذ بضع سنوات أباح تعدد الزوجات هناك ، للتغلب على الخلل الخطير في العدد بين الجنسين الذي بلغت نسبته 3 نساء لكل رجل. وذات الخلل موجود أيضًا في الفلبين وأفغانستان والبوسنة والهرسك التي كان الصرب يذبحون الرجال فيها ويتركون النساء لاغتصابهن. وفي العراق أظهرت آخر الإحصائيات الرسمية أن النسبة هي رجل واحد لكل ستة نساء ، وبلغ عدد الأرامل هناك أكثر من 3 مليون أرملة بسبب الحروب الطاحنة المستمرَّة منذ ما يقرب من 30 سنة ، فضلاً عن 5 ملايين من الأيتام. وفى هونج كونج النسبة هي رجلان لكل خمس نساء طبقًا للإحصائيات الرسمية. ونسأل كل مَن يعارض التعدد: كيف يمكن حل هذه الكارثة الاجتماعية في العراق مثلاً بدون التعدد؟! ثلاثة ملايين أرملة

معظمهن في سن الزهور ، وبحاجة إلى رجل بأسلوب مشروع نظيف ، كما يحتاج أطفالهن إلى رجل صالح يلعب دور الأب الشهيد ويعوضهم ما فقدوه من حنان ورعاية ودفء الأبوَّة التي لا غنى عنها مطلقاً من كل النواحي النفسية والاجتماعية والاقتصادية أيضًا لأي طفل. وتشير الإحصائيات كذلك إلى ارتفاع خطير في معدلات العنوسة المتزايدة في الدول العربية والأسيوية والإفريقية. وتتراوح النسبة بين 35% إلى 50% في دول الخليج وشمال إفريقيا. كما تتزايد معدلات الطلاق بصورة خطيرة. وكل هذا من شأنه ارتفاع أعداد النساء الوحيدات اللاتي بحاجة إلى الزواج. وقد نُشرت مؤخرًا أبحاث عملية متواترة في الغرب أجمعت على أن كروموسوم يتسبب فى إنجاب الذكور في تناقص حادٍّ مستمر جيلاً بعد الآخر. وهذا يتسبب - كما هو مُشاهد الآن – فى تزايد أعداد المواليد من الإناث ، وتناقص أعداد المواليد من الذكور. وهو دليل جديد على عظمة تشريع الإسلام في إباحة التعدد للتغلب على مشكلة تناقص الذكور. وهو ما يثبت أيضًا صدق ونبوة خاتم المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أخبرنا منذ 14 قرنًا بهذه الظاهرة في حديث صحيح عن علامات الساعة ، ذكر منها تناقص أعداد الرجال وتزايد أعداد النساء ، حتى يكون للرجل الواحد خمسين امرأة (رواه البخاري ومسلم) وهو ما تؤكد كل الشواهد والحقائق العلمية والواقعية أننا في الطريق إليه بالفعل! ولو سألنا أية امرأة شريفة عاقلة: هل تفضّلين الحياة كزوجة ثانية أو ثالثة مع العدل وكفالة حقوق متساوية لك ولأولادك مع الأخريات وأولادهن أم كعشيقة في الظلام لا حقوق لك ولا لأولادك؟! أعتقد أن الجواب بالقطع هو تفضيل الزواج ولو مع أخريات. بل أكدت نساء كثيرات في إحصائيات واستطلاعات جرت في مصر ودول عربية أخرى أنهن يفضلن الاقتران برجل متزوج بشروط العدل ، على حياة العزوبة الموحشة البائسة. وهناك ملايين من الزوجات العاقرات غير القادرات على الإنجاب وكذلك المريضات والطاعنات في السن. وليس من المروءة في مثل هذه الأحوال أن يطلِّقها الزوج بعد سنوات طوال من العشرة. والأكرم والأنبل أن تظل هذه العاقر أو المريضة أو العجوز زوجة مُعزَّزة مُكرَّمة ، وأن تأتى إلى جانبها أخرى للإنجاب وتلبية رغبات الزوج المشروعة وخدمة الأسرة مع حصولها على حقوق مساوية للأولى. ويقرر كبار علماء الاجتماع والمؤرخون من غير المسلمين – مثل وسترمارك وهوبهوس وهيلير وجنربرج – أن التعدد ينتشر فقط بين الشعوب التي بلغت قدرًا كبيرًا من الرقي والحضارة وليست الشعوب البدائية. فقد عرفت تعدد الزوجات كل الشعوب التي استقرَّت في وديان الأنهار ومناطق الأمطار الغزيرة ، وتحولت إلى الزراعة المنتظمة بدلاً من صيد الحيوانات وجمع ثمار الغابة. ويؤكد هؤلاء العلماء أن نظام تعدد الزوجات آخذ في الاستمرار ويتسع نطاقه كلما تقدمت البشرية خطوات إلى مزيد من التحضر والتطور والتقدم العلمي ، خلافًا لما يظنه بعض الحاقدين على الإسلام الذين يزعمون أن التعدد ظاهرة متخلفة انقضى زمانها وفات أوانها. ويرى المفكر الفرنسي الكبير جوستاف لوبون أن نظام التعدد الذي أقَرَّه الإسلام هو أفضلُ حلٍّ ممكن لضبط العلاقات بين الجنسين. وذكر لوبون في كتابه "حضارة العرب": أن التعدد كان موجودًا قبل الإسلام ، وأن أحوال المسلمات أفضل كثيرًا من أحوال الأوروبيات". وقال المفكر الإنجليزي لايتنر: أن التعدد يقلل قطعًا من أعداد البغايا والمواليد غير الشرعيين وتندر معه الأمراض الجنسية المنتشرة في الغرب. وأشاد المفكر الفرنسي رينيه بتعدد الزوجات الإسلامي لذات الأسباب ، ونظن أن شهادات هؤلاء العلماء والمفكرين - وهم من غير المسلمين – هي أكبر دليل على بُطلان دعاوى المغرضين. لقد جاء الإسلام ليضبط العلاقات بين الجنسين ، ويقضي

على الفوضى الجنسية والاجتماعية ، فمنع الزيادة على 4 زوجات في وقت واحد. وتظهر عظمة الإسلام في وضع حدٍّ أقصى على ضوء ما نراه عند الآخرين مثل طائفة المورمون المسيحية الأمريكية التي لا تضع أي ضوابط على تعدد الزوجات. ويكفى أن نشير إلى ما نشرته وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية مؤخرًا من ضبط رجل أمريكي من المورمون لديه تسعون امرأة ، ولم يكتفِ بمعاشرة نسائه التسعين بل اغتصب ابنته أيضًا! ولولا ارتكابه جريمة اغتصاب ابنته ما قبضت عليه الشرطة! (والقصة منشورة في موقع شبكة سي إن إن على الإنترنت باللغة العربية. وقصص المسلمين والمسلمات الجدد يوجد آلاف منها في عدد من - وهذا مكفول للكل! المواقع الإسلامية الجيدة عبر الإنترنت مثل موقع القرآن الكريم هو موقع(www.todayislam.com) وموقع (www.islamway.com) الكتاب السماوي الوحيد الذي نص على حظر التعدد في حالة "مجرد الخوف" من عدم تحقيق العدالة بين الزوجتين. قال – تعالى -: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} ، والأمر الإلهي في الآية الكريمة صريح في وجوب الاكتفاء بزوجة واحدة إذا خاف من عدم العدل. وأكدت كل الإحصائيات في أوروبا وأمريكا أن الإسلام هو أسرع الأديان انتشارًا في العالم. ويعتنق الملايين من الناس الدين الإسلامي كل عام عن اقتناع تام بعد دراسات عميقة متأنية. والطريف الذي ذكرته وسائل الإعلام الغربية أن أكثر من 80% من هؤلاء الذين يعتنقون الإسلام هم من النساء. ويعني هذا بوضوح أنه مقابل كل رجل يعتنق الإسلام هناك أربع من النساء المسلمات الجدد. ومن المعلوم من الإسلام بالضرورة أنه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بشخص غير مسلم. فإذا كانت المسلمة الجديدة لا تستطيع الهجرة أو الانتقال للحياة في بلد إسلامي ، فإنها تكون أمام عدة خيارات أحلاها مرير شديدة المرارة. فإما أن تظل وحيدة وتدفن شبابها وأحاسيسها ، وتعاني كل أنواع الأمراض النفسية والعصبية والبدنية الناجمة عن العنوسة والكَبْت والحرمان طوال حياتها ، أو تقع في الحرام بمعاشرة جنسية خارج إطار الزواج ، وهو ما يحظره الإسلام تمامًا ، أو تسقط فريسة للشذوذ وهو محظور كذلك. وهكذا فإنه لا يوجد حل نظيف طاهر أمام ملايين من المسلمات الجدد في الغرب أفضل من قبول تعدد الزوجات مع العدل وكفالة كل الحقوق المتساوية لهن ولأطفالهن. والله وحده أعلم بما يُصْلِح حال خلقه أجمعين. ولقد بدأت الكثيرات من المسلمات في الغرب يدركن أهمية التعدد الإسلامي ونُبْل مقاصده وضرورته المتزايدة ، وهناك حالات كثيرة قبلت فيها مسلمات جدد الاقتران بمسلم متزوج بالفعل ، بعد أن أدركن أنَ هذا هو أفضل وأكرم الحلول لهن(5). ويحاول المشكِّكون النيل من نظام التعدد بادعاء أن تحقيق العدل بين الزوجات مستحيل ، ويقتطعون جزءًا من الآية 129 من سورة النساء ، ويتجاهلون الباقي على طريقة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ} ، دون ذكر باقي الآية: {وَأَنْتُمْ سُكَارَى} فتكون النتيجة قلب المعنى تمامًا وتفسير الآية على خلاف ما أراد الله - تعالى – بها ، والله أعلم بمراده. يقولون: لقد قال القرآن صراحة: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} ، ويتجاهلون بقية الآية: {فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (انظر تفسير الآية 129من سورة النساء عند ابن كثير، والطبري، والظلال ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، والجصّاص ، والنسفي ، والبيضاوي، والشوكاني ، والسعدي ، وغيرهم). والمعنى كما قال المفسّرون: أن العدل المطلق بين الزوجات في الميل القلبي مستحيل ، فالقلوب بيد الله يُصرِّفها كما يشاء ، فيكفي الزوج أن يبذل قصارى جهده في العدل بينهن في كل الأمور المادية بما فيها النفقة والمبيت وحتى القُبْلة

والابتسامة. أما الميل القلبي فيمكنه أن يحاول التحكُّم فيه حتى لا يؤدي به إلى ظلم إحداهن وهجرها تمامًا ، فتكون كالمُعَلَّقة لا هي بُمطَلَّقة يمكنها الزواج من آخر ولا هي بزوجة تحصل على حقوقها. هذا الميل الكامل بشكل ظالم لإحداهن هو المنهي عنه ، وليس معنى الآية أن التعدد ممنوع ؛ لأن العدل التام مستحيل ، فكما قال صاحب الظلال - رحمه الله - في الظلال: "شريعة الله ليست هازلة لتأخذ بالشمال ما أعطته باليمين". ونضيف إلى ما قاله: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقسم بين زوجاته فيعدل في كل الأمور المادية ، وكان الجميع يعلمون أنه يحب عائشة أكثر لكنه لم يظلم الأخريات ، وكان يسأل ربه العفو وعدم المؤاخذة بالميل القلبي ، لأنه ليس بيد الإنسان. ألا تلاحظ أن الإنسان يميل قلبه إلى بعض أولاده أكثر من بعض رغم أن الكل فَلَذَات كبده ، فهل نادى أحد بمنع الإنجاب خشية عدم تحقيق العدل بين الأولاد؟! وباقي الآية الكريمة يثبت ذلك ، فقد نهى الله - تعالى - عن "الميل" بشكل كامل إلى إحداهن ، وأرشد الزوج إلى مقاومة هذا الميل إلى إحداهن ، وكبح جماحه حتى لا يتسبب في تحويل المرغوب عنها إلى مسجونة أو مهجورة ، لا هي تحصل على حقوق الزوجة، ولا هي مُطَلَّقة فيمكنها الزواج بآخر يعطيها ما حرمها منه الأول المشغول عنها دائمًا بأخرى. ولو كانت الآية تحظر التعدُّد لعدم إمكان تحقيق العدل المطلق حتى في المشاعر ، لما وعد الله - سبحانه - في آخر الآية من يصلح ويتقي بالمغفرة والعفو عن بعض الميل القلبي الذي لا يملكه الإنسان: "وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورًا رحيمًا". ونلمس في هذه الآية العظيمة تهدئة لروع الرجل وإخبارا له أنه لا سبيل أمامه إلى تحقيق العدل بين زوجاته بشكل كامل. والمعنى هو: لا تخف وابذل ما في استطاعتك لإسعاد زوجاتك والعدل بينهن بقدر ما تستطيع ، وسوف يتجاوز الله بكرمه وإحسانه عن القدر الذي ليس في وسعك ويغفره لك. ومن الثابت أن العدالة المطلقة هي الإلهية ، أما العدالة البشرية فهي دائماً ناقصة ، لأن الناقص لا يمكنه الإتيان بالكمال ، والله أعلى وأعلم. وعلى كل حال تملك الزوجة الحق في طلب التطليق لعدم العدل ، وعلى القاضي أن يحكم لها بالتطليق إذا ثبت وقوع ضرر عليها خاصة في حالة ثبوت ظلم الزوج لها بعدم المساواة بينها وبين زوجته الأخرى. كما يحكم لها بالخُلع - وهو طلقة بائنة - طالما رَدَّت إلى زوجها ما دفعه لها من مهر ، لأنه ليس من العدل أن تحتفظ هي بالمهر رغم إقدامها على هدم الزوجية بالخُلْع. والفرض هنا أن الزوج لم يرتكب خطأ ما بل هي التي تريد الفراق وتسعى إليه كما سيأتي عند الكلام عن الخلع. ونرد على من يستنكرون عدم السماح للمرأة بتعدد الأزواج أيضًا بسؤال: من سيكون الأب لأطفال تلك المرأة التي تضاجع عدة أزواج في وقت واحد؟! وما هو الحل إذا كان كل واحد من أزواجها يريدها لفراشه في ذات اللحظة؟! ومَن هو الذي سيدير دفة الأمور في مثل هذا المنزل الذي لا يُعرف له قائد أو مدبِّر لشؤونه؟! ثم يأتي العلم الحديث ليثبت دومًا عظمة الإسلام ، وصواب منهجه الإلهي المحكم. فقد أثبتت أحدث الأبحاث الطبية في الغرب أن المرأة التي يعاشرها أكثر من رجل في وقت واحد تُصاب غالبًا بسرطان المهبل أو سرطان الرحم بسبب اختلاف الحيوانات المنوية وتنافرها. ولا نظن أننا بحاجة إلى الكلام بعد هذه الأبحاث المُوثَّقة التي أجراها علماء من غير المسلمين. وقد رفض علماء النصارى تعدد الأزواج للمرأة الواحدة. وعلل القديس أوجستين ذلك بأنه "لا يكون للمرأة سيدان". وليس صحيحًا أن التعدد يتم ضد إرادة المرأة ولا ضد مصلحتها. فإن الزوجة الأولى إذا لم تضع شرطًا في عقد الزواج يمنعه من الزواج بأخري ، فإن هذا يعنى ضمنًا قبولها ما هو معلوم بالضرورة من إباحة الزواج من أخرى مع العدل ، فيجب عليها

احترام ذلك بموجب العقد الذي وافقت عليه. ولو كانت حريصة على رفض التعدد لوضعت شرطًا يمنعه من ذلك ، ويكون عليه احترام هذا الشرط إن وُجد. وأما الزوجة الثانية - أو الثالثة أو الرابعة - فمن الواضح تمامًا أنها تقبل الزواج من رجل تعلم أنه متزوج بالفعل ، والزواج الثاني - أو الثالث أو الرابع - يكون باطلاً إذا تم بدون رضاها وموافقتها كما ذكرنا في فصل "مودة ورحمة". فلماذا يلومون الرجل ولا يلومون المرأة التي وافقت على الزواج منه مع علمها بأنه متزوج بالفعل؟! ثم إن هذه الزيجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة إن كانت تضرّ - بعض الضرر- بالزوجة الأولى ، فإنها بالقطع تحقق فوائد مؤكدة للمرأة التي تقبل الزواج من رجل متزوج ، فهي تضمن عائلاً لها ولأطفالها إن كانت أرملة أو مُطلَّقة ، وتضمن زوجًا يحقق لها المقصود من الزواج بالسكون النفسي والعاطفي والجنسي ، ويُعفُّها الله به عن العلاقات المُحَرَّمة. والقاعدة المعلومة هي ارتكاب أخف الضررين. ولا شك أن شعور الزوجة الأولى ببعض الغيرة والألم النفسي يظل أخف بكثير من ضياع أرملة أو مُطلَّقة أو عانس فاتها قطار الزواج ، ومُهَدَّدَة بالحرمان من الحلال إلى نهاية العمر. وعلى ضوء ذلك نسأل الخصوم: ألا يحقق التعدد مصالح مؤكدة للزوجات الجدد وهن نساء أيضاً؟! وقد أدركت بعض النساء الصالحات الذكيّات هذه المصالح العظمى التي يحققها نظام التعدد الشرعي للملايين من بنات جنسهن الوحيدات في كل مكان ، فقمن بتبني الدعوة إلى تطبيق تعدد الزوجات على نطاق واسع. ومثال ذلك جمعية أسستها في مصر الإعلامية المصرية السيدة هيام دربك - وهي متزوجة - واختارت لها شعارًا طريفًا يقول: "امرأة واحدة لا تكفى!". لاحظ أن الجمعية أسستها امرأة وليست رجلاً ، وأن معظم أعضائها من النساء! وأكَّدت السيدة هيام ضرورة تطبيق نظام تعدد الزوجات كما جاء به الإسلام للقضاء على مشكلة العنوسة في المجتمعات العربية التي تهدد عشرات الملايين من الفتيات بفقدان الفرصة في تكوين أسرة والحرمان من الأمومة إلى الأبد. وتأسست في الأردن جمعية نسائية مماثلة تناشد الرجال ممارسة تعدد الزوجات رحمة بملايين العوانس والأرامل والمُطلَّقات. وفي الكويت أرسلت مئات الفتيات اللاتي تجاوزن سن الـ30و35 بدون زواج خطابات بريدية إلى مئات الزوجات يناشدنهن فيها التكرُّم بقبول زواج رجالهن من أخريات مع العدل للقضاء على مشكلة العنوسة التي استفحلت لدرجة خطيرة في الكويت. والطريف أن نساء أمريكيات أسلمن مؤخرا قمن بتأسيس جمعية مماثلة تدعو إلى تطبيق ونشر ثقافة تعدد الزوجات في أمريكا ، وبلغ عدد عضوات الجمعية حتى الآن أكثر من 900 امرأة! وبناء على هذا نقول لخصوم التعدد: ها كم شاهدات من النساء على عظمة الإسلام في تشريع التعدد رحمة بهن وحلاً لمشاكلهن ، ومَن لا يعجبه ما نقول فليتوجه إليهن وليجادلهن ما شاء ، وأظن أنه لن يكسب المعركة بأي حال! (تفاصيل أخرى عن تعدد الزوجات في الإسلام في كتاب: "زوجات لا عشيقات ، التعدد الشرعي ضرورة العصر").

وليس صحيحًا ما زعمه البعض من أن الأصل في الكون هو وحدة الزوجة لأن آدم - عليه السلام - لم يتزوج سوى حواء. ونرد عليهم بأن الأصل - بهذا المنطق غير الدقيق - ليس الزواج بواحدة بل العزوبة. لأن آدم - عليه السلام - خلقه الله أولاً ، وظل فترة من الزمن وحيدًا. فهل نقول بناء على ذلك أن الأصل هو عدم الزواج؟! وقد أباح الله لآدم أن يزوّج أولاده من بناته ، فكان ابن آدم يتزوّج أخته التي ولدت في بطن آخر وليست معه في ذات البطن. فهل نقول أيضًا استنادًا إلى ذلك أن الأصل هو إباحة زواج الأخ من أخته الشقيقة؟ أم أن هذه كانت حالة ضرورة فقط لعدم وجود بشر غيرهم ، ثم حَرَّم الله - تعالى - زواج الأخت بعد أن تكاثر

البشر؟! بل إن الاستدلال هنا لمصلحة أنصار التعدد وليس خصومه. لأن هذا يؤكد أن تعدد الزوجات جاء في سياق التطور الطبيعي للبشرية وكلما تقدمت الحضارة الإنسانية وازدهرت وتكاثر البشر سوف تزداد الحاجة إلى التعدد ويتسع نطاق تطبيقه بمرور الزمن. وأخيرًا فإن الأصل عندنا هو ما كانت عليه الأغلبية الساحقة من الأنبياء والمرسلين وهو تعدد الزوجات. ومَن لا يعجبه أسلوب حياة سادة البشر فلا فائدة من الكلام أو الحوار معه أصلاً! أم يظن أولئك أن الرسل - وهم خير خلق الله - قد فعلوا خلاف الأصل أو خلاف الأولى).هـ. وأخيراً أهدي القصيدة برُمتها: مقدمتها ونصها الشعري للأستاذ والداعية الفاضل والمربي الكبير ومن أصحاب الفضل علينا بعد الله الأخ / أبي إسحاق الحويني السلفي الأثري حفظه الله ، إذ أكاد أقطع أنه من الأساتذة المعدودين الذين عالجوا قضية التعدد من الناحية التبليغية والوعظية ومن الناحية الواقعية العلمية ، وكنتُ قد تأثرتُ به في أكثر من موقف وهو يعالج مسألة تعدد الزوجات ، وكان مما أثلج صدري وأظن صدور من سمعوا مثلي حديثه عن تجربته الشخصية الناجحة في التعدد! ومن هنا جعلتُ من النص الشعري حكاية تدور على لسانه ، إلا ما كنت أخاطبه به مما تتطلب ضرورة التأليف الشعري والحبكة الموضوعية التي هي حتمية في أي قصيدة. فكما دارت قصيدة الأعرابي على لسانه وكأنه يحكي لنا حاله مع التعدد الفاشل! كان أبو إسحاق الحويني يحكي تجربته مع التعدد الناجح شارحاً لنا موقفه من الزواج الثاني يُرجع معنا الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها ، في مسألة زلت فيها أقدام وضلت فيها أفهام! وأعتذر عن طول المقدمة ، وكل قارئ منصف الآن أظنه أدرك لماذا هذا الطول المتعمد. إنه لتفصيل المسألة وتأصيلها فقهياً وعلمياً! ولئلا يقول قائل إنني أخوض في دين الله بغير علم ولا هدىً!)

77 - السحاب الهزيل

(إن الكتابة مسؤولية عظيمة ، وأمانة يسأل الله الكاتبين عنها يوم القيامة. ومن هنا أخذتُ على نفسي عهداً مع ربي أنني منذ كتبت في جريدة (الوحدة العربية) وكان لي شرف إخراج الصفحة الأدبية التي عنوانها: (دوحة الوحدة الشعرية) ، والتي كانت تعنى بشؤون الشعر العربي الأصيل ، ثم تطور العنوان بعد ذلك إلى: (دوحة الوحدة الأدبية) ، لتعنى بشؤون الأدب بكل فروعه ومفرداته - أنني لا أكتب أبداً ما يخدش الحياء ، أو ينال من القيم ، أو يرفع الباطل أو يستهزئ بالحق ، أو يوصّل لأفكار هدامة حقيرة ، لا تنصر الحنيفية السمحة. وكنت في كل مقال ، أو قصيدة شعرية ، أتذكر العهد والوعد ، ولا أخل بهما مهما كانت الظروف. إن الكتابة لا تنتهي رسالتها عند القلم والقرطاس ، بل فرادى الناس وعقولهم وأفكارهم ومستوى تفكيرهم وضمائرهم وأولادهم وبناتهم ونساؤهم ، كل ذلك أمانة نسأل عنها يوم القيامة. وأوصي كل كاتب أن يعلم أنه مسؤول. والحقيقة أن أغلب أفكاري كانت مجموعة من الآراء النقدية المتناثرة في الأوراق كانت قد سطرت في أكثر من كتاب وصحيفة وجريدة ومجلة ودورية وحولية ، في الرد على المغرضين المنحرفين الهارفين بما لا يعرفون ، ورحت أتابعها بذهول ودهشة ، وأعجب كيف يفكر مخلوق بمثل هذه الأشياء وبهذه الطريقة. ما أكثر من يكتبون اليوم ، ومعظم مقالاتهم هراء في هراء ، وضلال في ضلال. وأكتب اليوم (السحاب الهزيل) في الرد على مقالة مهترئة لأحد الساقطين! إن الآراء التي قرأت ليست بحق إلا ترجمة عملية ، للسقوط الذي يخيم على بعض البشر ، الذين انعكست لديهم المفاهيم والتصورات.

فرأى أصحابها الباطل حقاً ، والحق باطلاً. وتذكرتُ على الفور قول الشاعر الحكيم الذي بين في بيتيه المشهورين أمانة الكلمة ومسؤوليتها بين يدي الله تعالى:

ومـــــا مـــــن كاتـــــب إلا ســـــيفنى ويبلـــــي الـــــدهر مـــــا كتبـــــتْ يـــــداهُ

فـــــلا تكتـــــب بكفـــــك غيـــــر شـــــيء يســـــرك فـــــي القيامـــــة أن تـــــراه

ولقد جعلت من هذه الفرصة التي أتيحت لي في جريدة الوحدة العربية نافذة تطل على الأدب العربي قديمه ومعاصره. وشكرت للألى مكّنوني من الكتابة ومواجهة جمهور القراء. وتوالت قصائدي تترى على صفحات الجريدة ، وكنت فخوراً بهذا السبق الإعلامي ، وأيقنتُ يومها أنها فرصة ذهبية قد لا تتاح غداً. فكنتُ أواصل الليل بالنهار مشمّراً عن ساعد الجد وواضعاً نصب عيني أمانة الكتابة وشرفها ومسؤوليتها. وطفقت أعالج الواقع المعاش بالنقد والقصيدة والفكرة. وسطرت هذه القصة لكل هارف بما لا يعرف. وأجعلها مستقبلاً دِرة عُمرية فوق رأس كل هازل ركيكٍ لا يدرك مسؤولية الكتابة ، ولا يعرف أدبياتها ولا أخلاقياتها ، التي ينبغي أن يكون عليها كل كاتب يخاف الله ، ويطمع فيما عنده سبحانه وتعالى. وجعلت عنوانها (السحاب الهزيل) لأبين لكل محرف هازل رقيع ، أن كتابته الهازلة الساقطة ما هي إلا سحاب هزيل يوشك أن ينقشع. ألا إن الكتابة أمانة وشرف وتكليف وأخلاق ، قبل أن تكون مهنة أو وظيفة! وإذا لم نكتب شيئاً له قيمة فلنكُف عن الكتابة ، ولنمزق الأوراق ، ولنكسر الأقلام!)

78 - مشاعر تهويمة السحر الفوّاح!

(كان في القمة من الإسلام والمسلمين ، وفي الذؤابة من الجهاد والمجاهدين. ثم تعرّض لغادة نصرانية سحرته بما أوتيت من جمال وفتنة ، ومازالت به حتى فتن عن دينه ، والعياذ بالله تعالى! أورد الإمام ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة 287هـ: (وفيها توفي ابن عبد الرحيم – قبّحه الله – كان هذا من المجاهدين في بلاد الروم ، ولما حاصر المسلمون بلدة من بلاد الروم نظر إلى امرأة رومية نصرانية حسناء ، وراسلها وسألها ذات يوم: أما إليك من سبيل؟ فقالت الخبيثة: تتنصّر وتتبرأ من القرآن ومن محمد! فقال الخبيث: أفعل. وقد كان ذلك منه بالفعل! ومر عليه المسلمون وهو عندها وقالوا: ما فعل قرآنك وصلاتك وصيامك وجهادك؟ فقال: أنسِيتُ القرآن إلا آيتين هما: (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) ، وقد صار لي فيهم مال وولد).هـ. فهالني ذلك الحَوْرُ بعد الكَوْر ، وراعني جداً تحوّل الإيمان وزوال القرآن. وسألتُ الله ألاّ أكون مثل هذا الرجل يوماً. وما أكثر أبناء وأشباه عبد الرحيم هذا في زماننا! نسأل الله العافية والسلامة! ومن هنا أنشدت أصف مشاعر كل مخذول انهزم وانبطح لتهويمة السحر الرخيص الفواح الذي هان على أصحابه فابتذل وكان سبباً للفتنة به! ولله در من وصف سبيل النجاة من فتنة النساء فقال ما نصه: (إن فتن الحياة الدنيا كثيرة ، فمنها فتنة المال ، وفتنة الفقر ، وفتنة الغنى ، وفتنة الأولاد وفتنة الحرب ، وفتنة الاضطهاد والإيذاء ، وغير ذلك من أنواع الفتن ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ، ويشهد له قول الله

تعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء) فجعلهن من حب الشهوات ، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع قبل الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وقبل فتنة الأولاد ، بدأ الله بهن في الذكر ، ومع أنهن ناقصات عقل ودين فإنهن يحملن الرجال على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغلهم عن طلب أمور الدين وحملهم على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد. وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، اتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء). رواه مسلم وفي رواية للإمام أحمد رحمه الله تعالى: (إن الدنيا خضرة حلوة ، فاتقوها واتقوا النساء). ثم ذكر نسوة ثلاثة من بني إسرائيل امرأتين طويلتين تعرفان وامرأة قصيرة لا تعرف ، فاتخذت رجْلين من خشب من تحت الثياب لتطول ، وصاغت خاتماً ، فحشته من أطيب الطيب المسك ، وجعلت له غلفاً فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس قالت به ففتحته ففاحت ريحه ، هكذا تحايلت لتلفت نظر الرجال إليها ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء. قال النووي رحمه الله: ومعناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء ، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات ، لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن. ولذلك كان السلف رحمهم الله يحرصون على عدم الافتتان! فقد أرسل بعض الخلفاء إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها ، وردها الفضيل فقالت له امرأته: ترد عشرة آلاف وما عندنا قوت يومنا؟ فقال لها: مثلي ومثلكم كقوم لهم بقرة يحرثون عليها ، فلما هرمت ذبحوها. وكذا أنتم أردتم ذبحي على كبر سني ، موتوا جوعاً قبل أن تذبحوا فضيلاً. ومن أسباب كون المرأة فتنة ومن أسباب عظم الفتنة بها أمر مهم جداً ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله في الحديث الصحيح: (المرأة عورة ، كلها عورة) لم يستثن وجهاً ولا كفين أمام الرجال ، المرأة عورة ، (فإذا خرجت استشرفها الشيطان) ، فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم استشرفها الشيطان ، قال المباركفوري رحمه الله تعالى: أي زيّنها في نظر الرجال ، وقيل أي نظر إليها ليغويها ويغوي بها ، والأصل في الاستشراف رفع البصر للنظر إلى الشيء ، وبسط الكف فوق الحاجب ، هذا هو الاستشراف. والمعنى أن المرأة يستقبح خروجها وظهورها ، فإذا خرجت أمعن النظر إليها ليغويها بغيرها ويغوي غيرها بها ، ليوقعهما أو أحدهما في الفتنة. أو يريد بالشيطان شيطان الإنس من أهل الفسق ، سماه به على التشبيه ، فالشيطان يرفع أنظار الرجال إلى المرأة ، والشيطان يزين المرأة في أعين الناظرين ، فترى المرأة إذا خرجت إلى الشارع تمشي ارتفعت إليها أبصار الرجال ، ذلك لأن الشيطان حريص على تزيينها وعلى رفع الأبصار إليها ، تلقائياً ، تجد الأبصار تتجه إلى المرأة من حين خروجها للشارع ، يستشرفها الشيطان ، ويجعلها هدفاً منصوباً مُلفتاً لينظر إليها الرجال ، استشرفها الشيطان فهي وسيلته ، لإغواء الناس. ولذلك كان السلف رحمهم الله يخافون ـ على أنفسهم أشد الخوف من فتنة النساء مع عبادتهم وزهدهم وورعهم ، أكثر مما نخاف نحن على أنفسنا مع ضعفنا ، ولا مقارنة بيننا وبينهم. وكان سعيد بن المسيب رحمه الله يقول وقد أتت عليه ثمانون سنة! منها خمسون يصلي فيها الصبح بوضوء العشاء ، وهو قائم على قدميه يصلي كان يقول: ما شيء أخوف عندي عليّ من النساء ، وهو ابن ثمانين سنة يعبد الله تعالى يقوم الليالي. ومن أجل فتنة النساء اتخذ الشارع سائر الاحتياطات الكفيلة بحماية الرجل من الوقوع في فتنة المرأة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت) وهو قريب الزوج: أخوه وسائر أقاربه ، فهو يشبه الموت في خطره ، فهو يؤدي إلى موت الدين ، فهو ربما يؤدي إلى

الرجم وهو موت ، إذا زنى بها وهو محصن ، فقال: الحمو الموت ، وقال لا تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم ، ما خلا رجل بامرأةٍ إلا كان الشيطان ثالثهما ، كل هذه الاحتياطات لدرأ فتنة النساء. والنبي صلى الله عليه وسلم أطهر الناس مع الصحابة أفضل هذه الأمة كان يعمل سائر الاحتياطات الكفيلة بمنع الاختلاط والنظر. فعن أبي أسيد الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – ينهى عما رأى – (استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق). فالمرأة لا تمشي في الوسط ، بل تمشي في الجوانب ، والرجال يمشون في الوسط ، هكذا كانت الشوارع في المجتمع الإسلامي الأول ، فكانت المرأة تلتصق بالجدار ، حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به ، رواه أبو داود وهو حديث صحيح. وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النساء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كن إذا سلّمن من المكتوبة قمن مباشرة ، وثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن صلى من الرجال ما شاء الله – فترة كافية لخروج النساء – فإذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الرجال. قال الحافظ رحمه الله: وفي الحديث الاحتياط فيما يُفضي إلى المحظور ، وفيه اجتناب مواضع التهم ، وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو تركنا هذا الباب للنساء) – باب في المسجد مخصص للنساء وإلى الآن اسمه باب النساء – قال نافع: ولم يدخل ابن عمر منه حتى مات. هذه الاحتياطات وغيرها لأجل درأ فتنة النساء ، وعائشة رضي الله عنها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بفترة قالت: لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء – يعنى ما أحدثنا بعده – لمنعن كما منعت نساء بني إسرائيل. وماذا أحدث النساء في عهد عائشة وهي تقول: لو رأى النبي صلى الله عليه و سلم الوضع لمنعهن من المساجد والخروج؟ لو رأت عائشة ولو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعنا اليوم ، ماذا تراه يقول وماذا تراه يفعل؟ إن الأمر خطير ، وإن الخطب جلل ، وإن الفساد في انتشار بسبب فتنة النساء ، وفي هذا الزمان الذي لم يمر في العالم زمان مثله زينت فيه المرأة لفتنة الرجال ، واجتهد فيه أعداء الله في إبراز المرأة ، فترى عوامل الجذب والفتنة في الملابس الضيقة والمفتوحة والشفافة والكعب العالي والمناكير على الأظفار ورائحة العطور والصوت والأزياء الفاضحة ، وحتى النقاب الذي تلبسه بعض النساء والبرقع اليوم ربما يكون أشد فتنة مما لو كشفت وجهها بالكلية ، نظرا لما تقوم به بعض النساء من اللعب فيه فتجعله بالتالي لا يغطي وجهها بالصورة التي أمر الله ورسوله أن تكون! وهناك الفتنة أيضاً بالأفلام ، والقصص الماجنة ، والمجلات ، والدعايات ، لا تكاد توجد سلعة إلا ومعها صورة امرأة ولا بد وكذلك عروض الأزياء ، وكل ذلك يزين المرأة في نظر الرجال ، حتى إذا نزلت إلى الشارع والسوق رأيت العجب ، وهذه المساحيق والمكياجات التي تجعل أشد النساء دمامة لوحة فنية من الأصباغ! وما تفعله الكوافيرات في وجوه النساء. ثم تحدث الفتنة العظيمة وتخرج المرأة بهذه الزينة وتجتمع كل عوامل الإغراء ، كل العوامل ، فلا تدخل دكاناً ولا سوقاً ، أو باب مدرسة ، أو مستشفى ، أو طائرة أو غير ذلك من الأماكن ، إلا ووجدت القضية كلها تدور على الإغواء والإغراء بالمرأة ، ولا تكاد تنظر في الصفحة الخارجية لمجلة أو غيرها إلا وتجد القضية نفسها تدور. إن إخوان القردة والخنازير ، همُ الذين وصلوا بالمرأة إلى ما وصلت إليه ، وعمت الفتنة ، وثارت الشهوات ، وصار الوضع محزناً لصاحب القلب الحي. لمثل هذا الذي نرى يموت القلب من كمد

وغيظ وشنآن إن كان في القلب فعلا إسلام وإيمان! المسألة كلها مخالفات شرعية ، في هذه الأشياء والإغراءات التي تحصل ، وتأمل ماذا أحدثه هذا الهاتف من الفتنة ، في بدأ العلاقة وتطويرها وتنميتها والتخطيط للخروج ثم الخروج ، وتأمل كيف يزين الشيطان الحِيل بحجة خروجها إلى السوق ، أو الدراسة مع صاحبتها ، أو زيارة صاحبتها ، وأثناء غياب الزوج في العمل ، أو الوردية الليلية ، وأيام الاختبارات يحدث فساد عظيم وشر مستطير ، وأيام البر وتتخلف الأسرة هناك ، والشاب هنا لوحده. كل هذه الأمور التي تؤدي إلى الفتنة والوقوع في الفاحشة ، والمسألة فيها غضب ، غضب من الله ، وإغضاب لله ، وكل القضية تدور على مخالفة الآيات الشرعية ، تأمل في الوقع ثم قارن: (ولا يبدين زينتهن)! تأمل ثم قارن بقوله: (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) ، وتأمل وقارن بقوله: (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) ، فكيف تستهل البنت الحديث في الهاتف ، (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) ، وقارن بقوله تعالى: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) ، وقارن بقوله تعالى: (ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن) ، المسالة كانت على الخلخال ، والآن تفتح العباءة وتلبس عدة مرات لتصلح من هندامها بزعمها وهي في وسط الرجال ، وقارن بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن المرأة إذا استعطرت فخرجت فمرت بالمجلس فهي كذا و كذا) يعنى زانية. فإذن ، المسألة تحتاج في زماننا هذا ، إلى صبر عظيم ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مجانباً للصواب أبداً ولا مبالغاً عندما قال: إن أخشى ما يخشى على هذه الأمة هو فتنة النساء ، والذي يتتبع الأخبار يعرف وليس المجال مجال تفصيل ، ولا تعميم الحال ، فهناك صلاح والحمد لله ، وهناك خير قادم ، ولكن لا بد من أن نضع الضوابط وأن نلزم أنفسنا بأحكام الشريعة ، فإن قال قائل وما هي الإجراءات التي تحمي الرجل من فتنة النساء؟ فأقول: أولا: قال عليه الصلاة والسلام: (لا تُتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة). وعن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري. ولما رأى الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة صرف وجهه إلى الشق الآخر. وإذن فمسألة غض البصر هي أساس العلاج ، لأن المسألة في أولها ، وهو أهون شيء النظر. قال العلاء بن زياد: لا تُتْبع بصرك رداء امرأة ، فإن النظرة تجعل في القلب شهوة. وقال أحد الصالحين لابنه: يا بني امش وراء الأسد والحية والثعبان ، ولا تمش وراء امرأة. إن نظر الرجل إلى محاسن امرأة سهم مسموم من سهام إبليس ، والسهم المسموم إذا دخل السم ينتشر. إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة. وكان السلف رحمهم الله ، في غاية الحرص على هذه المسألة ، قال سفيان: كان الربيع بن خثيم يغض بصره ، فمر به نسوة ، فأطرق إطراقاً شديداً ، حتى ظن النسوة أنه أعمى ، فتعوذن بالله من العمى. وخرج حسان إلى العيد ، فقيل له لما رجع: يا أبا عبد الله ما رأينا عيداً أكثر نساءً منه ، فقال: ما تلقتني امرأة حتى رجعت. وهو حسان بن أبي سنان ، لما خرج إلى العيد ورجع قالت له امرأته: كم من امرأة حسنة قد نظرت اليوم ، فلما أكثرت عليه قال: ويحك ، ويحك ، ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك. وكانوا يحاربون النظر ويعتبرونه منكراً شديداً ، وينهرون فاعله. عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: دخل عبد الله بن مسعود على مريض يعوده ومعه قوم وفي البيت امرأة! فجعل رجل من القوم ينظر إلى المرأة ، فقال عبد الله رضي الله عنه: لو انفقأت عينك كان خيراً لك. والمعنى لو انفقأت عينك وصارت لك مصيبة واحتسبتها عند الله كان خيراً لك من النظر

واستعمال البصر في المعصية. ثم إنه إذا كرره حصل في القلب زرع الفتنة وذلك أمر يصعب تصوره ، ولذلك لا بد من الحمية بسد باب النظر ، فإنه إذا سده ، سهل بعد ذلك انحسار الأمر. هذه القضية لا يكاد يطبقها اليوم إلا من رحم الله ، غض البصر عن النساء. وفي معنى النظر وصف المرأة ، حتى كأنه ينظر إليها ، فلذلك نهينا عنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها) وهذا أصل في سد الذرائع ، وأن وصف المرأة للرجل الأجنبي عنها يؤدي إلى الافتتان بالموصوفة. ثانياً: أن الإنسان إذا رأى امرأة فأعجبته ، فإن كان له امرأة أو مملوكة أتاها مباشرة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المرأة تُقبل في صورة شيطان ، وتدبّر في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فإن ذلك يرد ما في نفسه). وأما الأعزب ، فإنه يستعين بالصبر والصلاة والصيام الذي هو من أسباب تقليل الشهوة. وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها ، فإن ذلك يرد ما في نفسه) ، لأن الذي معها مثل الذي معها ، كما قال صلى الله عليه وسلم فيُسكن نفسه ويدفع شهوته ، وفي هذا بيان عظيم ، وإرشاد كبير إلى قضية العلاج لمثل ما يقع للرجال في هذه المسألة. ثم إن من الأمور المهمة أن الإنسان لا يغشى أماكن الفتنة ، ولا يغشى أماكن الخلوة ، ثم بعد ذلك يقول لم أصبر ، بل إنه يتمنى عند الحرام ، ولذلك لما دعت امرأة العزيز يوسف قال إني أخاف الله ، قال أعوذ بالله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين) ، مع أنها امرأة ذات منصب وجمال وأين يجتمع هذا ، ومع ذلك يقول إني أخاف الله رب العالمين. ثم – إنه ينبغي للرجل – ومن العلاجات أيضاً ، أنها إذا تعرضت له ، وكثير من النساء اليوم هي التي تتعرض للرجل ، وربما تكون هي التي اتصلت ، وهي التي تأتي بالإشارات والحركات الداعية ، فماذا يفعل؟ افعل كما فعل جريج رحمه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، ومنهم ذلك العابد ، تكلم الصبي من أجله ، كانت امرأة بغي يتمثل بحسنها ، فقالت: إن شئتم – تقول لبني إسرائيل – لأفتنن هذا العابد الزاهد. فتعرضتْ له فلم يلتفت إليها – هذا هو المهم هو لب الموضوع الآن – فأتت راعياً كان يأوي إلى صنعته ، فأمكنته من نفسها فحملت ، الحديث فيه كيف خلص الله جريجاً بسبب صبره. الشاهد قوله فلم يلتفت إليها. فمن الذي لا يلتفت اليوم؟ الذي رحمه الله وأراد به خيراً. ثم لا بد من التأمل في مسألة الفاحشة! فإن الشيطان كتابه الوشم ، وقرآنه الغناء ، ورسله الكهنة ، وطعامه ما لم يذكر اسم الله عليه ، وشرابه كل مسكر وبيته الحمّام ، ومصائبه النساء ومؤذنه المزمار ، ومسجده السوق ، وكل هذه الأشياء مع بعضها البعض تؤدي للفتنة العظيمة العارمة ، والزنى من أعظم الذنوب والفواحش ، وبعضه أشد من بعض ، فمن أفحشه الزنى بالمحارم ، ومن أفحشه الرجل يزني بزوجة الرجل أي المتزوجة ، مما يؤدي إلى اختلاط الماء والأنساب ، ومن أفحشه أن تكون المرأة المزني بها جارة ، ولأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني الرجل بامرأة جاره. والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن عقوبة الزناة والزواني في البرزخ قبل دخول جهنم ، في تنور – في فرن – يأتيهم اللهب من أسفل منهم فيرتفعون ، فيصيحون ، فإذا خمد اللهب ، سقطوا ، ثم يأتيهم مرة أخرى فيرتفعون ، حتى يكادوا أن يخرجوا ، وهكذا إلى قيام الساعة ، هذا عقاب الزناة والزواني في البرزخ. وحكى النبي صلى الله عليه وسلم عن أشخاص كادوا أن يقعوا في الفاحشة ، وربما يصل الأمر إلى هذه الدرجة ، فماذا يفعل الشخص حينئذ ، قال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم ، أحبها كأشد

ما يحب الرجال النساء ، فطلبتُ إليها نفسها ، فأبت حتى أتيتُها بمائة دينار ، فسعيت حتى جمعت مائة دينار ، فلقيتها بها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه – والحق هو عقد الزواج الشرعي – فقمت عنها وهي أحب الناس إليّ. إذن يمكن للإنسان لو أنه ساقته نفسه والشيطان والمرأة على الفاحشة ، أنه في اللحظة الأخيرة يذكر الله تعالى فيقوم عنها. إذن هذه من النظرة إلى اللحظة الأخيرة احتياطات شرعية لأجل الوقاية من فتنة النساء ، والقضية بحاجة شديدة إلى مصابرة ومجاهدة ، وبعض الناس يقولون لا تلوموا الشباب ولوموا الفتيات ، كيف ذلك؟! اللوم على الجميع ، اللوم على الفتاة التي تبرجت ، وعلى الشاب الذي استجاب ، وعلى وليهما الذي لم يرب هذا ولم يمنع تلك من الخروج ، وعلى الذي يضع العراقيل في طريق الزواج بحجج واهية ، ويغلي المهور ، ويقول: بنتنا ليست بأقل من بنت فلانة ، أو يضع العراقيل الواهية باسم القبيلة والموازين الدنيوية التافهة ، ويرد هذا ، وهذه بنتنا تريد الدراسة ، ونحو ذلك ، اللوم على الجميع ، ليس أحد بمستثنى. نسأل الله أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، ونسأله عز وجل أن يقينا كل هذه الشرور ، وأن يجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن! إن التذكر والتفكر في عرائس الجنان حري بأن يذهب بعض ما في النفوس! إن سألت عن الجنة وعرائسها وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب ، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب ، تجري الشمس في محاسن وجهها إذا برزت ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت! إذا قابلت حبها فقل ما تشاء ، في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة المحبين ، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، لو طلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ، ولقد زخرف لها ما بين الخافقين ، ولأغمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالحي القيوم ، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها ، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حُسناً وجمالاً ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً ، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ، ولا يَخلق ثوب جمالها ، ولا يُمل طيب وصالها ، قد قصرتْ طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه عليها ، فهي غاية أمنيته وهواه ، وإن سألت عن السن ، فأتراب في أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن حسن الخلق ، فهن الخيرات الحسان ، اللاتي جُمع لهن بين الحسن والإحسان ، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة المعاملة ، فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل ، التي تمتزج بالروح أيما امتزاج! فما ظنك بامرأة ، إذا ضحكت في وجه زوجها ، أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا حاضرت زوجها ، فيا حسن محاضرتها ، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة! وإن غنت ، فيا لذة الأبصار والأسماع! وإن آنست وأمتعت ، فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع! (إنا أنشأناهن إنشاء ، فجعلناهن أبكاراً ، عرباً أتراباً) ، تلك المرأة من الحور العين ، بصَلاتها وصيامها ، ويجعلها الله تعالى من العُرب ، وهي التي جمعت إلى حلاوة الصورة حسن التأني والتبعل ، والتحبب إلى الزوج! والعرب من النساء ، المطيعة لزوجها ، العاشقة له ، المتحببة إليه ، أبكاراً ، ذلك من فضل وطأ البكر على الثيب ، فجعلهن الله أبكاراً ، ولو كانت في الدنيا ثيباً! وقال الله تعالى عن الحور العين: (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان)! فلم يطأهن ولم يغشهن إنس ولا جان من قبل ، (كأنهن الياقوت والمرجان) بالياقوت في صفاءه ، وبالمرجان لبياضه ،

فجمعن بين هذا البياض والصفاء ، وقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم: (إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء الحجب ، وما في الجنة أعجب)؟ وقال صلى الله عليه وسلم: (ولو اطلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرض ، لملأت ما بينهما ريحاً وأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها). هذا قدر الخِمار فما بالك بقدر اللابسة؟ أزواج مطهرة ، لا حيض ولا نفاس ولا سوائل ولا صُفرة ولا كُدرة ولا عرق ولا بصاق ولا مخاط. هذه النساء الحِسان ، يُغنين لأزواجهن ، قال الله عن المؤمنين: (في روضةٍ يُحْبرون) يحبرون يعني يسمعون الغناء. قال - صلى الله عليه وسلم -: (إن أزواج أهل الجنة ليُغنين لأزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن مما يغنين: نحن الخيّرات الحسانْ ، أزواج قوم كرامْ ، ينظرن بقرة أعيانْ)! وإن مما يغنين به: (نحن الخالدات فلا يمتن ، نحن الآمنات فلا يخفن ، نحن المقيمات فلا يظعن)! وهكذا يتقلب المرءُ من أهل الجنة بين زوجاته ، وهو في هذه الخيمة من اللؤلؤة المجوفة ، سبعون ميلاً في كل زاوية له أهل لا يراهم الآخرون ، ولا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقكِ إلينا ، إنها مشتاقة إليه من الآن ، إنها تعلم عنه الآن ، الآن هي تعلم عنه من نساءه في الجنة ، إنها تعلم عنه ، وقد أخبر علي رضي الله عنه في الحديث الموقوف الذي له حكم الرفع: أنه إذا دخل الجنة خف إليه الغلمان ، فتحلقوا حوله خدمه وحشمه ، يستقبلونه ، يذهب واحد منهم مسرعاً ، إلى بيته ، فيخبر تلك الحورية ، بأن زوجها على وشك الوصول ، فلا تصبر حتى تخرج إلى أسقفة الباب لتستقبله ، فإنه استقبال عظيم يومئذ ، يُعطى الرجل قوة مئةٍ في الجماع ، ويصل إلى نساءه في الجنة ، وتهب ريح الشمال كما جاء في صحيح مسلم يوم الجمعة فتحثوا في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم ، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً. فأين هذا النعيم من لذة ساعة شر إلى قيام الساعة! فإذا قامت الساعة ، كان ذلك أشد وأنكى ، أين هذه الصفات للحور العين ، من هؤلاء النساء ، مهما تجملت ، فغالب زينتها المكياج الزائف ، ومهما كانت جميلة فانظر إليها بعد سنين ، فإنها تكون في غاية القبح والدمامة ، وتُصبح عجوزاً شوهاء ، ومع ذلك فإن الاستمتاع بها مكدرٌ في حيضها ودمها وطمثها وإفرازاتها ، وسائر الأشياء المُقرفة المقززة ، التي تخرج منها ، أين هذا من هؤلاء الأزواج المطهرة ، فمن صبر هنا كان له هذا هناك ، ومن لم يصبر هنا فيا سوء ذلك الحرمان ، نعوذ بالله من الخذلان).هـ. الجنة وما أدراك ما الجنة! إن سألتَ عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر. وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب. وإن سألت عن أشجارها فما فيها من شجرة إلا وساقها من الذهب والفضة ، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل. وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل. وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون. وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور. وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة ، في صفاء القوارير. وإن سألت عن سعة أبوابها فبين

المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام. وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تنعم بالطرب لمن يسمعها. وإن سألت عن ظلها ففي ظل الشجرة الواحدة يسير الراكب المُجدّ السريع مائة عام لا يقطعها. وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام. وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من دُرة مُجوفة ، طولها ستون ميلاً. وإن سألت عن علاليها وجوسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية عالية. إن العمل للجنة أولى! وقد استفضنا وتوسعنا في وصف الحور العين تشويقاً لمن يحب النساء ويفتتن بهن! نقول له: انتظر فعما قريب تكون في الجنة وتحظى بالزواج من الحور العين عرائس الجنان على الوصف الذي ذكرنا من الآيات والذكر الحكيم وأقوال أهل العلم والفقه والفهم ، ومن أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم -. ونعود من الحديث عن الجنة وحورها ونعيمها ، إلى ابن عبد الرحيم موضوع قصيدتنا الذي ترك دين الإسلام ، وهجر الكتاب والسنة من أجل رومية نصرانية حسناء ، لفحته بتهويمة سحر جمالها فأنسته الدين والدنيا والآخرة! نسأل الله العافية والسلامة! تخيلته يصف لنا ما حدث له ، ويروي قصته لنا شعرا من بدايتها إلى نهايتها المشؤومة تلك! وبئست البداية وبئست البداية!)

79 – السفينة السائرة

(إن طلاب العلم الذين هم في أول الطريق ، ولا همّ لهم إلا تصيّد أخطاء العلماء ومزالقهم ، لا يضرون إلا أنفسهم ، بل ويتخلفون - عمداً - عن ركوب سفينة الدعوة إلى الله تعالى. وهي تسير بدونهم ، وتعرف دربها. وعندما يبتعد هؤلاء المتخلفون عن سفينة الدعوة السائرة في خضم الإيمان وصولاً إلى جودي العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص ، يقول لسان حالها وحال أصحابها: (بُعداً للقوم الظالمين) فما عساهم يقولون وقد خالفوا؟ إن دَور العالِم أن يُبين الحق لطلابه ، لا أن يستعبدهم لأفكاره. ويجب أن يسألوه عن دليل كل مسألةٍ من كتاب الله وسنة رسوله. وعلى كثرة من أخذتُ عنهم العلم أحياء وميتين لم أكن يوما ولا ساعة من نهار كذلك. بل اعتدت أن أحترم العلماء وآخذ عنهم العلم الذي الموصل لعبادة ربي لا لعبادتهم من دونه. وإن دعوة تقوم على نقد الآخرين وتعقبهم وتصيد عثراتهم ومزالقهم والتشهير بهم لدعوة فاشلة!)

80 - السقوط في الجحيم

(اعتاد ذلك الفتى الأحمق أن لا يستمع إلى كلام والده ، ولا يُعيره اهتماماً. فانتهى به عقوقه إلى السقوط في أيدي حفنة من الشباب الفسقة المنحرفين. فكان جحيماً احترق في أتونه الفتى العاق. إن المرء ينبغي أن يختار صاحبه كما يختار طعامه وشرابه ولباسه ومأواه! والنبي – صلى الله عليه وسلم قال: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). ومن هذا المنطلق فإن الصاحب الصالح يدفع صاحبه إلى الأعمال الصالحة! والصديق الفاسق الماجن المنحل يدفع صاحبه إلى الانحراف والفسوق والمجون!)

81 - السقوط

(كان تقياً ورعاً. ولكنه عصى الله بأكل مال يتيم هو عمه. حيث إنه دلس في عقد بيع وشراء أرض أخيه قبل موته. فلما مات أخوه قال لابنه: إن أرضَ أبيك ملكي ، فلقد باعها لي. فكان هذا سقوطاً في عالم الظلم وأتون الجوْر لا مثيل له! وكانت هذه القصيدة - على لسان اليتيم - ناقوساً يدق في عالم الغفلة والنسيان ، وتذكرة بينة هينة لينة ، وذكرى وادعة حانية لكل ظالم متجاوز لحدود الله ، ولكل مجرم متعدٍ على الشرع والعُرف ، ولكل ساطٍ على ما ليس له بالحِيلة والنصب!)

82 - السُّمعة الدامية في دياجير التيه

(عندما تُلاك سُمعة بريء بألسنة حِدادٍ لا يرقب أصحابها في مُؤمن إلاًّ ولا ذمة ، فإن السمعة تئنّ وتبكي دمًا لا دموعًا. والغيبة والنميمة كبيرتان من كبائر الذنوب ، فالواجب الحذر من ذلك ، يقول الله سبحانه: (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) ، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (رأيتُ ليلة أسري بي رجالاً لهم أظفار من نحاس يخدشون بها وجوههم وصدروهم ، فقلت: من هؤلاء؟ فقال جبريل: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم). هم أهل الغِيبة. ويُعرّف النبي الغِيبة بقوله: (ذكرك أخاك بما يكره). قيل: يا رسول الله إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته). فالغيبة في شريعتنا مُنكرة وكبيرة من كبائر الذنوب ، والنميمة أختها من الرضاعة ، يقول الله - جل وعلا -: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ*هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ). ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا يدخل الجنة نمّام) ، ويقول بأنه رأى شخصين يعذبان في قبورهما ، وما يعذبان في كثير ، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة! فالواجب الحذر من مجالسة هؤلاء الذين يغتابون الناس ، ويعملون بالنميمة ، وإذا جلس المسلم معهم ، فلينكر عليهم ذلك ، ويحذرهم من مغبة ذلك ، وليخبرهم أن هذا لا يجوز ، وأنه منكر ، فإن تركوا وإلا فليقم عنهم ولا يجلس معهم ، ولا يشاركهم في الغيبة ، ولا في النميمة ، حتى لا يؤاخذ بجَريرتهم!)

---

83 - السمهري اليماني في نحر الأغاني (للأصفهاني)

(إن هذى القصيدة بيانٌ لأهل التوحيد ، وإعذارٌ إلى الله تعالى عن كتاب الأغاني (للأصفهاني) ذلك الرافضي الخبيث المنحط أبي الفرج المعروف. إن كتابه بأجزائه لم يحتو إلا على الهراءات والسخافات والمجون والخلاعة والإباحية والتحلل. * قال اليوسفي المؤرخ: إن أبا الفرج أكذب الناس إذ يدخل سوق الواراقين ، فيشتري الكتب والصحف ومنها يكتب الروايات. * وأما صاحب معجم الأدباء فيقول: كان أبو الفرج يعاقر الخمر ، ويحب الغلمان ، ويميل إلى وصف النساء ، شأن أدباء وشعراء عصره. * وأما الصابي فيقول عنه: كان أبو الفرج وسخاً يحذر الناس لسانه ويصدون عن مجالسته ومعاشرته. * ويكفي موقف الأستاذ / أنور الجندي حفظه الله - وبيانه عن أبي الفرج الأصفهاني ورواياته ومجونه وأغانيه. فالكتاب كله طوام وذلك لكثرة ما احتواه من البذاءات والسخافات والمغالطات ، ويضاف إلى هذا كله أنه

احتوى على تشويه سير خلفاء الإسلام. وكان الكتاب برمته مرجعاً وأساساً وعمدة للمستشرقين للنيل من الإسلام وأهله ، على مدى نصف قرن تقريباً. إذ جُل هؤلاء إن لم يكن كلهم يعزون إلى كتاب (الأغاني) جاعلين إياه حجة دامغة في الدس على تاريخ الإسلام والمسلمين. ومن هنا وجب التحذير من هذا الكتاب الخبيث ، وقد بصّرنا الله به ، ونهيب الآن بالآخرين أن يأخذوا منه أو يستشهدوا ببعض العبارات الواردة فيه ، إلا على سبيل نقده وتمحيصه. وأبو الفرج علي بن الحسين الأموي القرشي الأصفهاني يرجع نسبه لبني أمية (284هـ/897م - 14 ذو الحجة 356 هـ/20 نوفمبر 967م) من أدباء العرب ، صاحب كتاب الأغاني ، وجده مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ؛ وهو أصفهاني المولد بغدادي المنشأ ، كان من أعيان أدبائها ومصنفيها ، وروى عن كثير من العلماء. وكان عالِماً بأيام الناس والأنساب والسير ، وله أشعار كثيرة. وينبغي التنبه إلى أن كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني يعتبر كتاب أدب وسمر وغناء وليس كتاب علم وتاريخ وفقه! وله مكانة عالية عند أهل الأدب والتاريخ وليس معنى ذلك أن يسكت عما ورد فيه من الشعوبية والكذب! وقد قام الأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سماه (السيف اليماني في نحر الأصفهاني). وقد تناول الأستاذ وليد الأعظمي في كتابه هذا الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي وتفضل الجاهلية وغيرها من الأباطيل على الإسلام. وقد طعن العلماء قديمًا في الأصبهاني ومن هؤلاء الخطيب البغدادي قال: (كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس كان يشتري شيئًا كثيرًا من الصحف ثم تكون كل روايته منها). نقل ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن الجوزي أنه قال: (ومثله لا يوثق بروايته يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر). وقال الذهبي في الميزان (124/3): رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعفه ويتهمه في نقله ويستهول ما يأتي به. فلا يقتطع كاتب أو مؤلف أو ناقد أو طالب علم بعض نصوص الأغاني للأصفهاني بكل ارتياح ، مسوّياً إياه بصحيح البخاري ، معتبرا أبا الفرج محققاً أميناً ، وموقناً بأن كتابه (الأغاني) مرجعاً صحيحاً لا دس فيه ولا كذب ، فهذا لا يجوز إطلاقاً ولا يصح أبداً! قال الأستاذ شوقي أبو خليل مقوّماً مصادر فيليب حتَّى في كتابه تاريخ العرب المطوّل ما نصه: (واعتمد حتى كتاب الأغاني للأصفهاني ، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضاً ، إنّه كتاب أدب ، وهذا لا يعني مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به ، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة ، معروفاً عنه الأمانة في النقل والرِّواية. إن كتاب الأغاني الذي جعله حتَّى مرجعاً تاريخياً معتمداً ، صاحبه متَّهم في أمانته الأدبيَّة والتاريخية ، جاء في ميزان الاعتدال في نقد الرّجال: أن الأصفهاني في كتابه الأغاني كان يأتي بالأعاجيب بحدثنا وأخبرنا. ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيين لهواً ومجوناً وغناء وشراباً. وهذا يناسب المؤلِّف وخياله وحياته ، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب ، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يحتج به).هـ. وكما يقول علوي بن عبد القادر السقاف: (وسبب تسميته بـ (الأغاني) هو تدوينه وجمعه عدداً من الأغاني والأصوات العربية وما يتبعها من نصوصها الشعرية وألحانها. وقد بنى مادة الكتاب على مائة صوت كان الرشيد أمر مغنيَه إبراهيم الموصلي أن ينتخبها له ، وضمَّ إليها أبو الفرج الأصوات التي زيدت للخليفة الواثق ، ثم ما اختاره أبو الفرج لنفسه من أصوات من مصادر أخرى. مع نسبة كل ما ذكره إلى قائله سواء كان شاعراً أو صانع لحن ويذكر ما يتعلق به من طريقة

إيقاعه وغيرها. وتناول ما أورده من هذه الأمور بالشرح والبيان والتلخيص وتفسير المشكل وإيضاح الغريب والإعراب وما يتعلق بالشعر من عروض وغيره لماذا كتاب الأغاني؟ ربما يتساءل بعض القرَّاء الكرام لماذا نتعرض لهذا الكتاب بالنقد والتمحيص والتفتيش عن أخطائه وسقطاته بينما الكتاب لا يعدو أن يكون كتاب أدب وأخبار ومسامرات كغيره من الكتب؟ ولعلنا نجمل الإجابة في الآتي: * أولاً: ما يحتويه الكتاب من تشويه مخز للتاريخ الإسلامي لاسيما الخلفاء والأمراء والعلماء وغيرهم حيث لم يفتأ يصوّرهم في صورة من لا خلاق لهم ولا دين لا يردعهم رادع عن اقتراف المحرمات ولا يمنعهم مانع عن ركوب الشهوات. * ثانيًا: ما يتمتع به هذا الكتاب من شهرة وانتشار واعتماد الكثير من الباحثين في التاريخ الإسلامي على أخباره وما يورده من قصص كمصدر أصيل من مصادر التاريخ الإسلامي مما يجعله مادة دسمة لكثير من المتصيدين في الماء العكر الذين يقتنصون الأخطاء ويتتبعون الهفوات في محاولة منهم لإثبات أن الحضارة الإسلامية في أزهى عصورها كانت مليئة بالخلاعة والمجون بجميع أشكالها وألوانها. وهذا ما يتبادر إلى ذهن القارئ مباشرة عند استعراضه لأخبار هذا الكتاب حتى ليخيل له وللوهلة الأولى أن المجتمعات الإسلامية ومدن الإسلام وقراه ما هي إلا مواخير للخلاعة وحوانيت لمعاقرة الخمر واستماع الغناء والملاهي. * ثالثًا: الطريقة التي يعرض فيها المؤلف أخباره ويروي بها قصصه حيث يقرن الخبر بالإسناد ويسلسله بالرجال حتى يضفي إلى أخباره صبغة المصداقية والقوة ويستطيع من خلال ذلك تمرير ما يصبو إليه من قدح في أعلام الأمة وساداتها. كما اعتمد في ذلك على طريقة ماكرة يدس فيها السم في الدسم وذلك بنقله للروايات المتواترة والحقائق التاريخية والأحداث والوقائع بشيء من المصداقية ثم يضيف على ذلك أضعافه من الكذب والتدليس والتضليل فيخيل للقارئ أن ما أورده في طيات كتابه هو الحق الذي لا شبهة فيه. * رابعًا: الاهتمام المبالغ فيه بالكتاب من قبل المستشرقين حيث إنهم اعتبروه مصدرًا مهمًّا لا يستغنى عنه لمعرفة ما كانت عليه المجتمعات الإسلامية في تلك الحقب من التاريخ ، وراحوا يروِّجون له ويشيدون بقيمته ؛ لأنه يخدم أغراضهم الخبيثة. * خامساً: ومما يدعونا إلى التنبيه على محتويات الكتاب شخصية صاحبه المشبوهة وتحذير العلماء منه ووصمهم له بأوصاف تخرجه عن دائرة العدالة وتنفي عنه الثقة في نقل الأخبار وإليك بعضًا مما قاله فيه أهل العلم: قال ابن الجوزي: (... وكان يتشيع ،ومثله لا يوثق بروايته فإنه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب (الأغاني) رأى كل قبيح ومنكر. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. وقال الحسن بْن الحسين النوبختي: (كان أَبُو الفرج الأصبهاني أكذب الناس ، وكان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إِلَى بيته ثم تكون رواياته كلها منها). تاريخ بغداد وذيوله. وقال الإمام الذهبي وهو يتحدث عنه: (شيعي ، وهذا نادر في أموي كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات ، يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا). ميزان الاعتدال. إضافة إلى ذلك إغراق الرجل في الشعوبية الحاقدة الناقمة على كل ما هو عربي فالشعوبية التي تفيض من سطور الكتاب وتفوح رائحتها من بين حروفه وكلماته. ومما يؤخذ على كتاب الأغاني: لعلنا بعد هذه المقدمات نستطيع أن نلج في الكتاب ونستخرج بعض خباياه وما أخذ عليه مستشهدين على ذلك بما لا يخدش الحياء ولا تستقبحه الأسماع معرضين عن غيره: 1 - فمما يؤخذ على كتاب الأغاني أن صاحبه أكثر من نقل الخلاعة والمجون وركز

على هذا الجانب حتى طفح به الكتاب وفاض مصرحاً بذلك لا معرضاً مستخدمًا الألفاظ الفاحشة والعبارات القبيحة ولولا تنزهينا لأسماع القرَّاء وألسنتهم لعرضنا جانبًا من هذا الفحش والبذاء. ولعل وَلَعَهُ بهذه الأخبار يعكس جانباً من سلوكياته الأخلاقية وما طبع عليه من طِباع فمن لا يتنزه عن قول الخنا والمفاكهة به لا يتورع عن فعله. 2 - ومن المآخذ التي تؤخذ على هذا الكتاب استخفافه بالعقائد والطعن فيها ونقلها والسكوت عنها فتراه ينقل الكفر البواح والاستهزاء بالصلاة وما إلى ذلك ويتضح ذلك من خلال بعض ما سنورده من نقول مقتضبة أبقينا فيها على الشاهد وحذفنا ما ننزه سمعك ولسانك عنه. ففي أحد الأخبار التي نقلها الأصفهاني يقول بعد نقل السند: (اجتمع يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم فشربوا أياماً تباعاً فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سكارى ويحكم ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي فقالوا نعم فقام مطيع فأذن وأقام ثم قالوا من يتقدم فتدافعوا ذلك فقال مطيع للمغنية تقدمي فصلي بنا فتقدمت تصلي بهم عليها غلالة رقيقة مطيبة ....) [الأغاني (13/ 350)] إلى آخر ما ورد في هذا الخبر. وفي خبر آخر يقول: (حَدَّثَنِي حمزة النوفلي ، قال: صلى الدلال المخنث إلى جانبي في المسجد ، فضرط ضرطة هائلة سمعها من في المسجد ، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد وهو يقول في سجوده رافعًا بذلك صوته: سبح لك أعلاي وأسفلي ، فلم يبق في المسجد أحد إلا فتن وقطع صلاته بالضحك)[الأغاني (4/ 273)]. ومن الأمثلة على نقله لتحريف القرآن وسكوته عنه ما نقله عن الفرزدق إذ سمع رجلًا يقول: ({وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فقال الفرزدق: فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم فقال: ينبغي أن يكون هذا هكذا ، قال: فقيل له: إنما هو: عزيز حكيم ، قال: هكذا ينبغي أن يكون) [الأغاني (21/ 364)]. وإليك هذا الخبر الذي ينقل فيه لعن دين الإسلام إذ يحكي في قصة طويلة أن عمر فرق بين منظور بن زبان وبين امرأة أبيه لما تزوجها وزعم أنه لم يعلم بالتحريم ثم تزوجت فـ (رآها منظور يوما وهي تمشي في الطريق وكانت جميلة رائعة الحسن ، فقال: يا مليكة ، لعن الله دينًا فرق بيني وبينك ، فلم تكلمه وجازت... وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه)[الأغاني (12/ 228)]. 3 - ومما يؤخذ على الكتاب أيضًا أخطاؤه التاريخية التي أوردها مؤلفه فيه ومن ذلك على سبيل المثال قوله في [الأغاني (14/ 174).]: أن هارون الرشيد (قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة) بينما من قتله هو المهدي وحينها لم يكن عمر الرشيد يتعدى الخمس سنوات. ومن ذلك أيضًا روايته عن الوليد بن عقبة أنه قال: (لما فتح رسول الله مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم فجيء بي إليه وأنا مخلق فلم يمسسني وما منعه إلا أن أمي خلّقتني بخلوق فلم يمسسني من أجل الخلوق) [الأغاني (5/ 154).] .والغريب أن الوليد ابن عقبة أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقًا إلى بني المصطلق يجمع منهم الزكاة فكيف يكون يوم فتح مكة صبيًّا؟! قال ابن عبد البر رحمه الله: (الحديث منكر مضطرب لا يصح ، ولا يمكن أن يكون من بعث مصدقًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم صبيًّا يوم الفتح) [الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1553)]. 4 - ويؤخذ على الكتاب كذلك التشويه البالغ لأعلام الإسلام من خلفاء وعلماء وقادة فنقل عنهم الأخبار الملفقة والأقاصيص الكاذبة التي تصورهم على غير ما هم عليه ولا يخفى على العاقل المنصف ما تخلفه هذه الأخبار في نفس قارئها من تشويه لأعلام ظنهم لبرهة من الزمن يتربعون على عروش العفاف ويتحلون بحلية الوقار فإذا هو يصدم بالازدواجية الأخلاقية

لهذه الشخصيات. وللأصفهاني في عرض شخصياتهم دهاء ومكر فهو يعرض لاسم واحد من أفاضل الأمة مشفوعاً بما يليق به من صيغ التكريم ، حتى إذا استوثق من ثقة القارئ المغفَّل رماه بباقعة تجعله موضع الهزء والسخرية! وقلما سلم من بوائقه هذه فرد أو جماعة أو حزب ممن لهم حميد الذكر بين العرب والمسلمين منذ العهد الراشدي مروراً بالأموي فالعباسي حتى أيام الأصفهاني[انظر كتاب: جولة في كتابي (الأغاني) و(السيف اليماني) (ص: 419)]. وممن طعن فيهم الأصفهاني: النعمان بن البشير الأنصاري والإمام أبو حنيفة ، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم الكثير ولم يسلم من أذاه آل البيت النبوي والذي كان يتشيع لهم ويظهر حبه وتقديره لهم بينما تكذبه أقواله وما ينقل عنهم فقد نالوا منه النصيب الأكبر من الإقذاع والتعدي ، إذن هو عدو الجميع لا صديق له يمتنع عن لسانه ولا صاحب يتورع عنه. وهاك بعض النقول عنه تبين طعونه في سرات الإسلام وساداتهم! قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقًا لحماد عجرد فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه فبلغ فيه ما بلغ ورفض حماداً وبسط لسانه فيه فجعل حماد يلاطفه حتى يكف عن ذكره. قال فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه)[الأغاني (14/ 326).]. وهذا افتراء على الإمام الأعظم إذ لم يعرف عن الإمام أي شيء عن صلته بحماد عجرد وأمثاله. ومن طعونه في آل البيت النبوي ذكره أن الحسين بن علي رضي الله عنه أقر يزيد على شربه للخمر [الأغاني (15/ 281)]. ومن ذلك ذكره أن المغنين يجتمعون عند الحسن بن الحسن[الأغاني (1/ 227)]. ومن ذلك تعديه على حرماتهم وحديثه عن نسائهم فها هو ينقل عن سكينة بنت الحسين مواعدتها لابن أبي ربيعة الشاعر هي وصويحباتها ومحادثته إلى الفجر[الأغاني (2/ 369)] كما ينقل عنه أنها تحكم بين المغنين وتفصل بينهم [الأغاني (2/ 359)] إلى ما هنالك من هذه النقول التي يطفح بها هذا الكتاب. 5 - كما يؤخذ على الكتاب أيضًا تصويره الفترة الزمنية التي تمثل صدر الإسلام بأنها فترة دموية مليئة بالدسائس والمؤامرات والمكر والخديعة! وهذا ما لا يحتاج إلى دليل ولا برهان ، فالكتاب مليء بمثل هذه الأخبار والأقاصيص ومن رجع إليها وجدها ظاهرة للعيان غير خفية على من تتبعها).هـ. وعن مسؤولية الكتابة والناس الذين لا يعرفون مسؤولية الكتابة يقول الأستاذ إيهاب الملاح ما نصه: (أتابع بكثير من الاهتمام السجالات التي تكاد لا تنتهي على الفضاء الافتراضي الكبير المسمى "فيسبوك" في كل شيء وأي شيء. من بين الموضوعات التي تستحوذ على قدر لا بأس به من الاهتمام والكلام ، الحديث عن مدى مسؤولية الكاتب عن نصه بالكامل ، أو المسؤولية المشتركة بينه وبين دار النشر في ما يخص سلامة نصه الشكلية وإخراجه.. إلخ. ولقد كتبت عن الأخطاء اللغوية في الكتابات الإبداعية والمأساة التي نشهدها ونتعذب بها من مستويات أقل ما توصف به أنها متدنية ومنحطة في مستواها اللغوي بشكل عام ، وتتصف بالرعونة والجهل والسخف في ما يتصل بالعناية والاهتمام بنص قام السيد الكاتب المحترم بكتابته وتسليمه إلى دار النشر وقال لهم: (هذا كتابي فخذوه) وكفى! ويبدو أن استيعاب فكرة بسيطة تتعلق بأن السلامة اللغوية للنص ؛ أي نص، تتصل بشكل أكيد بمدى فهم الكاتب أو القارئ لهذا النص مهما كان ؛ وأيا ما كان.. السلامة اللغوية التي أقصدها تعني الحد الأدنى من سلامة التعبير ، لغوياً وإملائياً ونحوياً ، بمعنى أن هناك جملة سليمة مكتملة الأركان صحيحة الكلمات خالية من الأخطاء! فقط! لا أكثر ولا أقل! لأن هذا ببساطة يعني أنك مدرك تماماً لما تحمله جملتك من معنى ، فتعرف - يا سيدي الكاتب النحرير - أنك كتبت جملة اسمية لها "مبتدأ" ولا بد أن يكون لها "خبر" ، حتى تكتمل الفائدة أو يتم المعنى ؛ وبما يعني أنك

تعلم -وتريد أن تُعلم غيرك- بأن هناك جملة واضحة مكتملة الأركان وتؤدي هذا المعنى بوضوح وسلاسة).هـ. وأعتقد أن أبا الفرج الأصفهاني كان له النصيب الأكبر في هذا الذي أشار إليه الكاتب! حيث خرج كتاب الأغاني مليئاً بالأخطاء النحوية والتاريخية والشرعية الرهيبة! أكتب مستعيناً بالله وكاشفاً لهذا الرافضي الجاهل المجهال الجهول الجهل الخبيث المغالط المعاند!)

84 - ألسنتكم لا تراعي حق الجوار

(ابتلي بجيران مُغرضين مخبين ، إن رأوْا شراً أذاعوه ، وإن رأوْا خيراً كتموه ، لا يرقبون في مؤمن إلاً وذمة. أفسدوا بينه وبين أهله. وكانت النتائج كارثية على ابنه وابنته والبيت بأسره. وراح يسأل عن حقوقه كجار وكأخ لهم في الإسلام. هل الذي فعلوه ترجمة لوصية الله تعالى في كتابه بالجار(والجار ذي القربى – والجار الجنب – والصاحب بالجنب)؟ هل هو تطبيق لقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)؟ والأصل أن تراعى حقوق الجيران لأنهم بمثابة الأهل! وشريعتنا عظمت حقوق الجار وجاءت بها آيات وأحاديث! وسن الإسلام تشريعات خاصة بالجيران! فينبغي اتباعُها والعمل بمقتضاها! فتخيلت الجار المبتلى يذم جيرانه!)

85 - الشاعر المفترى عليه

(لم يربحْ شعرُ هذا الشاعر المالَ ولا الشهرة لقدر من الله ولحكمةٍ يعلمها سبحانه وتعالى. ولأن هذا الشاعر ليس على دين مجتمعه عانى الأمرين في محاولة إظهار شعره للنور وافتريَ عليه كثيراً رغم جَودة شعره. إنه يحافظ على القيم ويدعو إليها ويُغلبها في شعره! يقول الأستاذ سعد عبد الله الحُمَيّد تحت عنوان: (القيم الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة) ما نصه: (إن الإسلام دينٌ شامل لكل مجالات الحياة ، ودينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان ، ولم يكتسبْ ديننا الحنيف هاتين الصفتين ، إلا بسبب وجود المرونة بين ما هو ثابت في هذا الدين ، وما هو متغير بتغير الأحوال والأزمان ، وبسبب وجود ما هو كليات عامة ، وضعها القرآن والسنة في تعاملات معينة في مجال ما ، وبين دقائق وتفصيلات دقيقة لمجال آخر).هـ. فعزيته!)

86 - الثلاثة الذين أووا إلى الغار

(قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ! قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ! فَقَالَ أَحَدُهُمُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي ، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، اللَّهُمَّ

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ! قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ! وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا ، حَتَّى جَمَعْتُهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتِ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً! قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ! وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ! فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، وَلَكِنَّهَا لَكَ! اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ!)

87 - أبو عبيدة وعمر

(أبو عبيدة أحد السابقين الأولين ، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة وأشار به يوم السقيفة ، لكمال أهليته عند أبي بكر رضي الله عنهما ، يجتمع في النسب هو والنبي صلى الله عليه وسلم في فهر ، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وسماه أمين الأمة! ومناقبه شهيرة جمة - عن ابن عمر: ان عمر حين قدم الشام ، قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك! قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي. قال فدخل ، فلم ير شيئاً! قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبد أو صحفة وشناً وأنت أمير! أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات ، فبكى عمر رضي الله عنه! فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين ، يكفيك ما يبلغك المُقيل! قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرَك يا أبا عبيدة!)

88 - خطوات الشـــيطان

(روي عن وهب بن منبه قال: كان عابد في بني إسرائيل وكان أعبد أهل زمانه ، وكان في زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها! فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ، ولا عند من يضعونها. قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل وكان ثقة في أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم ، فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم . قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال: أنزلوها في بيت حيال صومعتي ، قال: فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا واتركوها ، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا ينزل إليها بالطعام من صومعته ، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من طعام. قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها ، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك. قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها. قال: فلبث على هذه الحالة زماناً. ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه وقال: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك. قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه في بيتها ، فلبث على ذلك زماناً. ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه! فقال: لو كنت تكلمها

وتحدثها فتأنس بحديثك ، فإنها قد استوحشت بوحشة شديدة ، قال: فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته. ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها ، وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها فلبثا زماناً يتحدثان! ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال: لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها ، فلم يزل حتى فعل ، قال: فلبثا زماناً. ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها وقال له: لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل ، فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبث على ذلك حيناً. ثم جاءه إبليس فقال: لو دخلت البيت معها فتحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته. ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها. فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاماً. فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل. فقال: أتراها تكتم أخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها؟ قال: خذها واذبحها وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل أخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوا عنها ، فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها وقال: كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه فأتى أخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها ، فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم. فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر ، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أخته فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم أنه قد أحبل أختكم وولدت له غلاما فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم وألقاها في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله ، فانطلقوا فادخلوا البيت فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً. وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك ، وأتى أصغرهم فقال له مثل ذلك! فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم. فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى! فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم ، قال أصغرهم: والله لا أمضي حتى آتي إلى المكان فأنظر فيه! فانطلقوا جميعا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم ، فسألوا عنها العبد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما. فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب ، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له: قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه ، قال: فكفر العابد بالله تعالى ، فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه. قال المفسرون: في هذا وأمثاله نزلت: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين. فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدَين فيها وذلك جزاء الظالمين!)

89 - محفورة في قلبي

(لم أستمع لنصائح الطبيب عندما اكتشف قصورا لدي في عمل القلب مما يسبب لي الآلام الرهيبة التي لا تدعني أنام ، لقد كانت كل نصائحه لي أن أعتدل في الطعام والشراب ، وأن أكثر من الصيام حتى ينزل وزني ويكون الشفاء بإذن الله على حد قوله ، قلت له بحسم: أعطني علاجاً للقلب يا دكتور ولا تحمل هم طعامي وشرابي! أخذ الطبيب يشرح لي بابتسامته العريضة كيف أن المعدة إذا امتلأت بالطعام والشراب ولم يترك لها متسع للهواء ثقل عليها جداً هضم الطعام ، وذكرني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"! وأكد لي أن أحوالي الصحية ستزداد تدهوراً لو استمر نظامي الغذائي بهذا الشكل! لم أنفذ حرفاً واحداً مما قاله للطبيب ، بل تناولت في طعام العشاء تلك الليلة جزءً كبيراً من ديك رومي محشو بالمكسرات ، وشربت من علب العصائر وزجاجات المياه الغازية عدداً لا يعلمه إلا الله ، ثم نمت وصحوت فجراً على نيران تتأجج في صدري! لقد أصابتني ذبحة قلبية كادت تُنهي حياتي ، وفي المستشفى كنت مجبراً على تناول ما يعطونه لي من طعام. إفطار: لبن وخبز أسمر وعسل أسود ، والغداء: خضار مسلوق وسلطة خضراء وقطعتا لحم صغيرتان وفاكهة ، والعشاء: عسل نحل وخبز أسمر ، هذا هو كل طعامي! حتى المياه الغازية ممنوعة حاولت الهرب من المستشفى ولكني للأسف فشلت! فاجأني الطبيب في حجرتي بلوحة مكتوبة بألوان جميلة جداً علقها أمام سريري كتب عليها نص الآية الكريمة: [وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين]! وظللت طول الوقت أنظر لجملة: "إنه لا يحب المسرفين" ، لقد كانت مكتوبة بصورةٍ مُلفتةٍ للعين جداً وكأن كل حرف فيها يشير إلى أني أنا المقصود بها ، وتألمت كثيراً لفكرة أن الله عز وجل لا يحبني ، فأنا لا يمكن أن أكون إلا من أشد المسرفين. وبعد أيام ترسبت عندي عزيمة قوية للابتعاد عن الإسراف ، واتباع منهج الإسلام في الطعام والشراب ، وبدأت في الالتزام بالنظام الغذائي المفروض علي ولكن هذه المرة بحب واقتناع ورغبة في اكتساب حب الله عز وجل قبل طلب الشفاء! مر علي شهر كامل في المستشفى ، التزمت فيه بكل توجيهات طبيبي الفاضل وكنت أمارس رياضة المشي إلى جانب بعض التمرينات الرياضية وحمامات البخار ، وبدأت أشعر بتحسن كبير في صحتي ، وقلت كثيرا بفضل الله متاعبي الصحية ونقص وزني اثنا عشر كيلوجراماً في هذه المدة القصيرة ، والفضل لله تعالى أولاً وآخراً ثم لتلك الآية القرآنية العظيمة التي أشعر الآن أنها محفورة في قلبي وليست فقط معلقة على الحائط!)

90 - قصة قاض مكة عبيد بن عمير مع امرأة جميلة

(كانت امرأة جميلة بمكة ، وكان لها زوج ، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة ، فأعجبت بجمالها ، فقالت لزوجها: أترى يرى أحد هذا الوجه ولا يفتتن به؟! قال: نعم. قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير. قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه! قال: قد أذنت لك! فأتته كالمستفتية ، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام ، ،فأسفرت المرأة عن وجهها ، فكأنها أسفرت عن مثل فلقة القمر. فقال لها: يا أمة الله! فقالت: إني قد فتنت بك ، فانظر في أمري. قال: إني سائلك عن شيء ، فإن صدقت ، نظرت في أمرك. قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني لو

أن ملك الموت أتاك يقبض روحك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أدخلت في قبرك ، فأجلست لمساءلة أكان يسرك أني قد قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم لا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أردت المرور على الصراط ، ولا تدرين تنحني أم لا تنحني ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو جيء بالموازين ، وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين ، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. ثم قال لها: اتق الله يا أمة الله. فقد أنعم الله عليك ، وأحسن إليك. فرجعت إلى زوجها. فقال لها: ما صنعت؟ فقالت له: أنت بطال ، ونحن بطالون ، ثم أقبلت على الصلاة ، والصوم ، والعبادة. فكان زوجها يقول: ما لي ولعبيد بن عمير أفسد علي زوجتي ، كانت كل ليلة عروساً ، فصيرها راهبة!)

91 - أبو هريرة الدوسي

(لقد كان أبو هريرة حفاظة فهامة علامة بكل ما تعنيه الكلمات من معان! حفظ أبو هريرة لأمة الإسلام ما يزيد على خمسة آلاف وستمائة حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم! لقد غير اسمه النبي – صلى الله عليه وسلم – وزاده كنية عرف بها إلى أن توفاه الله تعالى! كان الناس يدعونه في الجاهلية عبد شمس فلما أكرمه الله بالإسلام سأله الرسول صلى الله عليه وسلم: ما اسمك؟ فأجاب: عبد شمس فقال عليه الصلاة والسلام بل عبد الرحمن فقال: نعم عبد الرحمن بأبي أنت وأمي يا رسول الله. أما كُنيته بأبي هريرة فقد كان له في طفولته هرة يلعب بها فنسبوه إليها وسمي أبا هريرة وشاع حتى على اسمه. أسلم أبو هريرة على يد الطفيل بن عمرو الدوسي ، وظل في ارض قومه دوس إلى ما بعد الهجرة بست سنين حيث وفد مع جموع من قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. وقد انقطع الفتى الدوسي لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته ، فاتخذ المسجد مقاماً والنبي معلماً وإماماً ، إذ لم يكن له في حياة النبي زوج ولا ولد ، وإنما كانت له أم عجوز أصرت على الشرك ، فكان لا يفتأ يدعوها إلى الإسلام إشفاقاً عليها من النار ، وبراً بها فتنفر منه وتصده. فيتركها والحزن عليها يفري فؤاده فرْياً. وفي ذات يوم دعاها إلى الإيمان بالله ورسوله فقالت في النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أحزنه وأمضه. فمضى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له الرسول: ما يُبكيك؟ فقال: إني كنت لا أفتر عن دعوة أمي إلى الإسلام فتأبى علي ، وقد دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله عز وجل أن يميل قلب أمي للإسلام. فدعا لها النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو هريرة: فمضيت إلى البيت فإذا الباب قد رد وسمعت خضخضة الماء ، فلما هممت بالدخول قالت أمي: مكانك يا أبو هريرة ، ثم لبست ثوبها وقالت: ادخل! فدخلت فقالت: أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله. فعدتُ إلى رسول الله وأنا أبكي من الفرح كما بكيت قبل ساعة من الحزن وقلت: أبشر يا رسول الله! فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة إلى الإسلام. وقد عانى أبو هريرة بسبب انصرافه للعلم وانقطاعه لمجالس رسول الله ما لم يعانه من الجوع

وخشونة العيش! روى عن نفسه قال: لقد كان يشتد بي الجوع حتى أني كنت أسأل الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آيةٍ من القران وأنا أعلمها كي يصحبني معه إلى بيته فيطعمني. وقد اشتد بي الجوع ذات يوم حتى شددت على بطني حجراً فقعدت في طريق الصحابة فمر بي أبو بكر فسألته عن أيةٍ في كتاب الله وما سألته إلا ليدعوني فما دعاني. ثم مر بي عمر بن الخطاب فسألته عن آية فلم يدعني أيضاً! حتى مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف ما بي من الجوع فقال: أبو هريرة! قلت: لبيك يا رسول الله وتبعته ، فدخلت معه البيت فوجد قدحاً فيه لبن فقال لأهله: من أين لكم بهذا؟ قالوا: أرسل به فلان إليك! فقال: يا أبا هريرة انطلق إلى أهل الصفة فادعهم ، فساءني إرساله إياي لدعوتهم وقلت في نفسي: ما يفعل هذا اللبن مع أهل الصفة؟ وكنت أرجو أن أنال منه شربة أتقوى بها ، ثم أذهب إليهم فأتيت أهل الصفة ودعوتهم ، فأقبلوا فلما جلسوا عند رسول الله قال: (خذ يا أبا هريرة فأعطهم) فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ، إلى أن شربوا جميعاً ، فناولت القدح لرسول الله فرفع رأسه إلى مبتسماً وقال: بقيت أنا وأنت! قلت: صدقت يا رسول الله! قال: فأشرب فشربت! ثم قال: أشرب فشربت! وما زال يقول: اشرب فأشرب حتى قلت والذي بعثك بالحق لا أجد له مساغاً فأخذ الإناء وشرب من الفضلة. ولما مرض أبو هريرة مرض الموت بكى فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكنني أبكي لبعد السفر وقلة الزاد ، لقد وقفت في نهاية طريق يُفضي بي إلى الجنة أو النار ولا أدري. في أيهما أكون؟ وقد عاده مروان ابن الحكم فقال له: شفاك الله يا أبا هريرة! فقال: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي ، وعجل لي فيه! فما كاد يغادر مروان داره حتى فارق الحياة. رحم الله أبا هريرة رحمة واسعة فقد حفظ للمسلمين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً كثيراً. والله إن حياتك ومواقفك لقصص تُدرس يا أبا هريرة! أسأل الله أن يرضى عنك وأن ينتصر لك من أعدائك الضالين المضلين الذين يتعمدون اليوم وأمس وغداً تشويه سيرتك العطرة الطيبة الميمونة المباركة!)

92 - سماحة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي

(إنني عندما أترجم للعلامة السعدي فأراني أمام جبل من العلم ولا أزكي على الله ربي أحداً! إنه اليتيم العبقري الذي تكاد سيرته ومسيرته تشبهان سيرة ومسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى حد بعيد! هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم العلامة (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي) المولود بمدينة "عنيزة" بالقصيم في إقليم نجد بالمملكة العربية السعودية ، وكان أبواه قد توفيا في صغره ، إلا أنه كان على قدر وفير من الذكاء والفطنة والرغبة في طلب العلم ، وقد بدأ حفظ القرآن في سن مبكرة حتى أتمه وأتقنه في الثانية عشر من عمره وشرع في طلب العلوم وأخذ يتلقاها عن علماء بلده وغيرهم ممن قدم إليها وبذل جهده في سبيل ذلك حتى نال الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من العلوم والمعارف. وفي سن الثالثة والعشرين ابتدأ الجمع بين طلب العلم وتدريسه واستفادته وإفادته وقضى في ذلك جميع وقته طول حياته وقد تلقى الكثيرون عنه وانتفعوا به. ومن شيوخه الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر وكان أول من قرأ عليه. وأيضاً الشيخ صالح بن عثمان قاضي عنيزة أخذ عنه الأصول والفقه والتوحيد والتفسير والعربية ، ولازمه إلى وفاته ، وكان الشيخ ذا معرفة تامة بالفقه وأصوله وخبرة

كاملة بالتوحيد ومسائله بسبب اشتغاله بالكتب المعتبرة واهتمامه بتصانيف ابن تيمية وابن القيم خاصة. كما كان ذا عناية فائقة بالتفسير وفنونه ، فقرأه حتى برع فيه وأتقنه ، وصارت له اليد الطولى فيه ، وله من المؤلفات في التفسير: (تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن في ثمانية أجزاء. وتيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. والقواعد الحسان لتفسير القرآن.) ومن مؤلفاته التي ينصح باقتنائها والاستفادة منها سوى ما تقدم: (الإرشاد إلى معرفة الأحكام. والرياض الناضرة. وبهجة قلوب الأبرار. ومنهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين. وحكم شرب الدخان وبيعه وشرائه. والفتاوى السعدية. وله ثلاثة دواوين خطب منبرية نافعة. والحق الواضح المبين بشرح توحيد الأنبياء والمرسلين. وتوضيح الكافية الشافية (نونية ابن القيم). وله مؤلفات كثيرة في الفقه والتوحيد والحديث والأصول والأبحاث الاجتماعية والفتاوى المختلفة.) وأما وفاتــه: فقد أصيب بمرض شديد مفاجئ أنذر بدنو منيته ، حيث وافاه الأجل في ليلة الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة 1376هـ بمدينة عنيزة ، وقد ترك أثراً وحزناً عميقاً في نفس كل من عرفه أو سمع عنه أو قرأ له رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بعلمه! رحم الله الشيخ الإمام السعدي وأسكنه فسيح جناته!)

93 - المتصيدون في الماء العكر

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكم بَعْدَ إِيمَانِكُم كَافِرِينَ). لقد سجّلَ لنا تاريخ الصراع بينَ الاوسيين والخزرجيين ما أسموه بـ (أيام العرب) ، تلك الأيام (الحروب العصيبة) التي كادت ان تُفني القبيلتين ، وتُهلك الحيين: واوّل فتنةٍ وقعت بينهما ، تلك الوقعة الدامية التي تعرف بـ(حرب سُمير) ، التقى فيها الفريقان ، واقتتلوا اقتتالاً شديداً ، في جولتين شرستين ، اشترك فيها سائر بطون القبيلتين. ولقد كانت أصابع اليهود وراء أغلب تلك الحروب ، خفيّةً تارة ، وظاهرة أخرى ، تثير النار التي تحت الرماد ، وتُذكي ثارات العصبيّة الكامنة بالأحقاد ، بينَ تينكَ القبيلتين اللتين تتفرعان من أصلٍ واحد!

94 - البشرى بالخلاص

(كم كانت فرحةُ إياس بن معاذ كبيرة حينما التقاهم ذلك الرجل العظيم في شعاب مكّة ، عندما قدموا من المدينة يلتمسونَ الحلفَ من قريش على قومهم من الخزرج ، فقال لهم الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: هل لكم فيما هو خير لكم مما جئتم له؟ فقالوا: وما هو؟ فدعاهم إلى الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال إياس ، وكانَ أعقلهم رغم كونه أصغرهم: هذا واللّه خير مما جئنا له. ورجع هؤلاء الرجال يحملون بينَ جوانحهم بشائر المستقبل السعيد ، وراحوا يحدّثون قومهم عن ذلك اللقاء الميمون ، والرجل الذي كانوا بهِ يحلمون. وما إن جاءَ العام المقبل حتى وافى الموسم اثنا عشَرَ رجُلاً من سادة الأوس والخزرج ونقبائهم ، وكانَ الرسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في العقبةِ بانتظارهم ، فعقدوا البيعة الأولى. ولّما همّوا بالرجوع ، طلبوا منهُ أنْ يبعثَ معهم من يعلمهم الاسلام ، ويدّرسهم القرآن ، ويفقههم في الدين فانتدب الرسول لهذه المهمة الصحابي مصعب بن عمير! وبعد ان حل موسم الحج التالي وإذا

بذلك الشاب القرآني يعودُ الى المدينة ، ومَعَهُ سبعون رجلاً من الأوس والخزرج ، قد جاءوا مستَخفين لا يشعر بهم أحد ، تحتَ غطاء موسم الحج. لقد عاشَ الأوس والخزرج بأروعِ ما يكون التلاحم الإيماني ، وذهبت الأضغان من القلوب ، (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). وشعر اليهود الذينَ كانوا يغذّونَ الخلافات ويُذكون العصبيات، بالخيبة المريرة، والفشل الذريع. ولقد أدرك اليهود أنهم لا يستطيعون بعد اليوم أنْ يلعبوا بالمشاعر والعواطف ، كما فعلوها يوم بُعاث وغيره من الأيام. فقد تبدّلت الهموم الصغيرة والتطلعات الضيقة الى هموم كبيرة وتطلعات جسام. إلاّ أنَّ ذلك لم يجعل اليهود تكفّ عن محاولاتها اليائسة في إثارة الفتنة ، والتصيّد في الماء العكر ، فراحوا يتحينونَ الفرصة المواتية لإثارة الاحقاد الجاهلية والثارات العصبيّة. وكادت محاولاتهم الأخيرة في صنع الفتنة اَنْ تفلح وتنجح! فبينما كان جمعٌ من الأنصار (الأوس والخزرج) يعيشون الفاعلية معاً في بناء الدولة الاسلاميّة الفتيّةً ، مَرَّ أحد أقطاب اليهود (وكانَ شيخاً قد غبر في الجاهليّة ، عظيم الكفر ، شديد الغيظ على المسلمين ، شديد الحسد لهم) ، فغاظَهُ ما رأى من ألفتهم بعد عداوة ، ووحدتهم بعد فرقة ، فأمَرَ رجلاً يهودّياً ليدخل بينَ صفوفهم ، ويسعى بما يستطيع في إثارة الفتنةِ فيهم ، ويذكّرهم بأيام حروبهم ، وما نزف فيها من الدماء ، وقيل من الأشعار في الفخر والهجاء. وذهب ذلك الرجل ، وحاول بكلِّ مكرٍ ودهاء أنْ يثير الأحقاد الكامنة ، والضغائن الدفينة ، كما أوصاهُ سيده! وعاد إلى الخزرج لينشدهم أبيات شاعرهم حسّان بن ثابت ، ليذكرهم بيوم السَّراره الذي وقعت فيه حرب شديدة! وما انفكَّ يحرَّض الفريقين ، مذكراً لهم حتّى دبَّ النزاعُ بينَ رجال القبيلتين ، وأخذوا يتفاخرون ويتنازعون ، حتّى وَصَلَ بهم الأمر الى أنْ يثبَ رجلٌ مِنَ الأوس وآخر من الخزرج ، فدار بينهما جدالٌ عنيف (وقال احدهما لصاحبه: اِن شئتُ رددتها جَذعاً ، وغضبَ الفريقان جميعاً ، وقالا ارجعا: السلاَح السلاح. موعدكم الظاهرة. وهي حرّة ، فخرجوا إليها ، فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانت عليها في الجاهليّة) ، وتواثبوا للقتال ، وأخذَ الشررُ يتطايرُ من عيون الرجال ، وشهُر السلاح ، وأشرعت الرماح ، وكادت ان تَقَع فتنةٌ عمياء ، لولا حضور الرسول القائد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، الذي جاء مُسرعاً إلى ذلك الميدان ، ومعه عدد من المهاجرين ، فرأى القوم على وشك حرب مدمّرة. وبحكمة القائد الرباني ، راح يهدئ القلوب الثائرة ، والدماء الفائرة ، فذكرهم بنعمة الإسلام ، وسوء العصبيات الجاهلية ، وخاطبهم بكلِّ أسفٍ ولوعة ومرارة: (يا معشر المسلمين. أتدعونَ بدعوى الجاهلية وأنا بينَ أظهركم ، بعد أن أكرمكم اللّهُ بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، وألّفَ بينكم ، فترجعون الى ما كُنتم عليه كفّارا ، اللّهَ اللّه). وسرعان ما رجعوا إلى أنفسهم ، وأدركوا (أنّها نزغةٌ من الشيطان وكيدٌ من عدوهم ، فألقوا السلاح من بين أيديهم ، وبكوا ، وعانقَ بعضُهُم بعضاً ، ثمَّ انصرفوا مَعَ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم سامعين مطيعين). فأنزل اللّه سبحانه آيات بيّنات ، تُتْلى على مدى الأَجيال والأزمان ، لتحذر الأمّة من طاعة أهل الكتاب والاستماع إليهم ، والسير وراء مخططاتهم ، كما وتحذرها من سوء النعرات القبليّة والعصبيات القوميّة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ).

95 - الله معي الله ناظري الله شاهدي

(أورد الغزالي في إحياء علوم الدين هذه القصة اللطيفة فقال: قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار ، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك ، فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك ، الله معي ، الله ناظري ، الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته ، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة ، فقلته ، فوقع في قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ، ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة في سري ، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده ، أيعصيه؟ إياك والمعصية ، فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب ، فقلت: إني لأخشى أن يتفرق علي همي ، ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع ، فمضيت إلى الكُتّاب ، فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة.)

96 - عف عن الباذنجان فرزق الدار وصاحبتها

(ألا إن قصتنا هذه تشبه إلى حدٍ بعيد قصة كتبناها من عقدين مضيا وأعطيناها عنواناً هو: (الصعيدي عندما يعف!) كان في دمشق مسجد كبير اسمه جامع التوبة وهو جامع مبارك ، فيه أنس وجمال ، وكان فيه منذ نحو سبعين سنة شيخ مرب عالم عامل اسمه الشيخ سليم المسوطي. وكان مضرب المثل في فقره وفي إبائه وعزة نفسه وبذلها للآخرين. وكان يسكن في غرفة في المسجد ، مر عليه يومان لم يأكل فيهما شيئاً وليس عنده ما يطعمه ولا ما يشتري به طعاماً ، فلما جاء اليوم الثالث أحس كأنه مشرف على الموت ، وفكر ماذا يصنع ، فرأى أنه بلغ حد الإضرار الذي يجوز له أكل الميتة أو السرقة بمقدار الحاجة. وآثر أن يسرق ما يقيم صلبه - هذا ما رآه في حاله هذه - وكان المسجد يتصل سطحه ببعض البيوت ، يستطيع المرء أن ينتقل من أولها إلى آخرها مشياً على أسقفها ، فصعد إلى سقف المسجد وانتقل منه إلى الدار التي تليه فلمح بها نساء فغض من بصره ، ونظر فرأى إلى جنبها داراً خالية وشم رائحة الطبخ تصدر منها ، فأحس من جوعه لما شمها كأنها مغناطيس تجذبه إليها ، وكانت البيوت من دور واحد ، فقفز قفزتين من السقف إلى الشرفة فصار في الدار وأسرع إلى المطبخ فكشف غطاء القدر فرأى فيها باذنجاناً محشواً ، فأخذ واحدة ولم يبال من شدة جوعه بسخونتها وعض منها عضة فما كاد يبتلعها حتى ارتد إليه عقله ودينه وقال لنفسه: أعوذ بالله أنا طالب علم مقيم في المسجد ثم أقتحم المنازل وأسرق ما فيها ؟ وكبر عليه ما فعل وندم واستغفر ورد الباذنجانة وعاد من حيث جاء ، فنزل إلى المسجد وقعد في حلقة الشيخ وهو لا يكاد من شدة الجوع يفهم ما يسمع ، فلما انقضى الدرس وانصرف الناس جاءت امرأة مستترة - ولم يكن في تلك الأيام امرأة غير مستترة - فكلمت الشيخ بكلام لم يسمعه فتلفت الشيخ حوله فلم ير غيره فدعاه وقال له: هل أنت متزوج؟ قال: لا. قال: هل تريد الزواج؟ فسكت ، فأعاد عليه الشيخ سؤاله فقال: يا شيخ ما عندي ثمن رغيف والله فلماذا أتزوج؟ قال الشيخ: إن هذه المرأة

خبرتني أن زوجها توفي وأنها غريبة عن هذا لبلد ليس لها فيه ولا في الدنيا إلا عم عجوز فقير وقد جاءت به معها ، وأشار إليه قاعداً في ركن الحلقة ، وقد ورثت دار زوجها ومعاشه وهي تحب أن تجد رجلاً يتزوجها لئلا تبقى منفردة فيطمع بها. قال: نعم ، وسألها الشيخ هل تقبلين به زوجاً؟ قالت: نعم. فدعا الشيخ عمها ودعا شاهدين وعقدا العقد دفع المهر عن التلميذ وقال له: خذ بيد زوجتك ، فأخذ بيدها فقادته إلى بيتها ، فلما أدخلته كشفت عن وجهها فرأى شباباً وجمالاً ، وإذا البيت هو البيت الذي اقتحمته ، وسألته: هل تأكل؟ قال: نعم فكشفت غطاء القدر فرأت الباذنجانة فقالت: عجباً من الذي دخل الدار فعضها؟ فبكى الرجل وقص عليها الخبر فقالت له: هذه ثمرة الأمانة ، عففت عن الباذنجانة الحرام فأعطاك الله الدار كلها وصاحبتها بالحلال!)

97 - خبر استشهاد أبناء الخنساء في القادسية غير ثابت

(ما أكثر ما نروي ولا نتثبت! قال ابن عبد البر: قَدِمَتْ على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم. وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها. اهـ. انظر ترجمتها في الاستيعاب (ت 3363) وأسد الغابة (ت 6883) والإصابة (ت 11112). وقد ذهب بعض المتأخرين إلى التشكيك في قضية استشهاد أولاد الخنساء الأربعة في معركة القادسية ، وقد استدلوا على ذلك بما يلي :- - أن كل من كتب عن الخنساء وقتل أولادها الأربعة يستند إلى وصيتها لهم وهي (إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، وإنكم لبنو أب واحد وأم واحدة .. الخ الوصية. الإصابة (111/8). بينما تلك الوصية لامرأة نخعية وليست للخنساء السلمية ؛ ومما يؤكد هذا ما ذكره إمام المفسرين الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله عندما قال في تاريخه: (كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا معركة القادسية. إلى أن قالت في وصيتها: والله إنكم لبنو رجل واحد) تاريخ الطبري (544/3) ، والشاهد قولها: إنكم لبنو رجل واحد ، والمعروف أن للخنساء ثلاثة أبناء ذكور وبنت واحدة من زوجها مرداس ، وابن واحد من زوجها رواحة ، واسم هذا الابن عبد الله وكنيته أبو شجرة وهو مشهور عند أهل التاريخ ، وقد ذكروا أن عمر رضي الله عنه نهره لشعر قاله ، فهرب منه ولم يقربه حتى مات عمر سنة (23هـ) بينما القادسية كانت في سنة (14 أو 15هـ) على خلاف بين المؤرخين. - ومن الأدلة أيضاً: قولها في الوصية: (ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة). ولم تكن الخنساء في وقت القادسية عجوز كبيرة ، ويضاف إلى ما سبق أيضاً أن ابنها مرداس شاعر مشهور قبل إسلامه وبعده ، وله مواقف معروفة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو شارك في القادسية واستشهد لذكره المؤرخون لشهرته ؛ فكيف يتناسون شاعراً مثله وقد ذكروا من هو أقل شعراً منه ؟! - وشيء أخير وهو: أن الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر في ترجمة الخنساء ، قصتها مع أولادها الأربعة وذكر الوصية ، فقال: عن الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن المخزومي وهو المعروف بابن زَبَالة ، فقال: وهو أحد المتروكين. الإصابة (111/8). ومما سبق نستطيع أن نقول: أن القصة لا تصح لا سنداً ولا متناً للأسباب التي ذكرناها .. والله أعلم. للمزيد راجع المجلة العربية عدد (106) السنة (10) ذو القعدة 1406/6هـ) ص 56 – 57. وأيضاً: كتاب: تحت المجهر للشيخ عبد العزيز السدحان (ص 67 – 68).

98 - الحجاب قبل الحساب

(هذه القصة ليست تجربة شخصية ، وإنما هي قصة أخت في الإسلام ، فقد كانت تعيش حياة غافلة بعيدة عن ذكر الله وعن طاعته ، وكانت كلما حاولت إحدى صديقاتها أن تجتذبها إلى دروس الدين تأبى ولا توافق على الذهاب معها ، حتى جاء يوم كانت تمر بظروف نفسية قاسية ويسر لها الله أن قابلت إحدى صديقاتها ، جلست تحدثها وتشتكي لها ، فقالت لها صديقتها بأنه لن يخرجها من هذه الحالة إلا أن تحاول أن تتقرب إلى الله ، وبالفعل وافقت على الذهاب إلى أحد دروس الدين ، و ذهبت مع صديقتها وعندما استمعت إلى كلام الله تعالى أخذت تبكي وتتحسر على ما مضى من عمرها بعيدة عن الله وعن طاعته ، وقررت أن ترتدي الحجاب ورفضت أن تنزل من بيت صديقتها إلا وقد أخذت من عندها ملابس للحجاب ، ونزلت الفتاة من بيت صديقتها مرتدية الحجاب ومتجهة إلى منزلها عازمة على أن تغير حياتها ، فإذا بسيارة مسرعة تصدمها وهي تعبر الطريق وتفيض روحها إلى الرحمن الرحيم ، فنسأل الله تعالى أن يتغمدها برحمته وأرجو من كل من يقرأ هذه القصة أن يدعو لها بالمغفرة والرحمة!)

99 - امرأة آية في الجمال

(يُحكى أن رجلاً تزوج امرأة آية في الجمال. فأحبها وأحبته وكانت نعم الزوج لنعم الرجل! ومع مرور الأيام اضطر الزوج للسفر طلباً للرزق. ولكن قبل أن يسافر أراد أن يضع امرأته في أيدٍ أمينة لأنه خاف من جلوسها وحدها في البيت فهي امرأة لا حول لها ولا قوة إلا بالله! فلم يجد غير أخ له من أمه وأبيه. فذهب إليه وأوصاه على زوجته وسافر! ولم ينتبه لحديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: الحمو الموت! ومرت الأيام. وخان هذا الأخ أخيه فراود الزوجة عن نفسها ، إلا أن الزوجة أبت أن تهتك عرضها وتخون زوجها. فهددها أخو الزوج بالفضيحة إن لم تطعه. فقالت له: افعل ما شئت فإن معي ربي! وعندما عاد الرجل من سفره قال له أخوه على الفور أن امرأتك راودتني عن نفسي وأرادت خيانتك إلا أنني لم أجبها ! فطلقها الزوج من غير أن يتريث ولم يستمع للمرأة وإنما صدق أخاه! فانطلقت المرأة لا ملجأ لها ولا مأوى. وفي طريقها مرت على بيت رجل عابد زاهد. فطرقت عليه الباب وحكت له الحكاية فصدقها ، وطلب منها أن تعمل عنده على رعاية ابنه الصغير مقابل أجر. فوافقت وفي يوم من الأيام خرج هذا العابد من المنزل. فأتى الخادم وراود المرأة عن نفسها. إلا أنها أبت أن تعصي الله خالقها! وقد نبهنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما! فهددها الخادم بأنه سينال منها إذا لم تجبه. إلا أنها ظلت على صمودها! فقام الخادم بقتل الطفل ، وعندما رجع العابد للمنزل قال له الخادم بأن المرأة قتلت ابنه. فغضب العابد غضباً شديداً. إلا أنه احتسب الأجر عند الله سبحانه وتعالى. وعفا عنها. وأعطاها دينارين كأجر لها على خدمتها له في هذه المدة وأمرها بأن تخرج من المنزل! قال تعالى: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)! خرجت المرأة من بيت العابد وتوجهت للمدينة فرأت عدداً من الرجال يضربون رجلاً بينهم. فاقتربت منهم وسألت أحدهم. لمَ تضربونه؟ فأجابها بأن هذا الرجل عليه دين فإما أن يؤديه وإما أن يكون عبداً عندهم. فسألته: وكم دينه؟ فقال لها: إن عليه دينارين. فقالت: إذن أنا سأسدد دينه عنه ، فدفعت الدينارين

وأعتقت هذا الرجل ، فسألها الرجل الذي أعتقته: من أنت؟ فروت له حكايتها ، فطلب منها أن يرافقها ويعملا معا ويقتسما الربح بينهما فوافقت ، فقال لها إذن فلنركب البحر ونترك هذه القرية السيئة ، فوافقت ، وعندما وصلا للسفينة أمرها بأن تركب أولاً. ثم ذهب لربان السفينة وقال لها أن هذه جاريته وهو يريد أن يبيعها فاشتراها الربان وقبض الرجل الثمن وهرب وتحركت السفينة. فبحثت المرأة عن الرجل فلم تجده ، ورأت البحارة يتحلقون حولها ، ويراودونها عن نفسها ، فتعجبت من هذا الفعل. فأخبرها الربان بأنه قد اشتراها من سيدها ويجب أن تطيع أوامره الآن! فأبت أن تعصي ربها وتهتك عرضها وهم على هذا الحال إذ هبت عليهم عاصفة قوية أغرقت السفينة فلم ينجُ من السفينة إلا هذه المرأة الصابرة وغرق كل البحارة! وكان حاكم المدينة في نزهةٍ على شاطئ البحر في ذلك اليوم ورأى هبوب العاصفة مع أن الوقت ليس وقت عواصف. ثم رأى المرأة طافية على لوح من بقايا السفينة فأمر الحرس بإحضارها! وفي القصر أمر الطبيب بالاعتناء بها ، وعندما أفاقت سألها عن حكايتها ، فأخبرته بالحكاية كاملة. منذ خيانة أخو زوجها إلى خيانة الرجل الذي أعتقته ، فأعجب بها الحاكم وبصبرها وتزوجها. وكان يستشيرها في كل أمره! فلقد كانت راجحة العقل سديدة الرأي ، وذاع صيتها في البلاد! ومرت الأيام وتوفي الحاكم الطيب ، واجتمع أعيان البلد لتعيين حاكم بدلاً عن الميت فاستقر رأيهم على هذه الزوجة الفطنة العاقلة! فنصبوها حاكمة عليهم! فأمرت بوضع كرسي لها في الساحة العامة في البلد. وأمرت بجمع كل رجال المدينة وعرضهم عليها! وبدأ الرجال يمرون من أمامها! فرأت زوجها. فطلبت منه أن يتنحى جانبا! ثم رأت أخو زوجها .. فطلبت منه أن يقف بجانب أخيه! ثم رأت العابد ، فطلبت منه الوقوف بجانبهم ، ثم رأت الخادم فطلبت منه الوقوف معهم ، ثم رأت الرجل الخبيث الذي أعتقته ، فطلبت منه الوقوف معهم! ثم قالت لزوجها: لقد خدعك أخوك ، فأنت بريء ، أما هو فسيجلد لأنه قذفني بالباطل! ثم قالت للعابد: لقد خدعك خادمك ، فأنت بريء ، أما هو فسيقتل لأنه قتل ابنك! ثم قالت للرجل الخبيث: أما أنت فستحبس نتيجة خيانتك وبيعك لامرأة أنقذتك!)

100 - امرأة فضلت الشهادات على الزواج

(أستاذة جامعية تنصح طالباتها بالزواج! وهذه أستاذة جامعية في إنجلترا وقفت هذا الأسبوع أمام مئات من طلبتها وطالباتها تلقي خطبة الوداع بمناسبة استقالتها من التدريس. قالت الأستاذة: أنا قد بلغت الستين من عمري ، وصلت فيها إلى أعلى المراكز ، نجحت وتقدمت في كل سنة من سنوات عمري ، وحققت عملاً كبيراً في المجتمع ، كل دقيقةٍ في يومي كانت تأتي عليّ بالربح ، حصلت على شهرةٍ كبيرة ، وعلى مال كثير ، أتيحت لي الفرصة أن أزور العالم كله ، ولكن ، هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات ؟! لقد نسيت في غمرة انشغالي في التدريس والتعليم ، والسفر والشهرة ، أن أفعل ما هو أهم من ذلك كله بالنسبة للمرأة. نسيت أن أتزوج ، وأن أنجب أطفالاً ، وأن أستقر. إنني لم أتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم استقالتي ، شعرت في هذه اللحظة أنني لم أفعل شيئا في حياتي ، وأن كل الجهد الذي بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباءً ، سوف أستقيل ، وسيمر عام أو اثنان على استقالتي ، وبعدها سينساني الجميع في غمرة انشغالهم بالحياة. ولكن لوكنت تزوجت ، وكونت أسرة كبيرة ، لتركت أثراً كبيراً"! وأحسن ما في الحياة. إن وظيفة المرأة هي أن تتزوج ، وتكون

أسرة ، وأي مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له في حياتها بالذات ، إنني أنصح كل طالبة أن تضع هذه المهام أولا في اعتبارها ، وبعدها تفكر في الشهادة أو في العمل والشهرة إذا لزم الأمر وللضرورة. إن هؤلاء المسكينات والفتيات يضيعون أعمارهم ولا يدركون الحقيقة إلا في غروب العمر ، والعجب من فتيات الإسلام اللواتي في مقتبل العمر يسرن في التيه وراء الشهادات والوظائف وعلى غير هدى وقد دلنا الله على الطريق ، وبين لنا السبيل ، وما هو أسعد وأجمل طريق للمرأة في حياتها والسعيد من وعظ بغيره ، فإلى أين يا ابنة الإسلام؟ ونقلاً عن إسلام ويب بتصرف: قال تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ، وقد جاء في البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء. والنكاح من سنن الرسل ، فقد كان لهم أزواج وذرية ، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) ، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: أي جعلناهم بشرًا يقضون ما أحل الله من شهوات الدنيا ، وإنما التخصيص من الوحي ، ثم قال: وهذه سنة المرسلين ، كما نصت عليه هذه الآية ، والسنة واردة بمعناها ، قال صلى الله عليه وسلم: تزوجوا ، فإني مكاثر بكم الأمم. الحديث.... انتهى. وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي اليل أبدًا ، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر: أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدًا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فقال: أنتم قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني. قال ابن بطال: ندب النبي عليه السلام لأمته النكاح ؛ ليكونوا على كمال من أمر دينهم ، وصيانة لأنفسهم في غض أبصارهم ، وحفظ فروجهم ؛ لما يخشى على من زين الله في قلبه حب أعظم الشهوات. فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي. رواه الطبراني في الأوسط ، والحاكم ، ومن طريقه للبيهقي ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وفي رواية البيهقي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا تزوج العبد ، فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله في النصف الباقي. حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب. قال القرطبي في التفسير: من تزوج فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله في النصف الثاني ـ ومعنى ذلك أن النكاح يعف عن الزنى ، والعفاف أحد الخصلتين اللتين ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما الجنة ، فقال: من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة: ما بين لحييه ، وما بين رجليه ـ خرجه الموطأ ، وغيره. انتهى. وقال الغزالي في إحياء علوم الدين: وقال صلى الله عليه وسلم: من تزوج فقد أحرز شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الثاني ـ وهذا أيضاً إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنًا من الفساد ، فكأن المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه ، وبطنه ، وقد كفى بالتزويج أحدهما. انتهى. فليت صواحب الشهادات والأعمال ينتبهن لهذا الأمر الخطير ، أمر الزواج! اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد!)

فهرست القصص – (من القصة الأولى بعد المئة الثانية حتى القصة الثلاثمائة)

مسلسل	عنوان القصة	النغم	النوع	الصفحة
1	أبو قدامة والغلام	حزينة	قصيرة	7
2	بين أبي بكر وعمر	موعظة	موقف	9
3	سماحة الإمام محمد بن عبدالوهاب	سيرة	قصة قصيرة	10
4	زهرة من بستان محمد بن عبد الوهاب	سيرة	قصة قصيرة	11
5	شؤم البسوس	حزينة	قصة قصيرة	11
6	وما يوم حليمة بسر!	مثل	موقف خاطف	11
7	الأب الذي تعلم درسا من ابنه	الموعظة	موقف خاطف	12
8	إبراهيم وإسماعيل وأمه	الابتلاء	قصة قصيرة	12
9	الثبات لماذا؟	الابتلاء	موقف	14
10	الثعبان 1	أخذ الحيطة	موقف	14
11	الثعبان 2	الخديعة	موقف	15
12	الثعبان حارساً	الموعظة	قصة قصيرة	15
13	الثور الأبيض	العبرة	موقف	16
14	إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض	المثل	قصة قصيرة	16
15	بين الجامع والجامعة	الحكمة	موقف	17
16	الجبال من القضيض	الحكمة	خاطرة	20
17	الجُذور	الحكمة	خاطرة	20
18	الجفاف	الاعتبار	قصة قصيرة	21
19	الجمال الرخيص	العبرة	خاطرة	22

20	الجمال اليماني	الفرحة	قصة قصيرة	24
21	الجميل الكئيب	الحزن	موقف	25
22	الجميلات الثلاث	الفخر	قصة وموقف	26
23	الجميلات والحرام	الفخر	قصة وموقف	27
24	الجواب المفحم المبكي	قوة الخطاب	موقف	28
25	الجيلاني الواعظ الصادق	السيرة	موقف	29
26	تغير الحال أم الخال؟!	الندم والأسى	موقف	34
27	الحجاج تذِله امرأة!	الإفحام	موقف	36
28	الحذاء الكلاسيكي	الهجاء	خاطرة	37
29	الحذر من التطويع	الهجاء	رأي	38
30	الحذر الحذر من الغرور	التحذير	رأي	39
31	الحراسُ الأمناء	السيرة	خاطرة	41
32	الحرص يرتصد النفوس	النصيحة	رأي	42
33	الحُطيئة (إمام الهجّائين)	الهجاء	رأي وحقيقة	42
34	الحق بين ظلم الأب وعدل الأخ	الهجاء	قصة قصيرة	45
35	الحقيقة لا يحدها قبر	الحقيقة	خاطرة	46
36	الحُكم بعد المداولة	الهجاء	موقف	47
37	الحلال بيِّن والحرام بيِّن	الحقيقة	خاطرة	50
38	الحمامة الغريبة	الوصف	خاطرة	51
39	الحَمَل الذبيح	الوصف	خاطرة	51
40	الحَمْو الموت	الغيرة	موقف	52

41	الحنيفية السمحة حياة العروبة	التاريخ	موازنة	53
42	الحياة أخذ وعطاء	الحقيقة	رأي	55
43	الخائنة مَجنيٌ عليها	الخيانة	قصة قصيرة	55
44	الخلق والعلم معاً	العلم والخلق	موقف عابر	56
45	الخمر داء ، وليست بدواء	التحقيق	فتوى محققة	64
46	الخنساء الشاعرة	السيرة	رأي	65
47	الخوف	الخوف	خاطرة	65
48	الداعية الصغير	الفخر	موقف	66
49	تحية للدكتور علي محمد الصلابي	الفخر	رأي	67
50	بين الدماء والنيران	حقيقة	موقف	67
51	الدميـــة	السخرية	خاطرة	67
52	جمال الدنيا سراب	الحقيقة	رأي	68
53	الدنيا لا تزال بخير!	الحقيقة	رأي	71
54	الدواوينُ الشعرية النافقة	الهجاء	موقف	71
55	(الديوان) منتجع الشعراء! (تحية لموقع الديوان)	الفخر	رأي	72
56	الذبيحة البريئة	الحزن والأسى	موقف وقصة	73
57	الراحلون ليلاً في زمن الأحزان	الحزن	خاطرة	74
58	الراشد فقيها!	الافتخار	رأي	74
59	نعمة الزواج	موعظة بليغة	قصة قصيرة	75
60	رسالة من زوجة الى زوجها بعد موتها	مأساة	قصة طويلة	76
61	كما تدين تدان	مأساة	قصة طويلة	78

62	المرأة والقاضي	الخديعة	قصة قصيرة	79
63	الربان والثعبان	المكر والدهاء	موقف	79
64	الربيع الضاحك	الحكمة	خاطرة	80
65	الرجولة الباكية	السرد	قصة قصيرة	80
66	الرجولة الموءودة	الأسف والأسى	موقف	81
67	الرجولة والشجاعة	الصدق	قصة قصيرة	82
68	الرحيل المرير	الفراق	موقف	82
69	الرسّامة التائبة	التوبة	موقف	83
70	الرويبضة	الخداع	خاطرة	84
71	طموح الرؤية القصْوى	الطموح	خاطرة	86
72	الزاهية تحَدثنا عن نفسها	الوصف	موقف	87
73	فاطمة الزهراء السليمانية	التوصيف	موقف	88
74	الزواج الثاني هو الحل	وصف الحل	موقف	89
75	الزواج ليس سجناً جبرياً	حقيقة	رأي وفتوى	90
76	الزوجة الثانية نعمة لا نقمة	حقيقة	رأي وفتوى	91
77	السحاب الهزيل	المسؤولية	خاطرة	102
78	مشاعر تهويمة السحر الفوّاح!	الفتنة	قصة طويلة	103
79	السفينة السائرة	أدب الطالب	خاطرة	110
80	السقوط في الجحيم	طاعة الأب	موقف	110
81	السقوط	التزوير	موقف	111
82	السُّمعة الدامية في دياجير التيه	الطعن	موقف	111

83	السمهري اليماني في نحر الأغاني (للأصفهاني)	التاريخ	خاطرة	111
84	ألسنتكم لا تراعي حق الجوار	الإنصاف	موقف	116
85	الشاعر المفترى عليه	الكرامة	خاطرة	116
86	الثلاثة الذين أووا إلى الغار	صالح العمل	قصة نبوية	116
87	أبو عبيدة وعمر	الزهد	قصة قصيرة	117
88	خطوات الشـــيطان	كيد الشيطان	قصة طويلة	117
89	محفورة في قلبي!	السمنة	قصة قصيرة	119
90	قصة قاض مكة عبيد بن عمير مع امرأة جميلة	الغرور	قصة قصيرة	119
91	أبو هريرة الدوسي	التسلية	مواقف عطرة	120
92	سماحة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي	السيرة	سيرة ذاتية	121
93	المتصيدون في الماء العكر	الكيد	موقف	122
94	البشرى بالخلاص	الجاهلية	موقف	122
95	الله معي الله ناظري الله شاهدي	الضمير	خاطرة	124
96	عف عن الباذنجان فرزق الدار وصاحبتها	الأمانة	قصة قصيرة	124
97	خبر استشهاد أبناء الخنساء في القادسية غير ثابت	التثبت	حدث تاريخي	125
98	الحجاب قبل الحساب	التوبة	موقف	126
99	امرأة آية في الجمال	الثبات	مواقف مشرفة	126
100	امرأة فضلت الشهادات على الزواج	القرار الصواب	موقف وقصة	127

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته إتمام (من القصة الأولى بعد المئة الثانية حتى القصة الثلاثمائة)

الخاتمة

على أمل اللقاء بكم أعزائي القراء في الجزء التالي حتى نكمل معاً ثلاثة آلاف قصة وقصة! لنقرأ ونستمتع ونتأمل ونعتبر! فإن العاقل من وعظ بغيره! والقصة خير معلم!

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

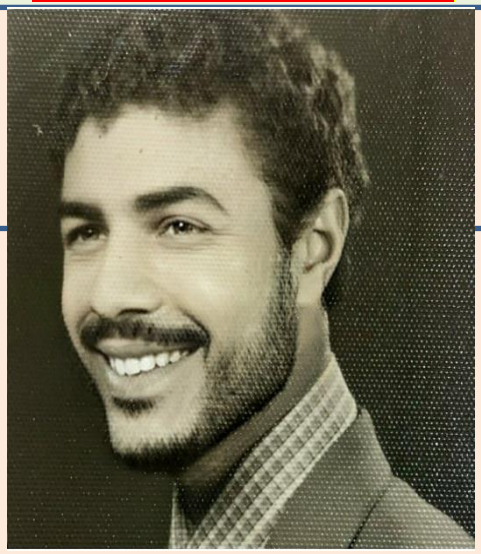

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
6 - Conversation Skills
7 - Correction Exercise (1-100)
8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
9 - Grammar Tasks (1-77)
10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond’s Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!